بلوغ الأرب
في شرح
لامية العرب

الزمخشري / المبرد / العكبري / ابن زاكور الفربي
ابن عطاء المصري

جمع و تحقيق
محمد عبد الحكيم القاضي
محمد عبد الرازق عرفان

كافة حقوق الطبع محفوظة

دار الحديث

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر
ت: ٩١٩٦٩٧٠ - ٩١٨٧١٩ - ٩٢٦٥٠٨

تلكس: ٩٣٩٨٥
٢٣١٦٢

كتاب

أعجب العجب في شرح لامية العرب للأستاذ

خوارزم محمود بن الزمخشري رضي الله عنه

وبثواه ولمشايخه ولجميع المسلمين

على سيدنا محمد النبي الأمي

وسلم تسليما كثيرا أبدا

إلى يوم

الدين

وجئت رحم بن أبي حفص وكم شرحت	الغانية عقد نيط بالذهب
شيء لا له لمن أسسه صفته	بل لنسبة ظهرت في الروم والعرب
لكونه أعجمي الأستاذ منتسبا	يعلم اللغة الفصحاء للعرب

تم لله بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

الازد كان من العدائين وبه يضرب المثل فيقال اعدى من الشنفرى وعمرو من العدائين
هو اسيد بن جابر وهو الذي كان اسيرا الشنفرى من بني سلامان وعمرو بن براق وتابط
شرا وسليك بن السلكة وهؤلاء لم تلحقهم الخيل انتهى

اصل اقيموا اقوموا وما منه اقام وعينه واو لقولك فيه اقوم فاستثقلت الكسرة على الواو
نقلت الى القاف ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو فعل امر مبني في الاصل على
السكون وما بني منه على حركة فلعلة اوجبت بناءه عليها وذهب قوم الى انه معرب بالجزم
واتفقوا على ان فعل الامر للغائب نحو ليقم وليذهب مجزوم باللام الداخلة عليه فهو
معرب اتفاقا ودليل البناء ان الاصل في الافعال البناء فهي محكوم عليها به الا
ان يقوم دليل على اعراب شيء منها فيكون اخراجا لها عن اصلها ولم يعرب منها سوى المضارع
لشبهه بالاسم وهو ما كان في اوله احدى الزوائد الاربع فيحكم عليه بالاعراب
ما دام وصف المضارعة باقيا وذلك اذا كانت زائدة من الزوائد الاربع موجودة في
اوله فمتى زالت زال شبهه بالاسم فيعود الى اصله من البناء وايضا فانه لا يحتمل معانٍ
يفرق الاعراب بينها والاعراب في الاصل انما جاء لهذا عند المحققين وقال الاخرون
ما فيه اللام معرب فمعرب ما لا لام فيه لتقدير اللام كما قيل محمد تفد نفسك اي لتفد
وحرف المضارعة ايضا مقدر كالمثال المذكور ولا تعويل على هذا القول فان الحذف من الشيء
لا يوجب تغيير الصيغة بل يحذف ما حذف ويبقى ما بقي بعد الحذف على حاله كقولك لم
ارم فان الاصل اثبات الياء وبعد حذفها بقي ما كان على ما كان وبهذا يعدم في فعل الامر
الا ترى انك اذا حذفت الياء من يضرب لا تقول ضرب زيد بل تعدل الى صيغة اخرى
في اضرب واما البيت فالاصل لتفد على الخبر ولما حذفت الياء للضرورة بقي منصوبا
والناصب له الفعل المحذوف وحرف النداء كل اختلاف فيه وحرف النداء محذوف والداعي
الى حذفه ارادة الاختصار مع بقاء المعنى والمصحح لجواز الحذف موجود وهو كونه لا يلتبس
بكونه وصفا لاتحاد الاصل في قولك يا رجل اقبل يا ايها الرجل اقبل فلما حذفوا ايها المحذوفة
حرف النداء فلا يجمع حذفان ولم يكن للاصل في قولك يا ابني ماء بها ابني فاذا حذف حرف
النداء لم يجمع حذفان واما نصب المضاف ولم يبن كابني الفرد وان وافقه في كونه مقصودا
بالنداء الى المضاف اليه فلوقوعه موقع الشبه بالمفرد لان الاضافة توجب احتياج المضاف
الى المضاف فلو بني المضاف دون المضاف اليه كان منفردا عنه بالبناء وحقه ان يكون للاسمين

عليه وتوكيده وان بمعنى لا ابتداء بدخول لكن انها موضوعة للاستدراك وان للتحقيق والابتدا
لا للاستدراك والنفي وانما كسرت اذا دخلت اللام في خبرها لانها في موضع الابتدا ولو حذفتها لكان
ما بعدها مرفوعا بالابتدا واما سوى فظرف مكان في الاصل ويدل على ذلك قوله تعالى مكانا
سوى فانها قد وقعت صفة لمكان وكذلك وقوعها صلة للموصول بها واستقلالا الصلة بها انفا
تقول رايت الذي سوى زيد كما تقول الذي عند زيد وقال تعالى ما عندكم ينفد وما عند
الله باق وهي هنا بمعنى غير صفة لقوم ولم يمنع من ذلك اضافتها الى المعرفة لتعذر الانفصال
فيها واذا كانت سوى بمعنى غير ففيها ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت
وان فتحت مددت تقول سواك وسواك اي غيرك وفي كل احوالها ما بعدها مجرور باضافته
اليها وقد يقع سوى فاعلا قال ولم يبق سوى العدوان وانما استعملت ظرفا لانها تودي
معنى بدل وبدل جار مجرى مكان تقول هذا مكان هذا اي بدله فهكذا تقارب الكلم وتناسبها
واسل بمعنى سائل وافعل بمعنى فاعل كثير كالله اكبر بمعنى كبير واوحد بمعنى واحد فليس للادماج
المبالغة لانه يودي الى اشتراكهم في الميل ولم يكن ذلك واسل خبر ان والى تتعلق باسيل لما
فيه من معنى المبالغة ولام التوكيد لا تمنع ذلك والنية به التقديم وقد جا مثل ذلك في
الكتاب العزيز وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ثم قال

[illegible]

حتى فعل لم يسم فاعله والاصل ضمه الا انهم استثقلوا الجمع بين الثقلين وماخذهم في ذلك
ان الناطق اذا نطق بحرف ثم نطق بمثله معتمدا الى الموضع الذي رفع لسانه عنه من غير فاصل
بينهما في ذلك كلفة كالمقيد الذي يتحرك ولا يزايل موضعه فسكن الحرف الاول ولم تنقل حركته
الى ما قبله لان اوله متحركا ولم يحتمل حركة اخرى فلما بنيته لما لم يسم فاعله ضممت اوله
على الاصل ويجوز كسره بان تنقل اي تنقل حركة المدغم اليه اذ الاصل ضم والحكمة في تحويل
الفاعل شرفه وحسبه المفعول او العكس او غير ذلك وعدم لفظ الفعل المذكور لتعين على راي
من زعم ان ما لم يسم فاعله مغير عن فعل سمي فاعله ومنهم من يرى انه اصل بنفسه من تحول
الصيغة ارتجالا ما سمي فاعله وموضوع موضعه فاذا كان ثلاثيا صحيحا ضم اوله وكسر ثانيه ميزا
له من فعل سمي فاعله والتغيير قد يكون بزيادة ونقصان وتغيير حركة وكان بهذا الاخير
اولى ابقاء لصيغة الفعل على اصلها وتغيير اخر الفعل ممتنع لانه قد يبنى للمفعول من الافعال
ما هو معرب وذلك هو الفعل المضارع كقوله تعالى يغفر لهم ما قد سلف واخر المعرب حرف
اعراب وهو محل حركة الاعراب فكيف يغير ولم يغير اوسطه لانه ان ضم في الافعال المنقولة
الى الفاعل ما هو مضموم الوسط وكذا ان فتح او كسر فيودي الى اللبس بين المغير وغير المغير

كته

تدغم و

كالاسم الواحد فوجب ان يخرج على اصل باب النداء ولان المضاف والمضاف اليه اسمان ٥
حقيقة فلم يمكن ابقاؤهما موقع المضمر لانه مفرد واختلف في المضاف الى ياء المتكلم نحو غلامي
وابي ونظائره فذهب قوم الى انها لا معربة ولا مبنية واخرون الى انها مبنية واحتج الاول ولو انه
بان الاعراب الاختلاف ولا اختلاف وهذا يوجب البناء ولم تشبه ما تبنى لاجله وهذا
ينتفي الاعراب فوجب الوقف واحتج من قال بالاعراب بان الاعراب اصل في الاسما
فاذا عرض ما يمنع ظهوره قدر كالمقصور والحركة في مثل هذا مستثقلة كاستثقالها في
الاسم المنقوص واحتج من قال بانه مبني ان حركته صارت تابعة للياء فتعذرت دلالتها
على الاعراب واذا صار تابعا في الحركة صار تابعا في البناء للمضمر ولانه خرج عن نظائره
من المضافات اذ ليس منها ما يمنع غيره والعامل في المضاف اليه الجزء المضاف وهو الاسم
الاول ولما كان هو الجار له وثبت ان الاسم لا يعمل الا بالحمل على غيره كان حمله على حرف
وذلك الجار لا يكون الا حرفا وهو ما ناسب وقوعه في ذلك الموضع وهو من او
اللام ناب الاسم عنه وليس ثم حرف تضمن الاسم معناه اذ لو كان كذلك لكان الاسم مبنيا واما
الفاء فانها تنبيه على ان ما قبلها علة لما بعدها ويؤيد ذلك وقوعها في جواب الشرط
وقد تاتي رابطة لما بعدها بما قبلها والاشبه استعمالها هنا بمعنى التعليق وان لم توجد
صيغته اذ المعنى ان اقمتم على ما ارى من اهمالكم امري وعدلتكم عني ملت الى غيركم
والاصل في انني انني فحذفت النون الثانية لانك لو حذفت الاولى لاحتجت الى ٥
تسكين الثانية ليصح ادغامها فيحصل عندك حذف وتسكين وادغام ولا كذلك
الثانية فكانت اولى بالحذف وانما دخلت اللام المفتوحة في خبر ان لان موضعها ٥
الاصلي تاكيد المبتدا كقولك لزيد قائم فجمعوا بينهما وبين ان طلبا لزيادة التوكيد ٥
وموضعها الاصلي قبل لانها تستحق التصدر قبل ان فاذا دخلت ان في الكلام وجب
ابقاؤها على ما كانت عليه ولذلك سميت لام الابتدا وانما لم يجمعوا بينهما لئلا يتوالى
حرفا تاكيد ولم يدخلوها على اسم ان مقدما حذرا من الفصل بينها وبين معمولها لان عملها
ضعيف ولان اللام اذا وليت عاملا علقته عن العمل فتعليقها الان بطريق الاولى وتاخير
اللام اولى من تاخير ان لان اللام تؤثر في المعنى وان تؤثر في اللفظ والمعنى فكانت
احق بالتقديم واختلف في انه هل يدخل اللام في خبرها لبقاء معنى الابتدا بعد دخولها واما
لكن فلم تدخل اللام في خبرها في الاختيار وما روي ولكنني في حبها لعميد فشاذ لا يعول

عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا بعزتك

سبحانك اللهم وبحمدك متعرب لا فهام بعيد الاوهام . مرصع جواهر البيان بعيدا للبيان لا الابهام . مطلع كنوز القرآن العظيم بفهم العربية والبيان العميم تنزه عموم صفاتك عن الحال والتمييز . وتقدس كنه جلالك عن الادراك بل الى التعجيز . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عامل معلق واصل لا ملحق واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ملجأ الفصل والوصل صلى الله عليه ما تقدم الفعل واعله . وعطف معمول على عامله تبع لذلك

الامام الاوحد شيخ الاسلام استاذ الزمان فخر خوارزم ابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري رضي الله تعالى عنه هذه نكتة قذفتها خواطر خاطري وفوائد جردتها نواظر ناظري وعقد توسطا بين درر الجواهر وروض تبسم بين الزهور الزواهر لم ينسج على منواله منتال . قد سبق اليه ورزكش يده نظم بين اليواقيت فكل عالم يعجز عنه ما غاص لها الخاطر في بحر الافكار فاستخرج دررها وتاه الناظر في بكر الابكار فاستخرج صور من كل غريبة يكاد يحيد المنظر عن تعرفها . ويقل مزيد الفكر عن تفكرها تعب فيه قريحة المتداري وتاهت في ميادينه فما نفته السوانح جعلتها على شرح قصيدة الشنفري الموسومة بلامية العرب تحفة اتحفت بها الخزانة السعدية . والحضرة العربية . ذي الالاء المتظاهرة والنعم الوافرة تنتهي للفاخر في العلوم اليه . وتثنى الخناصر في الآداب عليه . المستنبط لنتائج القرائح الصافية المستفتح لخبايا المبهمات الغامضة . المستخرج لخبايا الاسرار الكامنة المحرك لنوازع الخواطر الساكنة . المستولي على جوامع الحكم بالتوقير والتعظيم والتقريب والتكريم لاهلها واعزاز الكتب المؤلفة فيها . واعزاز اربابها ومصنفيها حتى فاق الورى وحاز اللذى وصار الاسوة المقتدى بحيث يلزم كل ذي علم ان يؤمه بفضله واقول

بالسعد احيى المجد بعد دروس العلا . . . حتى الرياسة منه طود راسخ ⑤

يهوى المعالي مولعا بوصالها . . . وادام عامر بذله في المنائح

راعى الخطوب المدلهمة بعد جماعتها . . . والان عن قلب الزمان القاسي

واعاد نور الحق في مشكاته . . . واقام وزن العدل بالقسطاس

اطال الله تعالى بقاه ما ماست لعارية المستعير ولونت الما التغيير . وخطا بي لمن شا في علم الاعراب . وتحقق في ميادين اوكان بالعجب سند الاطراب وسرد على المعاني والابانة وعرفه التحقيق من مهارس التبيان وطالع اساس البلاغة وعرف براعة البراعة واشاله العرف فيما قصدت والمعتمد على ما عوّلت عليه وبه . الشنفري هو العظيم الشفتين وقيل

الاذكار

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، صاحب الفضل فى كل شيء ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، وما من نعمة إلا هو مُسَيِّرها ، وما تسقط من ورقة ولا تنبس من شفة ، ولا يتنفس من متنفس إلا هو أحصى ذلك ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو اللطيف الخبير .

اللهم لا إله إلا أنت ، نشهدُك أنا نشهد أنه لا إله إلا أنت الحقُ وحدك وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبدك ورسولك .

اللهم صلِّ وبارك على محمد وعلى آله وصحبه كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وبعـــد

فلقد كان توفيقنا فى إخراج هذا الكتاب أمراً لا يرجع الفضل فيه إلا لله وحده ، فحينما كان الأستاذ محمد عبد الرازق عرفان يُلملم شتات بحثه للماجستير عن « القيم العربية فى لامية العرب » ، كنت أنا مشغولا بالبحث عن شروح هذه اللامية ومعارضاتها ، خصوصاً « لامية العجم » للطغرائي . فما إنْ علمت أنّه مشغول بهذا الأمر إلا أحسست بأن الله قد يسَّر ؛ فالساعدان خير من الساعد ، ولقد كان تخصُّص الأستاذ محمد عرفان الأدبيّ وراء كثير من هذا الخير .

كانت إرادة الله تعالى أن نقع على شرح الزمخشرى فى طبعته النفيسة العتيقة التى طبعت بالآستيانة منذ أكثر من مائة سنة ، ومعه الشرح المنسوب إلى المبرد فى نفس الطبعة . ورأينا أن نقدم لدارس الأدب العربى تيسيراً بضم هذين الشرحين وما نستطيع أن نحصُل عليه من شروح لها فى موضع واحد ، وبطريقة تيسر له الإفادة منها ، وقد كان الله فى العون والحمد لله ، فبالبحث وجدنا شروحا ثلاثة قديمة مطبوعة منذ أكثر من سبعين عاماً و لم تُعَد طباعتها هى شروح : ابن عطاء الله وابن زاكور والعكبرى . فقررنا نشرها جميعا فى مظِنَّة واحدة .

ثم رأينا أن تكون الشروح المتعلّقة بالبيت الواحد عقب البيت مباشرةً ، مرتبة حَسَبَ تقدُّم مصنف الشرح . ولما كان الشرح المنسوب للمبرد يرجح ألا يكون له ، أخرناه بعد شرح الزمخشرى ، حيث ثبت لنا ــ أو رجُح جداً على الأقلّ ــ أن شرح الزمخشرى هو أقدم هذه الشروح .

والحقَّ نقول إن منة الله على الأمة بِخُدَّامِ هذا التراث عظيمة ، إلا أن بعض المطابع ــ وبعض المحققين أيضا ــ يشوب عملهم التصحيف والتحريف ، وهذا ما ألفيناه كثيراً فى شروح اللامية المطبوعة قديما ، فكان علينا أن نصوب هذا جميعا بالرجوع إلى المصادر . وقد كان بعون الله . لكن الإشارة إلى المصادر والمراجع لم نهتم بها فى كل حال .

فكانت الشروح التى اعتمدناها ــ بإذن الله ــ هى أهم شروح اللامية، ويتضح ذلك بعد قراءة الجزء الخاص بالدراسات التى قامت على هذه اللامية من المقدمة إن شاء الله تعالى .

وأخيراً :

نقدِّم هذه الشروح إلى دارسى اللغة والأدب العربى راجين الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

والله من وراء القصد ،

المحققان

الشــروح

التــى إعتمـدناهـا لـــلاميــة

١ ــ أعجب العجب شرح لامية العرب

للزمخشرى

٢ ــ شرح المــبرّد :

منسوب إليه

٣ ــ شرح العكبرىّ

لأبى البقاء العكبرى

٤ ــ تفريج الكُرَب عن قلوب أهل الأدب
فى معرفة لامية العرب

لمحمد بن القاسم بن زاكور المغربى

٥ ــ نهاية الأرب فى شرح لامية العرب

لعطاء الله بن أحمد المصرى المكّى

من أهم فضائل هذه الشروح

١ ــ أنَّها شروح لقصيدة من أكثر الشعر العربى شهرة فى دراسة الأدب العربى ، حتى سميت باسم « لاميّة العرب » . واللامية هى القصيدة التى تنتهى بحرف اللام فى قافيتها .

٢ ــ أنها لعلماء من أعلام العربية والأدب ، وما نزال نسمع ونقرأ عن الزمخشرى إمام التفسير ، والمبرد إمام اللغة ، والعكبرى إمام النحو والقراءة ، .

٣ ــ أنها جمعت فضائل الشرق والغرب .

ــ فالزمخشرىُّ إمام فى المشرق .

ــ والمبرد إمام فى البصرة .

ــ والعكبرى إمام فى بُغداد .

ــ وابن زاكور إمام فى المغرب .

ــ وابن عطاء إمام فى مصر ومكة .

٤ ــ أنها متنوعة المشارب والثمرات : ــ

ــ فالزمخشرى ذو حسٍّ بلاغىٍّ

ــ والمبرد ذو حسٍّ لغوى

ــ والعكبرى ذو حسٍّ نحوى

ــ وابن زاكور وابن عطاء يجمعان ذلك معاً ، وكم للمتأخِّر من فَضْلٍ . والله أعظم فضلا ، هو المولى ، ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التمهيد)

مهما اختلفت الدراسات التى تتناول العمل الأدبى ، فإنها تلتقى عند نقطة هامة ، وهى أنها تفجر الثروات الكامنة فى هذا العمل ، وتبرز المضامين المختزنة فيه ، ولذلك فإن ابتلاء العمل الأدبى بهذه الدراسات المختلفة ليس نقمة عليه بقدر ما هو نعمة له ، ولقد تداولت الشعر الجاهلى دراسات مختلفة ، يمكن أن تعد رائدة فى مجالها بالنسبة لدراسة الشعر الجاهلى .

ولكن الملاحظ أن طبيعة هذه الدراسات ومناهجها كانت توجها إلى أن تكون دراسة لمجموع الشعر الجاهلى ، أو مجموع شعر شاعر بعينه ، أو مجموعة شعراء بعينها وربما كان من أهم إيجابيات هذا المنهج أنه يطل على مجموع السمات التى تتحقق فى جملة هذا الشعر ، وبذلك تعطى صورة عامة لهذا المجموع من المنظور الذى درس منه ولكن لم تتجه هذه الدراسات إلى دراسة شريحة واحدة من هذا الشعر ، مع أن هذا النوع من الدراسة ، قد يعطى صورة أكثر تحليلا ، خصوصاً إذا كانت هذه الشريحة معلقة من المعلقات أو قصيدة من ذوات الصبغة المتميزة ، فمثل هذه الدراسة ستضيف شيئا ما إلى الدراسات السابقة ، فمثلا يمكن سبر مقدرة الشاعر على صياغة نظرية اجتماعية مثلا فى أحد مواقف حياته لا كلها ، وتقويم هذا الموقف الأدبى من حيث تشكله بروح الشاعر العام ، ونظرة الشاعر إلى الكون والحياة من حوله ، ولعل هذا هو السبب الذى يجعلنى أعتقد أن هذه الدراسة تكون أكثر فائدة من الدراسات التى تنشأ حول المعلقات بصفة عامة ، وذلك لاختلاف الشعراء والأجواء النفسية والاجتماعية ، فهل يمكن القول بأن دراسة مثل « دراسة لامية الشنفرى » وما تحمله من قيم عربية هى واحدة من الدراسات التى تتجه إلى تقويم موقف الشاعر ، والوقوف على عطاءاته الشعرية من خلال قصيدته ؟ ولا يبدو لى أن الدارسين يجهلون

الاهتمام الذى تميزت به لامية العرب للشنفرى فى القديم والحديث من الأدباء والنقاد ، فلقد سميت (لامية العرب) لما تحمله من قيم عربية ، فكأنها من تأليف العرب مجتمعين ، أو كأن الشنفرى أسقط عن العرب كلفة الحديث عن أنفسهم ، وبيان مفاخرهم المتعلقة بالقيم المركوزة فى أنفسهم ، ثم هى قد عورضت فى العصر العباسى بلامية الطغرائى التى سميت لامية العجم .

والمطلع على ثبت بروكلمان لشرح اللامية ، يحس مدى اهتمام أهل اللغة والنقد بهذه اللامية على الخصوص ، وسنذكر ذلك بالتفصيل عند الحديث عن أهم الدراسات حول اللامية إن شاء الله . (٨)

ولعله يغنى عن ذلك أن نعلم أن خمسة من أعلام اللغة والبلاغة قد بذلوا جهدهم لشرح هذه اللامية هما : المبرد والزمخشرى والعكبرى وابن زاكور وعطاء الله .

على أن هؤلاء ، وغيرهم قد تعرضوا لها بالشرح اللغوى أو اللمسات البلاغية ، دون محاولة التركيز على استخلاص هذه القيم الاجتماعية التى نهدف إلى استخلاصها فى بحثى إن شاء الله ، فقد رأيت أن أقسم البحث إلى ثلاثة فصول :

يضم الفصل الأول نبذة عن حياة الشاعر ، ثم أهم الدراسات التى تعرضت للامية ويتناول الفصل الثانى القيم العربية من لامية العرب ، أما الفصل الثالث فيتعرض للتصوير الفنى لهذه القيم .

وإذا كان هناك بعض الشك فى نسبة هذه اللامية إلى الشنفرى ، وإذا كان الدفاع عن هذه النسبة مشهورا منذ قديم ، وإن ساغ هذا الدفاع ورجحناه ، إلا أننا لن نتعرض إلى هذا الأمر فى دراستنا للامية ، وإنما ستنصب الدراسة على مضمون القصيدة التى تتكون من ثمانية وستين بيتا ، باعتبارها عملا فنيا معبراً عن قيم اجتماعية معينة ، ينطبق عليها قول صاحب المفضليات : « الشعر ديوان العرب ، وترجمان أفكارهم ، وعنوان مفاخرهم ، ورافع ألوية عظمتهم ، ثم هو المرآة الصادقة لحياتهم » .

ولما كان مجهود السابقين المتعلق بهذه اللامية منصبا فى حدود لغوية ، لا يكاد

يتعدى الشرح اللغوى والإعراب ، فقد أصبح استخلاص القيم العربية منها منوطا بجهد الدارس ، فقد حاولت ما استطعت قراءة هذه اللامية قراءات متأنية بغية استخلاص ما فيها من إرشادات إلى قيم عربية ، بل حاولت المقارنة بشعراء آخرين فى العصر الجاهلى وما تلاه .

ولا شك أن هذا المنهج ــ الذى يحق أن يوصف بأنه جديد ــ عرضة لاحتمال الصواب والخطأ ، وبحسب المرء فيه أنه قدم ما استطاع تقديمه ، ولا يهم الباحث أن يتحدث عن المصاعب التى واجهته ، بقدر ما يهمه أن تظفر النتائج بقدر من الاهتمام ، ويبقى بعد ذلك القول المشهور : « اللهم إن كان هذا صوابا فمن الله ، وإن كان خطأ فمنى » .

ولقد كانت عناية أستاذنا الدكتور عبد الحميد إبراهيم ــ بعد عناية الله ــ بهذا البحث من أهم وسائل إخراجه بهذه الصورة .

وأما المكتبات فإنا نشكر القائمين عليها ، خصوصاً الأستاذ محمد حسن أمين مكتبة كلية الآداب ، والأساتذة القائمين على المكتبة ، وكذلك القائمين على مكتبة مجلس المدينة بالمنيا ..على مساعدتنا فى الحصول على الكتب التى كنّا نريدها .

وعموما فإن الأحق بالشكر والحمد هو الله تبارك وتعالى ، على ما أعان ووفق والله من وراء القصد ،

نبذة عن حياة الشاعر

قصدنا بدراستنا للامية العرب ، دراسة ما تحتويه من قيم نتجت عن تكوين العربى النفسى والاجتماعى ، وبذلك لا يصبح الشاعر قائل القصيدة هو المقصود بالدراسة غير أنه لا ينبغى أن نغفل الوجه الذاتى فى أى عمل أدبى ، ومن ثم كان من الصحيح ــ فى اعتقادى ــ أن نبدأ بتعريف مختصر للشاعر ، وقد لفت إلى هذا الجانب قبلنا النقاد عامة ، نذكر لأحدهم عبارة تؤكد هذا المعنى ، فقد قال الأستاذ إيليا حاوى فى تقديمه لموسوعة الشعر العربى : « إن مقدمة الشاعر فضلا عن أنها تلم بأحداث حياته ، وظروفه التاريخية ، فإنها تلقى ضوءاً نقدياً على صنعة الشاعر وأسلوبه ، وتبين مناحى التجديد والتقليد عنده ، كما تسبر أغوار تجربته الذاتية ، وترسم صورة واضحة لأسس مدرسته الفنية ، وانتماءاته الفكرية والاجتماعية ، وبذلك تضع العمل الفنى المفرد فى منظوره الفنى والتاريخى الشامل ، وتبرز عناصر التكامل والتنافى بين الكل والجزء » .[1]

اسم الشاعر ولقبه :

لا نعثر فى الكتب التى ترجمت للشنفرى على اتفاق بالنسبة لسياقة الاسم ، فمنهم من سماه الشنفرى واكتفى بذلك كما فعل الزمخشرى حيث قال : إن اسمه الشنفرى[2] ، وكذلك المبرد ، غير أنه تتبع نسبه ، فقال الشنفرى بن الأوس بن الحجر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ ، قال أبو العباس الشنفرى البعير الضخم ، وقيل العظيم الشفتين .[3] ، وقال ابن منظور :

---

(١) موسوعة الشعر العربى ــ مطاع صفدى وإيليا حاوى ــ شركة خياط للكتب والنشر ــ ط / بيروت سنة ١٩٧٠ م ٣/١

(٢) أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى ــ مطبعة الجوائب ــ القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ١١

(٣) المرجع نفسه

الشنفرى اسم رجل وعده من الإسلاميين .[1]*

أما محقق لسان العرب فقال عنه : عمرو بن مالك[2] ، أما البجاوى محقق شرح المفضليات فقد ذكر أن اسمه عامر بن عمرو الأزدى[3] ، وقالت عنه موسوعة الشعر العربى أنه : ثابت بن أوس الأزدى ، الملقب بالشنفرى[4] ، ويتفق على هذه التسمية الموجز فى الأدب العربى[5] ، وكذلك كتاب شعراء من الماضى[6] .

طفولة الشاعر وصباه :

ذكر صاحب الأغانى أخبار الشنفرى ونسبه فقال : وأخبرنى بخبره الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا أبو يحيى المؤدب ، وأحمد بن أبى المنهال المهلبى ، عن مؤرج عن أبى هشام محمد بن هشام الثميرى ، أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرِّج بن عوف بن ميدعان بن مالك ابن الأزد رجلا من فهم ، أحد بنى شبابه فقدته بنو شبابه بالشنفرى قال : فكان

---

(١) لسان العرب لابن منظور دار المعارف ــ مادة شنفر . * وممن قالوا بأن اسمه الشنفرى أبو الفرج الأصفهانى « الأغانى »
ــ تحقيق عبد الكريم إبراهيم ــ الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م ١٧٩/٢١
ــ كارل بروكلمان ــ تاريخ الأدب العربى ــ ترجمة النجار ــ دار المعارف ١٠٥/١
ــ د . محمد صبرى ــ الشوامخ ــ دار الكتب سنة ١٩٤٤ ص ١٢٥
ــ د . عبد الحليم حفنى ــ شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ م ص ١٦١ .

(٢) لسان العرب ــ المحقق ــ مادة غرب .

(٣) هامش شرح المفضليات ــ على محمد البجاوى ــ هامش ٣٧٩/١ .

(٤) موسوعة الشعر العربى ص ٥٣ .

(٥) الموجز فى الأدب العربى ــ لجنة من الأساتذه بالأقطار العربية ــ دار المعارف ص ٧٢ .

(٦) شعراء من الماضى ــ كامل العبد الله ــ منشورات دار الكتب ــ مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٢ ص ٥٨ .

الشنفرى فى بنى سلامان بن مفرِّج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذى كان فى حجره ، وكان السلامى اتخذه ولدا ، وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشنفرى : اغسلى رأسى يا أُخَيَّة ، وهو لا يشك فى أنها أخته ، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته ، فذهب مغاضبا حتى أتى الذى اشتراه من فهم ، فقال له الشنفرى : أصدقنى ممن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أما إنى لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتمونى ، ثم إنه مازال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلا ، وقال الشنفرى للجارية السلامية التى لطمته ، وقالت لست أخى :

ألا ليت شعرى والتلهف ضلةُ بما ضربت كف الفتاة هجينها
ولو علمت قهوس أنساب والدى ووالدها ظلَّت تقاصر دونها
أنا ابن خيار الحُجر بيتا ومنصبا وأمى ابنة الأحرار لو تعرفينها

قال : ثم لزم الشنفرى دار فهم ، فكان يغير على الأزد على رجلين فيمن تبعه من فهم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشنفرى لبنى سلامان :

وإنى لأهوى أن ألف عجاجتى على ذى كساء من سلامان أو برد

وظل يغير على بنى سلامان ، حتى ترصَّده أسيد بن جابر وغلامان معه وهو عائد من سوق حباشة ، فوثبوا عليه فأخذوه ، فشدوه وثاقاً ، ثم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم وقتلوه ، قال : وقال ظالم العامرى فى الشنفرى وغاراته على الأزد وعجزهم عنه ، ويحمد أسيد بن جابر فى قتله الشنفرى :

فما لكم لم تدركوا رجل شنفرى وأنتم خفاف مثل أجنحة الغُرْب
تعاديتم حتى إذا ما لحقتم تباطأ عنكم طالبُ وأبو سَقْب
لعمرك للساعى أسيد بن جابر أحق بها منكم بنى عقب الكلب

وقال : ولما قتل الشنفرى وطرح رأسه ، مر به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه فعقرت قدمه فمات منها ، فتمت به المائه .[1]

وذكر كارل بروكلمان أنه كان رفيق تأبط شراً فى كثير من غزواته ، وكان أكبر

---

(١) الأغانى ٢١ / ١٧٩

سنا من تأبط شراً ، وتوفى قبله ، ورثاه تأبط شراً ، ثم قال :

والشنفرى من بنى الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد ، فهو من اليمانية ، ولم يرد لغيره منهم شعر ، ولكنه قال الشعر بلغة عرب الشمال ، لأنه وقع أسيراً وهو صبى فى بنى شبابة من بنى فهم ، فانتمى إليهم ، وتعلم عنهم لغة نجد ، ولم يزل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج من الأزد رجلا من بنى شبابه ففدت بنو شبابه هذا الرجل بالشنفرى ، وكان فى بنى سلامان لا تحسبه إلا واحدا منهم حتى أساء إليه رجل كان الشنفرى خطب إليه بنته ، فرجع إلى دار بنى فهم ، وكان يغير على بنى سلامان ، ويقتل كثيرا منهم ، وصحبه تأبط شرا فى كثير من هذه الغزوات ، وأخيرا قتل الشنفرى فى إحدى غاراته[1].

أما الموسوعة العربية الميسرة ، فذكرت أن وفاته كانت سنة ٥٢٥ هـ ، وهو شاعر صعلوك ، مختلف فى تاريخ حياته ، والمظنون أنه كان هجينا ، يحمل حقدا عنيفا لبنى سلامان ، نشأ فى بنى فهم فعاشر صعاليكها ، وعلمه تأبط شرا اللصوصية ، وضمه إلى جماعته ، فأخذ يغير معهم ، ومنفردا على القبائل المجاورة وسلامان خاصة ، شهر بسرعة الجرى ، وأخيرا ترصد له قوم منهم ، فقبضوا عليه وعذبوه ، وقتلوه ، ويصف شعره الباقى حياته ، ومغامراته ، والصراع بينه وبين أعدائه ، ويكثر به الألفاظ الغريبة ، وتنسب إليه القصيدة المعروفة (لامية العرب)[2]

أما موسوعة الشعر العربى فأوردت أنه لم يعرف تاريخ ولادته ، وقيل فى نشأته آراء مختلفة ، وروايات متباينة ، ولكن ثمة إجماع على القول بأنه عاش ، ونشأ بين بنى سلامان من بنى فهم الذين أسروه ، وهو طفل صغير ، فلما شب عرف بقصة أسره ، فحلف أن يقتل منهم مائة رجل ، وقد مات مقتولا على يد أحد أفراد القبيلة التى انتقم منها ، وقتل تسعة وتسعين من رجالها ، وأما القتيل المائة ، فقيل أنه بعد

---

(١) تاريخ الأدب العربى ص ١٠٥

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ــ إشراف محمد شفيق غربال ــ مؤسسة فرانكلين للطباعة ــ والنشر ــ القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ١٠٩٦

أن مات الشنفرى ، رفسه هذا الرجل على جمجمته ، فدخلت شظية فى قدمه وقتلته[1]*.

وذكر كاتب شعر الصعاليك أنه أزدى يمنى الأصل ، ولكنه سبى وهو صبى ، وعاش أسيرا فى بنى شبابة بن فهم من نجد ، ثم انتقل إلى بنى سلامان بن مفرج بنجد أيضا ــ فى حادث مبادلة أسرى بين بنى سلامان وبنى فهم ، ومن خلال الروايات عن شخصية الشنفرى وظروفه ، نرى فيه شخصية فذة فى عدة نواح ، فى قوة الإرادة إلى درجة غير مألوفة ، ومن أمثلة ذلك تصميمه على قتل مائة رجل من بنى سلامان ، وإنفاذ عزمه ، عاش فى أسوأ ظروف اجتماعية أبرزها أنه أسير ذليل لا يملك حتى حريته ، بل ازدادت الظروف قسوة عليه حين تعرض لحوادث اضطهاد وإذلال من بنى سلامان حيث تطلعت نفسه إلى الارتباط بإحدى فتياتهم[2].

نقطة التحول فى حياته :

إذا كان تاريخ ولادة الشاعر مجهولا ، وقيل فى نشأته آراء مختلفة ، وروايات متباينة ، ولكن ثمة إجماع على أن نقطة التحول فى حياته كانت عندما عرف بقصة أسره عند بنى سلامان ، وذلك عندما خطب ابنة رجل منهم ، فأساء إليه ، وعرفه بنسبه ، فتركهم إلى بنى فهم ، مقسما أن يقتل منهم مائة ، وكان يغير عليهم ، ويقتل منهم ، إلى أن قتل فى إحدى غاراته .[3]*

ويقول عنه صاحب الشوامخ « أنه كان عداء شديد السرعة على قدميه ، وكانت

---

(١) موسوعة الشعر العربى ص ٥٣ * يقول بنفس الرواية الموجز فى الأدب العربى ص ٧٢

(٢) شعر الصعاليك «منهجه وخصائصه » . د . عبد الحليم حفنى ــ الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ ص ١٦١

(٣) الأغانى ٢١ / ١٢٩ * وقال بذلك أيضا : تاريخ الأدب العربى ص ١٠٥ / شعر الصعاليك ص ١٦١ / الموجز فى الأدب العربى ص ٧٢ / موسوعة الشعر العربى ص ٥٣ / ص٥٥ الهامش / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٩٦ .

الخيل لا تلحقه قط ، وكان يغير بالليل ، كان يتطرق بنى سلامان ، ويغير عليهم ، وهو القائل :

وإنى لأهوى أن ألف عجاجتى على ذى كساء من سلامان أو بُرُد
وأمشى بالعضداء أبغى حماتهم وأترك خلا بين أرباع فالسَّرَدْ[1]

(١) الشواخ « الشعر الجاهلى : خصائصه وأعلامه » د . محمد صبرى ــ دار الكتب سنة ١٩٤٤ ص ١٢٥

أهم الدراسات التى تناولت لامية العرب

سيتناول البحث إن شاء الله دراسات القدماء ، ودراسات المحدثين .

أولا : دراسات الأقدمين

ذكر بروكلمان عدة شروح للامية العرب هى : ــ

١ ــ شرح لامية العرب المنسوب للمبرد ، وقد رجح بروكلمان ، أنه لثعلب ، ولم نجد من نشره بهذه النسبة ، وإنما ذكر ذلك جورج ياكوب ، فى دراسات فى شعر الشنفرى أكاديمية العلوم فى بافاريا ص ١٥ .

وسواء كان الشرح للمبرد أو لثعلب ، فهو أقدم شرح وصل إلى أيدينا ، وسنحاول أن نعرض لمنهج هذا الشرح إن شاء الله .

٢ ــ شرح أبى بكر بن دريد ، ومنه مخطوطة فى برلين تحت رقم ٧٤٠٨ .

٣ شرح الزمخشرى ، الذى طبع بالجوائب ، مع شرح المبرد سنة ١٣٠٠ هـ ولم يذكر بروكلمان هذه الطبعة التى رأيناها ، وإنما ذكر أنه طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ، مع شرحين آخرين . ويظهر الزمخشرى ــ فى هذا الشرح ــ كنحوى ولغوى أكثر من أن يكون أديبا ، فكنت أقرأ الشرح أحيانا ، لكى أفهم معنى بيت فلا أجده ، لأن الشارح انصرف إلى شيء آخر .

فمثلا فى شرحه للبيت الأول من القصيدة :

أقيموا ، بنى أمى ، صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم ، لأميل

يقول : أصل أقيموا : أقوموا ، وماضيه أقام ، وعينه واو لقولك فيه أقوم ، فاستثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت إلى القاف ، ثم قلبت الواو ياء لسكونها ، وانكسار ما قبلها .

والمعنى : أقمتم على ما أرى من إهمالكم أمرى ، وغفلتم عنى ، ملت إلى غيركم .

٤ ــ شرح عبد الله بن الحسين العكبرى ، ومنه مخطوطة فى برلين تحت رقم ٧٤٦٩ .

٥ ــ شرح يحى بن عبد الحميد الحلبى الغسانى ــ مخطوطة اسكوريال ثانى ٣١٤ .

٦ ــ شرح السويدى : المتحف البريطانى أول ٤ و ١٤١٥ .

٧ ــ شرح المؤيد بن عبد اللطيف النقجوانى ، ليدن ٥٦٩ .

٨ ــ شرح محمد بن الحسين بن كجك التركى بخط المؤلف : أيا صوفيا ٤١٤٥ ، جامعة بطبر سبرج ٧٣٢ .

٩ ــ شرح أبى الإخلاص جاد الله الغنيمى الفيومى ، القاهرة ثان ٣ : ٢٥٨ ، وآصفية ٢ : ١٢٤٤ .

١٠ــ شرح لمجهول برلين ٣ / ٧٤٧٢ .

١١ــ شرح ثعلب : آصفية ٢ : ١٢٤٤ ، والفاتيكان ثالث ٣٦٤ .

١٢ــ شرح التبريزى : ترنستون جاريت ٨ .

ثانيا : دراسات المحدثين

١ ــ كتاب الأصول الفنية للشعر الجاهلى د . سعد اسماعيل شلبى

يتحدث عن التعاطف بين الإنسان والطبيعة ، وإن بلغت من العنف إلى درجة الوحشية ، فهى المصالحة والأمان بين أخطار الطبيعة والإنسان ، وذلك من خلال أبيات اللامية التى يتحدث فيها الشاعر عن الذئب الجائع ، مع الذئاب الجائعة ، والتجاوب الذى كان بينه وبينها ، ومن خلال حديثة عن اندماج الشاعر العربى وتجاوبه مع الطبيعة .

٢ ــ كتاب الشوامخ : « الشعر الجاهلى خصائصه وأعلامه » د . محمد صبرى

ركز على الجانب الوصفى عند الشنفرى ، كتصويره للذئاب الجائعة ، وكذلك ولعه بتصوير جماعات الطير والحيوان ، وذلك من خلال حديثه عن التمثيل والتصوير عند الشنفرى بوجه عام .

٣ ــ الموجز فى الأدب العربى : لجنة من الأساتذه بالأقطار العربية

انصبت الدراسة فيه على شرح اللامية ، وعلى إظهار ما يتميز به أدب الشنفرى من خشونة فى الألفاظ ، والتدفق الفطرى ، والالتصاق بالمادة .

٤ ــ كتاب الحياة العربية من الشعر الجاهلى د . أحمد الحوفى

تحدث عن اللامية فى إطار حديثه عن أدب الصعاليك بعامة ، وما يميزه من خصائص

٥ ــ كتاب شعراء من الماضى : كامل العبد الله

تناول اللامية من حيث أنها صورة صادقة معبرة عن حياة فئة من الصعاليك ، أولئك الذين أنكرهم الناس إذ تنكرت لهم موارد الرزق ، فتنكروا للناس جميعاً وحملوا أحقادهم وآلامهم ومجاعاتهم إلى البادية ، يرون فى وحشها أنيساً ، وفى غزوات فتك يغيرون فيها متنفساً لأحقادهم .

٦ ــ البرناسية فى الشعر الغربى والعربى : إيليا حاوى

ذكر اللامية على ضوء المذهب البرناسى ، فهو يرى أنه يقع فى هذا المذهب ، وصفه الشاعر للذئاب الجائعة ، ووصف القوس ، ووصف شعره ، ويرى أن وصفه للذئاب « قطعة برناسية صافية الأديم » .

٧ ــ كتاب شعر الصعاليك « منهجه وخصائصه » دكتور عبد الحليم حفنى

تناول أهمية اللامية ، وتحدث عن الشك الذى دار حولها بالنسبة إلى نسبها إلى الشنفرى ، والرد على هذا الشك ، ثم قدم شرحاً موجزاً للامية ، تحدث بعده عن منهج وخصائص شعر الصعاليك بعامة .

٨ ــ موسوعة الشعر العربى : مختارات وشرح مطاع صفدى وإيليا حاوى .

تحدثت عن مكانة اللامية من الشعر الجاهلى ، ثم مكانة الشنفرى بين الشعراء الصعاليك وتقدمه عليهم جميعا بفضل شهرة قصيدته المطولة لامية العرب ، وبعد ذلك تناولت القصيدة بالشرح ــ وقد طبعت هذه الموسوعة ببيروت سنة ١٩٧٠ م .

٩ ــ ترجمة للامية العرب إلى الانجليزية تحت عنوان :

Shanfra, Lamijat ul Arab a Pre Islamic Arabian Qasida, Transl. Into Engl. Verses By G Hughes 1896.

١٠ ــ ترجم جورج ياكوب اللامية مع مقدمة فى طبعة فاخرة بمدينة هانوثر سنة ١٩٢٣ .[1]

(١) هذان الأخيران لم يقدر لنا أن نراهما ، ولكن ذكرهما بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ١٠٧/١

القيم العربية

« الأدب ــ كسائر الفنون ــ تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ، هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن عصر إلى عصر ، ولكنها فى حال تنبثق من تصور معين للحياة ، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون ، وبين بعض الإنسان وبعض ، ومن العبث أن نحاول تجريد الأدب أو الفنون عامة من القيم التى تحاول التعبير عنها مباشرة ، أو التعبير عن وقعها فى الحس الإنسانى ، فإننا لو أفلحنا ــ وهذا متعذر ــ فى تجريدها من هذه القيم ، لن نجد بين أيدينا سوى عبارات خاوية ، أو خطوط جوفاء ، أو أصوات غفل ، أو كتل صماء ، كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلى للحياة ، والارتباطات فيما بين الإنسان والكون ، وبين بعض الإنسان وبعض ، ويستوى أن يشعر الإنسان بأن له تصورا خاصاً للحياة أو لا يشعر ، لأن هذا قائم فى نفسه على كل حال ، وهو الذى يحدد قيم الحياة فى نظره ، ويلون تأثراته بهذه القيم »[1]

فالشعر فى نظر كثير من الدارسين هو مضمون مفعم بالقيم الصالحة ، مهما اختلفت الأفكار فى تحديد المقصود بالصلاح ، وإذا كان بعض الشعراء المحدثين والقدماء يسندهم بعض النقاد ، قد حاولوا انتزاع أنفسهم من « أسر القيمة » ــ إن صح هذا التعبير ــ وعدوا النوع الأول « شعراء منفعة » ، وقامت مدرسة أو على الأقل تيار نقدى ، يدعوا إلى الفن للفن ، نقول : إذا كان كل ذلك قد حدث ، بل ولم يمت بعد ــ فإن الأمر الذى ينبغى إظهاره : أن هذا التيار لم يستطع أن يقضى على نظرية القيمة ، التى تعد أخطر ما فى الشعر .

وينبغى حين الحديث عن علاقة الشعر بالقيمة ألا نخدع فنظن أنه لابد أن يكون

---

(١) النقد الأدبى « أصوله ومناهجه » ــ الأستاذ سيد قطب ــ دار الشروق ــ الطبعة الشرعية الخامسة سنة ١٤٠٣ هـ ص ١٠١

الشاعر صادقاً كل الصدق من الناحية الشكلية فى تصوير القيمة ، فالقيمة التى تسيطر على كيان المرء ــ فضلا عن الشاعر ــ تضطره إلى شيء غير قليل من المبالغة فى إظهارها أو التهويل فى الحديث عنها ، وقد أحس بعض الدارسين بهذا الأمر ــ فيقول د . أحمد الحوفى فى حديثه عن الشعر الجاهلى : « ولست أنكر أنه عرضة لأن يتطرق إليه الكذب والمبالغة ، ولكننى أرى أنهما يتطرقان أيضا إلى التاريخ المدون ، والآثار المنقوشة لأن التاريخ تسجيل فرد أو أفراد ، فهو عرضة لأن يتأثر بالرواية المنقولة ، ولقد تكون مدخولة ، وعرضة لأن يميل مع الهوى والعاطفة ، ولكن الشعر تسجيل آلاف من قبائل شتى فى زمن طويل ، ففيه مجال أوسع لاستكناه الحقيقة من سجلات متنوعة ، خلفها شعراء عبروا عن عواطفهم صادقين ، وصوروا حياتهم العامة غير كاذبين ، وإذا كان فى شعرهم ألوان من الخيال تضخم الواقع ، فان من مميزات الأدب فى العالم كله هذا التخييل والتجميل ، الذى لا يخلو من تهويل ، على أن الشعر أدق تصوير للحياة ، لأنه يتناول ما يهمله التاريخ » .[1]

ثم لا ينبغى لنا أيضا أن نخدع فنخلط بين تصوير الشعر للقيمة ، وبين كونه وعظا جافاً لا حياة فيه ، فقد يتخير الشاعر لإظهار قيمة قالبا قصصيا ، وقد يختار لها جوا خياليا ، وربما دق استخلاص هذه القيم من مثل هذه الأجواء ، ولعل هذا هو الذى أشار إليه د . زكى نجيب محمود « الفنان والشاعر يضمن المعانى فى التفاعل البشرى ، وعلى الناقد أن يغوص إلى القاع الفكرى ، ويقول:إن الشاعر يريد أن يقول ذلك ؛ أن يطرح شبكته بحثا عن معنى يريد أن يقوله الشاعر ، فهذا هو العمق ، وإلا فالعمل الشعرى فارغ »[2]

بل لا يهتم بالقالب الشعرى ، ويرى أن الشعر الحقيقى هو ما يمكن تقنينه ، وله دوام ــ يقول : « أقوى العلامات للشعر الجيد هو الاستمرار ، فربما الشعر الحالى

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ــ د . أحمد الحوفى ــ ط ٤ مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٢ ص ٣

(٢) أمسية ثقافية بالتليفزيون ــ د . زكى نجيب محمود ــ فى ١٤ / ١/ ١٩٨٦

نعجب به ، ولكن هل نقرؤه بعد ألف سنة ؟ هل فيه أنفاس طويلة يمتد بها ؟ »[1]

ويستغرب الباحث من وجود بعض المثقفين حتى يومنا هذا ، يتخيلون أن الذى يدعو إلى أن يحمل الشعر قيما اجتماعية أو إنسانية معينة ، إنما يدعو إلى أن يكون الشعر خطبا منبرية ، ومواعظ لاجمال فيها ، وربما كان حديثنا عن القيم فى هذه اللامية وكيفية تصويرها فى حد ذاته رداً على هؤلاء ، فهم يغفلون جانبا أساسيا فى تكوين الشاعر ، فليس الشاعر نبتا شيطانيا ــ إن صح التعبير ــ ليس له جذور فى الواقع الاجتماعى أو الإنسانى ، كما لا ينبغى له أن يكون مخلوقاً هائماً لا تضبطه ضوابط صحيحة ، ومن ثمة أدرك النقاد أن الشعر العربى « جوهر التراث الثقافى للأمة العربية » .[2] .

ومع ذلك فإنه بهذا المنحى « ما زال مجهولا ، ما زال عالما مغلقا بكرا ، لم تتناوله أقلام النقاد الجدد إلا للمحات عابرة ، لا تستوعب شموله ، ولا تسبر أغواره »[3]

ولعل دراستنا هذه تكون خطوة لكشف هذا المجهول .

فلامية العرب « من خير الشعر الذى يمثل الأسلوب الجاهلى ، أسلوب البداوة ، وهذه القصيدة يتغنى بها المتأدبون كما يتغنون بأحدث الشعر أسلوبا ورقة ، ذلك لأن روح الخشونة والقوة والأنفة ، والحماسة ماثلة فيها ، الحماسة بأوسع معانيها كما فهمها أبو تمام ، ومما يحبب الشعر الجاهلى إلينا خلوه من التعمل ، وصفاء النفس ــ كما قلنا ــ لصدوره عن طابع موهوب فياض كالبحر ، وشعر الطبيعة الواسعة الحرة ، شعر الطفرة القوية ، شعر الجبال والوهاد ، شعر الرياح والرعد المجلجل » .[4]

---

(١) المرجع السابق
(٢) موسوعة الشعر العربى ص ٢
(٣) المرجع نفسه ص ٢
(٤) الشواخ ص ٢٨

« وهى قصيدة من ثمانى وستين بيتا ، وإنها وإن لم تكن ثابتة النسبة إليه فى مجملها ، أو فى قسم كبير منها ، فهى تنطق بلسان البادية الأولى ، وحياة التشرد والعنفوان »[1]

على أن هذه المعانى لا تشفينا فى التعبير الواسع عن مميزات هذه اللامية ، فنحن نرى أنها تحمل فى بطنها أجنة لكثير من القيم العربية ، وربما كان بعضها واضح الملامح لا يحتاج إلى معاناة فى استخراجه وتبينه ، وربما كان بعضها الآخر محتاجاً إلى الروية وإعمال الفكر ، ولكنها على العموم رائدة فى التعرف من حيث الجملة على الخلق العربى بعامة ، ومن ثمة لا نعجب إذا وجدنا الرواة قد نسبوا حديثا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بتعليمها للأولاد ، يقول : « علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق .[2]

وإذا كان لنا أن نختار منهجاً لعرض القيم التى تضمنتها هذه القصيدة فلعله أن يكون عرضا لكل قيمة على حدة ، مع محاولة إلقاء الضوء على أثر حياته فى هذه القيمة ، وأصدائها فى شعره عامة ، وكيفية إبرازه لها من الناحية الفنية .

---

(١) الموجز فى الأدب العربى ص ٧٢

(٢) لم أجدْ ذكرا لهذا الحديث فى كتب الحديث على كثرة البحث ، وإنما ورد فى كتاب شعراء من الماضى ص ٩٨

أهم القيم العربية

الحرية والإباء

« تمادى العرب فى حب الحرية تماديا خرج بهم عن معنى الحرية وحدودها ، لأنهم فهموها حرية مطلقة من القيود التى تتنافى وطبائعهم ، وكان لهذا الفهم آثار سيئة بجانب آثاره الحسنة ، فلم يكد العرب يخضعون للقانون العام المنظم للعلاقات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلا لينفلتوا منه ، ذلك أن هذا التمادى فى حب الحرية ، أو هذا التصور الخاطىء ، كان من أسباب ردة بعض المسلمين عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذ رفضوا أن يخضعوا لسلطان أبى بكر ، وامتنعوا من أداء الزكاة ، مدعين أنها أتاوة لأبى بكر جاهلين حكمتها ، وآثارها الاجتماعية والروحية ، وكان أبو بكر حازما إذ صمم على قتالهم لأن الإسلام وحدة لا تتجزأ »[1].

فالعربى إن كان قد عاش فى بيئة مجدبة ، نادرة الزرع وشحيحة بالخير عامة ، فإنه قد استعاض عن هذا الفقر المادى بأعظم الغنى ، ذلك هو الحرية والإباء « قست الطبيعة » فحرمته كثيرا من الوسائل المادية الحسية ، التى يترفه بها المتحضرون ، ولكنه استمتع بخير ما يستمتعون ، فعاش فى الصحراء حرا كالهواء ، طليقا كالطير ، أبيا كالأسد ، قوى القلب كالصخر ، منبسط النفس ، كالبطحاء ، صافى المشاعر كالشمس المشرقة ، والبدر السافر »[2]

فالعربى يفضل الموت على حياة المذله « ينفر من المرضاة بالضيم ، ويرى أن الضيم لا يصلح به إلا اثنان : الحمار والوتد . يقول المتلمس الضبعى :

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٣٥٦

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥٠

إن الهوان حمار الأهل يعرفه والحر ينكره والرَّسلةُ الأجد
ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف منقول برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد[1]

وأبيات المتلمس يمكن أن تعد تنظيراً لفكرة الإباء ، وهو تنظير لاينقصه الانفعال ولكن الشنفرى يتخطى مرحلة التنظير هذه إلى مرحلة الفعل يقول فى مطلع قصيدته :

أقيموا ، بنى أمى ، صدور مطيكم فإنى ، إلى قوم سواكم ، لأميل

فهو بهذا المطلع يضع أمامنا عنوانا كبيراً لها ، وفاتحة نستطيع من خلالها أن نتعرف على خطوط ما سنجد فى المتن من القصيدة « فالقصيدة تبدأ بالثورة على أهله ، فهو أبّاء لا يقبل الضيم ، ويكره الذل والهوان ، ويترفع عما يأباه خُلقُه ، والوطن عنده ليس مجرد الموقع الجغرافى يعيش به الإنسان حياته ، حتى ولو كانت حياة الذل والهوان ، وإنما الوطن الحقيقى عنده ، هو ذلك الذى يجد فيه كرامته »[2]

فهنا نراه على عكس إخوانه من الصعاليك ، فبينما خلعتهم قبائلهم ، كان هو الذى خلع قبيلته ، غير أن الشنفرى ، وإن كان قد تخطى مرحلة التنظير إلى مرحلة الفعل ، إلا أنه لم يفته تعليل الفعل ، فهو يقول :

وفى الأرض منأى ، للكريم ، عن الأذى وفيها ، لمن خاف القلى ، متعزل
لعمرك ، ما بالأرض ضيق على امرىء سرى راغبا أو راهبا ، وهو يعقل

وهذا فى نظرنا منتهى التجرد ، ذلك الذى يخرج من قوم يحمونه إلى « الأرض » وإلى وحش الصحراء حين يقول :

ولى دونكم ، أهلون ، سيد عملس وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل

---

(١) الحماسة للبحترى (ط / الرحمانية) ص ١٩ ــ نقلاً عن الحياة العربية ص ٣٥٥ .
(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٣٥٥ .

الإيمان بالذات والقدرة على التفرد :

الإباء والقدرة على التفرد صنوان ، فالأبى العاجز قد يصل به الأمر إلى العقد النفسية وقد عرف الأدب الحديث هذه العقد النفسية ، ونلمس ذلك عند بعض الشعراء المصريين فى بعض مراحل تاريخ مصر ، خصوصاً فى مرحلة النكسة ، فهو أدب أزمات نفسية ، إباء داخل النفس ، وعجز عن التفرد ، واتخاذ القرار ، ومثل هذا النوع من الأدب لا يعطى مضامين حقيقية ذات قيمة ، ولعل أستاذنا الدكتور عبد الحميد إبراهيم عبر عن هذا تعبيرا دقيقا حين قال : « إن الكثير من التجارب التى انتشرت فى العالم العربى بعد نكسة حزيران ، لاتمت إلى النفس العربية بصلة ، بقدر ما تمت إلى حالات مرضية فرضتها ظروف الهزيمة والتخبط فى العالم العربى »[1] .

فالشنفرى شاعر لايريد أن يكون مقامه على ذل وهوان ، فما مقامه فى أرض لا يجد فيها حريته ، وإنه لقادر على أن يجعل من كل البلاد بلداً له ، يقول :

وفى الأرض منأى للكريم ، عن الأذى وفيها ، لمن خاف القلى ، متعزل
لعمرك ، ما بالأرض ضيق على امرىء سرى راغبا أو راهبا ، وهو يعقل
ولى ، دونكم ، أهلون : سيد عملس وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل
هم الأهل ، لا مستودع السر ذائع لديهم ، ولا الجانى ، بما جر يخذل

« فالفقر ، والنفس البدوية العزيزة ، هما مصدر الأبيات السابقة ، فجفاف الصحراء ، ومطاردة الشدائد كرا وفرا ، والتنكر للمذلة ، وإيثار الوحوش على الأهل ، لأنها أحفظ للسر ، وأحرص على الجار وإن جار »[2] . كل ذلك يدل على الإيمان بالذات .

بل بلغت به عزة النفس أن أوصى ألا يدفن بعد موته ، بل يترك لتأكله الضبع ،

---

(١) الوسطية العربية مذهب وتطبيق ــ د . عبد الحميد إبراهيم ــ دار المعارف سنة ١٩٧٩ ص ٥١٢

(٢) الموجز فى الأدب العربى ص ٧٢

لأن ذلك أحوط له من أن يبقى جسمه فيمثل به العدو « استسلم للضبع طعاماً وغذاءً وفضل ذلك على القبر الضيق »[1] يقول فى غير اللامية :

لا تـــقبرونى إن قبرى محرم عليكم ، ولكن أبشرى أم عامر[2]

ويضع الشنفرى أيدينا على الدافع الحقيقى ، وفى الوقت نفسه العامل الرئيسى لقدرته على اتخاذ هذا القرار حين يقول :

ولكن نفساً مرة لا تقيم بى على الضيم ، إلا ريثما أتحول

حتى أن أصحاب كتاب (الموجز) يرون أن صنيع الشنفرى هو من قبيل الترف فى الاعتزاز والشرف ، وعلو النفس .[3]

العفة :

يتعفف العربى عن سلوك الجشع ، أو أى سلوك يخدش الكرامة « فى هذه البيئة التى قامت فيها الأخلاق على الإباء ، والاعتزاز بالشرف ، وحسن الأحدوثة ، كان لابد للرجال والنساء من العفة ، ومن التعفف ، لأن العدوان على العرض يجر ويلا وحربا ، وكان لابد من الغيرة على العرض أن يمس ويخدش ، والعفة شرط من شروط السيادة فهى كالشجاعة والكرم »[4].

والعفة فى حياة العربى أنواع ، فمنها ما هو مشهور عن العرب كافة ، من الحرص على العرض ، ويدخل فيها وقاية المرء لعرض نفسه ، وكذلك تعففه عن عرض جيرانه ، كما قال شاعرهم :

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٢
(٢) المرجع نفسه
(٣) المرجع نفسه
(٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٣٦١

أعشى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر[1]

والنوع الثانى هو نوع خاص من العفة ، وهو التعفف عن بعض الحقوق ، كأن يتعفف الفارس عن غنائم الحرب ، ويتعفف الطاعم عن المبادرة إلى الطعام ، وهذا النوع أعلى من النوع الأول ، لأنه تعفف عن حق ، والأول تعفف عن نقيصة .

ومن ثم كان المتعفف من النوع الثانى لونا متميزا من العرب ، ويحق له أن يفتخر بعفته بهذا الموضع ــ يقول عنترة :

هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

....

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى ، وأعف عند المغنم[2]

وهذا اللون هو الذى يفخر به الشنفرى حين يقول :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد ، لم أكن بأعجلهم ، إذ أجشع القوم أعجل

ولم تكن العفة حلية العاجزين ، أو تعلة المحرومين ، وإنما كانت حلية الرجال ، ومفخرة من مفاخر الأبطال ــ يقول :

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم ، وكان الأفضل المتفضل

وقد تمتزج العفة بالإباء ، فيصلح كل منهما الآخر ، ويوظفه ، يقول :

وأستف ترب الأرض كى لا يرى له علىَّ ، من الطول ، امرؤ متطول

الاعتداد بالنفس :

ولقد يتساءل أحد عن الخلق الجامع الذى تنبعث منه أخلاق الإباء والعفة معاً ، فربما كان الجواب الصحيح ، هو ذلك الخلق ؛ هو الاعتداد بالنفس .

وقد اشتهر عن العرب هذا الخلق ، وربما كانت قصيدة عمرو بن كلثوم النونية ،

---

(١) البيت لمسكين الدارمى ــ خزانة الأدب ــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط / العصور) ٢ / ٢٥٨

(٢) المعلقات السبع ــ شرح الزوزنى ــ شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٩٦١م ص ١٧٦

ومعلقة عنترة العبسى تعبيرا عن بعض جوانب هذه العزة .

أما قصيدة عمرو بن كلثوم فهى من نوع الاعتداد بالنفس فى صورة قبلية ــ يقول :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرْك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا (١)

وأما قصيدة عنترة فهى اعتداد بالنفس ، ولكن فى صورة فردية ــ يقول :

وإذا ظلمت فإن ظلمى باسل مرٌّ مذاقته كطعم العلقم

ويقول :

وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم
سبقت يداى بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم (٢)

فما موقع شاعرنا من هذين النوعين السابقين ؟

أما النوع الأول فهو بعيد عنه كل البعد لأنه لا يعرف لنفسه قوماً يعتد بهم ، فلابد أن يكون الثانى هو مسلكه فى التعبير عن اعتداده بنفسه ؛ فكل الذى يتحدث به الشنفرى عن نفسه فى القصيدة ، فهو اعتداد بنفسه إن لم يكن أصلا فى هذا الاعتداد فهو لازمة من لوازمه ، فحديثه عن العفة ، وعن الإباء ، وعن الوفاء ..... الخ

كل ذلك صور من مواطن الاعتداد خصوصاً إذا بلغت حماسته بذلك درجة المبالغة فى مثل قوله :

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا ، فأذهل

---

(١) المعلقات السبع ص ١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٣ ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٦ .

وأستف ترب الأرض كى لا يرى له علىَّ ، من الطول ، امرؤ متطول

وهو فى هذا الاعتداد يشبه عنترة ، وإن كانت ظروف كل منهما تختلف عن ظروف الآخر فى التفاصيل ، إلا أنها تلتقى فى الباعث الذى يبعث الاعتداد ، إذن فليس كل شاعر عربى يتعدى الفخر الذاتى إلى الفخر القبلى ، وإلا فأين الفخر القبلى (أو فخر المجموع) فى شعر الشنفرى ، أو شعر عنترة ؟

هل يصح لنا بعد ذلك ألا نأخذ بمنتهى العفوية قول أصحاب موسوعة الشعر العربى « كان الشاعر الجاهلى يطمس فرديته الخاصة ، ليبرز الذاتية العامة ، وكانت هذه الذاتية ، تنوب عن الموضوعية المادية ، بالموضوعية الإنسانية ، فهو لم يكن ليهتم بأن يؤكد شخصيته كجوهر متعال ، متفرد ، ولكنه يتحدث باسم الإنسان العربى ، باسم ذاته كما هو مدرك من خلال مُثُلِ اللغة والتربية والسلوك الجماعى »[1].

ولا نعنى بذلك أن الشاعر الذى يفخر فخرا فرديا لا يعبر عن لسان حال العربى عامة فى اعتداده بنفسه ، فهو يتحدث عن أخلاق تكون فى مجموع العرب ، ولكن فرقا بين ذلك وبين أن يذوب هذا الإنسان فى شخصية المجموع ، فيتحدث بلسانهم جميعا فيقول :

ياذات أجوارنا قومى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا[2]

ولذلك كان قريبا إلى حديثنا عن العلاقة بين الفردية والمجموعية فى الفخر العربى ، كلام أصحاب الموجز فى الأدب العربى:« وكثيرا ما نتحدث عن الفخر فى الشعر العربى ، كظاهرة أطلت منذ الجاهلية ، لتدل بنزعة الغرور والتعالى ، التى سيطرت على النفس العربية على مد التاريخ ، ومد الصحراء ولكن أولئك الذين ادعوا ذلك جهلوا أن النزعة الغنائية الفردية ، التى انطلقت من المضارب السمراء ، عبرت فى الشعر الفخرى عن مظاهر اجتماعية أقل ما فيها أنها كرست دستور العرب الأخلاقى ،

---

(١) موسوعة الشعر العربى ص ٣٥

(٢) شرح المفضليات للتبريزى ــ تحقيق على محمد البجاوى حـ ٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩٧٧ ص ٨٧٧

وفى مناقبه ، صافية المنبع ، سخية البذل »[1].

« وأصوات الشعراء ، فى هذا ، تتفاوت مع حدة النبرة المعبرة ، أو مع نقل الواقع المعاش وأروع ما فى هذا النقل ، وهذا التعبير أنهما وفقا فى حمل الخلجات الذاتية ، بعيدا عن انطواء الذات ، واجترار الأنا ، إلى فلسفة تنبع من الذات ، ومن تجربة الفرد ، لتندمج مع الأحداث ، وتتجاوب فيها ، ولتصبح وكأنها شريعة عامة ، أبعد من الزمان والمكان وأشمل من ذات الفرد المغلقة »[2]

الشجاعة :

وهو خلق من أهم الأخلاق التى تقوى الاعتداد بالنفس ، وتكون علة من علله إن عدة شاعرنا أنه ذو فؤاد شجاع ، وأخلاق كريمة ، وصبر مجاهد ، يحتاج إليه وقد صعب المسلك ، وعز الطريق ـــ يقول الشنفرى :

وكل أبى باسل ، غير أننى إذا عرضت أولى الطرائد ، أبسل
وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ، إذ أجشع القوم أعجل

ومن عدة هذه الشجاعة السلاح ، يقول : د . عبد الحليم حفنى:« حمل السلاح شيمة العربى يرى سلاحه جزءاً منه لا يفارقه فى سلم أو غيره ، فهو ملازم له فى كل أوقاته[3].

يقول الشنفرى :

وإنى كفانى فقد من ليس جازيا بحسنى ، ولا فى قربه متعلل
ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون ، يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل
إذا زل عنها الهم ، حنت كأنها مرزأة ، ثكلى ، ترن وتعول

---

(١) الموجز فى الأدب العربى ص ٧٤
(٢) المرجع نفسه ص ٧٤
(٣) شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه ص ٢٢٦

ولكن الجبان قد يحمل السلاح ، كما يحمله الشجاع ، فلابد أن يكون هناك فرق بين حمل هذا ، وحمل ذاك ، يظهر هذا الفرق أصداء فى شعر الشعراء ، فقديماً دفع إلى الفرزدق أسير ليقتله ، فارتعد السيف فى يده حينما هم أن يضرب به ، وكانت هذه القصة أداة من أدوات التشنيع به من جرير ـــ يقول :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ،ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام ، فأرعشت يداك ، وقالوا مُحدَثٌ غيُر صارم[1]

فليس كل حمل للسلاح شجاعة ، بل يكون شجاعة حينما يعتز الفارس بسلاحه ، حتى لكأنه جزء منه ، يتحدث إليه أحيانا ، ويخاطبه ، ويبث فيه الحياة أحيانا ، فكأنه كائن حى أمامك ، بل ربما وصل الأمر به إلى أن يطيل التغزل به ، وتعداد صفاته الحسنة ، وهذا هو الذى فعله الشنفرى فى قوله يصف سيفه ، وقوسه :

وإنى كفانى فقد من ليس جازيا بحسنى ، ولا فى قربه متعلل
ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون ، يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل
إذا زل عنها السهم ، حنت كأنها مرزأة ، ثكلى ، ترن وتعول

ولو قارنا بين الثلاثة الذين يعوضون الشنفرى فقد من لم يلق منهم خيرا ، وبين ثلاثة عند طرفة بن العبد فى قوله :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة كُميْتٍ متى ما تُعْل بالماء تزبد
وكرِّى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبَّهته المتوردُ
وتقصير الدجْن ، والدجن معجبٌ ببهكنة تحت الطراف المعمد[2]

---

(١) ديوان جرير ـــ دار صادر للطباعة والنشر ـــ بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٤٦٢

(٢) شرح القصائد العشر ـــ الخطيب التبريزى ـــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـــ مطبعة السعادة ـــ ط ٢ سنة ١٩٦٤ ص ١٧٣ .

لوجدنا أن ثلاثة طرفة تتلخص فى : ــ

(١) المسابقة إلى شرب الخمر المعتقة التى تحتاج إلى المزج بالماء لتزيد .

(٢) نجدة المحتاج الخائف .

(٣) اللهو مع النساء فى ظلام الليل .

أما ثلاثة الشنفرى فتظهر ترفعا عن لذات الدنيا ــ مهما قيل فى حكمة طرفة ــ فهناك بون شاسع ، بين حكمة طرفة ، التى تجعل ثلثى أحبائه خمراً ولهوا ، وبين حكمة الشنفرى التى تجعل أحباءه :

(١) قلبا شجاعاً جسوراً غير خائف .

(٢) سيفا صقيلا صارما .

(٣) قوساً متينة طويلة العنق .

فشتان بين ما يسلى طرفة ، وما يسلى شاعرنا .

حسن البلاء فى الحروب :

لإن كانت هذه الصفات السابقة قد أهلت الشنفرى لتبوء مكانة فى الشجاعة ، فإن هذه الشجاعة هى الأداة لحسن البلاء فى الحروب ، وإن كانت الحروب بين العرب عامة قد اندلعت ، وطالت أيامها بين كثير من القبائل ، وشعر الحرب فى أدب العرب كثير ، ومتعدد المناحى ، ولكن الذى يهمنا فى هذا الأمر ، هو تصور الشنفرى للحرب ، فليس من أخبار الشنفرى شيء يدل على أنه دخل حربا حقيقية ، بكل موازين الحرب ، وإنما الذى نعرفه عنه ، أنه دخل اشتباكات بمعونة غيره من الصعاليك أحيانا ، أو بمفرده أحيانا أخرى ، مع من ظلموه تارة ، ومع قوافل الأغنياء تارة أخرى ، وهذه قريبة مما يسمى فى عصرنا بحرب العصابات ، ولا ينطبق عليها اسم الحرب بمعناها العام ، ومع ذلك فقد سماها الشنفرى « أم قسطل وهى كنية الحرب » ولقد أحبها حبا شديداً ، حتى أنه ليتصور أنها تحزن عليه ، وتفرح به ــ يقول :

فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول

ثم هو يتحدث عن أسباب حروبه ، وتحس منها أنها أسباب خاصة لا تنطبق على كل عربى ، بل لا تنطبق على أكثر العرب ، يقول :

طريد جنايات تياسرن لحمه عقيرته لأيها حُمَّ أول
تنام إذا ما نام يقظى عيونها حثاثا إلى مكروهِهِ تتغلغل
وإلف هموم ما تزال تعوده عيادا كحمى الرِّبع أو هى أثقل
إذا وردت أصدرتها ثم إنها تثوب فتأتى من تحيت ومن عل

إنها الجنايات التى جعلته طريدا ملاحقا ، فهى تنام إذا نام ، ولكن نومها لا يشبه نومه ، فهى تنام مستيقظة ، مستعدة للقضاء عليه .

هذا التصور الخاص للحرب ، هو الذى يتحكم فى تصوير الشنفرى لها ، فلا نكاد نجد عنده تصويرا لخصمه ــ على غير عادة الشعراء ــ وذلك لأن خصمه ليس عدوا منظما ، ومعداً للحرب ، وإنما هم فى أغلب الأحيان رجال آمنون ، يهاجمهم ، فلا يردون الهجوم ، لأنهم غير مستعدين له أصلا ، بل غير متوقعين هذا الهجوم ، ولم يستطع الشنفرى إخفاء هذا الشعور ، فهو يقول صراحة :

وأصبح عنى بالغميصاء جالساً فريقان مسئول وآخر يسأل
فقالوا لقد هرت بليل كلابنا فقلنا أذئب عس أم عس فرعل ؟
فلم تك إلا نبأة ثم هومت فقلنا قطاة ريع أم ريع أجدل ؟
فإن يك من جن لأبرح طارقاً وإن يك إنسا ما كها الإنس تفعل

ولكنه مع ذلك يفخر بما يصنعه فى هؤلاء ، لأنه يعد الذى يصنعه ؛ إما انتقاما لنفسه وهذا هو تصور أكثر الصعاليك ــ فإذا ما ترفع فى تصوره ، فهو محاولة لمساواة الفقراء بالأغنياء ــ يقول :

وليلة نحس يصطلى القوس ربها وأقطعَه اللاتى بها يتنبل
دعست على غطش وبغش وصحبتى سعار وإرزير ووجر وأفكل
فأيمت نسوانا وأيتمت إلدة وعدت كما أبدأت والليل أليل

على أن المعنى الثانى ، وهو الجانب الرفيع من تعليل الصعاليك للحرب ، لا يستوى فكريا إلا عند عروة بن الورد ، ومن أجل ذلك يقول جامعو موسوعة الشعر العربى : إن شعر عروة « هو بمثابة شهادة تاريخية واجتماعية عن تلك الظاهرة الفريدة التى هى الصعلكة ، كحركة احتجاج جماعية على نمط من الحياة الاقتصادية ، فى سبيل نمط آخر ، لم يستطع أن يتبين عروة حدوده الإيجابية ، إلا من خلال أخلاق الفروسية العربية ، وقد وضعت لخدمة أغراض عادلة للجماعة المضطهدة ، بعيدا عن هدف الغزو لغرض التفوق ، وزيادة الثروة والمال »[1].

ثم إنه يهمنا أيضا من تصور الشنفرى الخاص للحرب ، فالمعنى الذى يقصده ليس شديد الغموض ، ولكنه ليس شديد الوضوح ، وهو أننا نتخيل الشنفرى ، وكأنه ينادى كل من له مثل ظروفه أن يكون فى مثل موقفه ، فالشنفرى تعرض للذل ، ولطمته فتاة على وجهه ، وفجع فى نفسه ، وقبيلته ، وهذا موقف يمكن أن يتعرض له أى إنسان ، ولكن ليس كل إنسان يستطيع أن يجعل من هذا الموقف موقفا بطوليا ، كما صنع الشنفرى ، هى إذن دعوة لكل من لاقى ، أو يلاقى ما لاقاه أن يكون مثله .

المروءة وقوة الهمة :

والمروءة صفة لا تعطى لكل الناس ، وإنما هى منة يمتن بها الله على قوم مخصوصين تتوافر فيهم مؤهلاتها ، وقد اشتهر من العرب بهذا الأمر طائفة منهم حاتم الطائى ، ومعن بن زائدة ، فضرب بهما الأمثال ، وليس معنى ذلك أن كل عربى كانت عنده هذه الهمة ، وهذه المروءة ، فكم من رجل كان يقف على أعتاب الملوك مادحاً ، وفى نفس الوقت يفضحه فى زوجه ، فهذا ما فعله النابغة الذبيانى مع النعمان ، وقصيدته المتجردة خير شاهد على ذلك ثم هو ينخلع قلبه ، ويطير كل مطير حينما يتوعده النعمان ، فيبادر بالاعتذار مرتجفا خائفا يقول :

أتانى ــ أبيت اللعن ــ أنك لمتنى وتلك التى اهتم منها وأنصب

---

(١) موسوعة الشعر العربى ص ١٥٧

فبت كأن العائدات فرش لى هراساً به يعلى فراش ويقشب

ثم نراه ، وهو الذى كان بالأمس يكشف سره ، ويفضح عرضه يقول فيه اليوم :

فإنك شمس ، والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[1]

هذا التلون لم يصنعه إلا قلة المروءة ، وضعف الهمم ، هذه التى يفخر الشنفرى بأنها ليست فيه ، وأن كل مؤهلات المروءة ، قد اجتمعت عنده ، فلا هو جشع يشرب لبن إبله ويؤخرها فى المرعى إلى العشاء حتى تعوضه ، ولا هو قليل التحمل ، سريع الظمأ ، ولا هو جبان قعدد ، جليس منزله ، وسمير زوجه ، ولا هو هلع خائف فى الحادثات ولا هو قليل الخير ، قليل الحركة على الرزق ، يهتم بزينة نفسه ، وحديثه إلى النساء ولا هو مضطرب التفكير ، كثير الارتباك ، ولا هو ضعيف الجسم ، قليل الهمة .

ولا شك أن الذى ينصرف عن هذه السلبيات ، هو الذى يجلس فوق عرش المروءة ــ يقول :

ولست بمهياف ، يعشى سوامه مجدعة سقبانها ، وهى بسهل
ولا جباءٍ أكهى مربٍ بعرسه يطالعها فى شأنه كيف يفعل
ولا خرق هيق ، كأن فؤاده يظل به المكاءُ يعلو ويسفل
ولا خالف دارية ، متغزل ، يروح ويغدو ، داهنا يتكحل
ولست بعل شره دون خيره ألف ، إذا ما رعته اهتاج ، أعزل
ولست بمحيار الظلام ، إذا انتحت هدي الهوجل العسيف يهماء هوجل

الوفاء :

يقول د . أحمد الحوفى متحدثا عن بعض عادات العرب :« كانوا يتعاقدون فى المحالفات على الدم والرب ، والماء والطيب ، ويتمسحون بالكعبة ، وكان الغدر معرة

(١) ديوان النابغة الذبيانى ــ تحقيق وشرح البستانى ــ بيروت د . ت ص ١٧

يتجافون عنها وإذا ما غدر أحدهم ، رفعوا لواء بسوق عكاظ ليشهروا به »[1]

ونحن لا نعرف عن الشنفرى أنه لم يكن وفيا بقومه ، لأننا لا نعرف متى فارق قومه الحقيقيين بالتحديد ، ولا نعرف أنه لم يكن وفيا لبنى سلامان طيلة مكثه معهم ، بل المعتاد أن يكون المرء منهم وفيا لذويه ، فلو لم يكن كذلك ، لذكر التاريخ ما يدل عليه ، غير أن هذا الوفاء المفترض ليس له أصداء فى اللامية ، لأن الشنفرى قال هذه اللامية بعد رحيله عن بنى سلامان ، وبعد أن قطع العهد ـــ كما تروى الأخبار ـــ أن ينتقم منهم ، ومن ثمة فإن للوفاء فى لامية الشنفرى مفهوماً لا ينطبق على قبيلة بعينها ، أو أناس بأعينهم وإنما هو وفاء عام ، يدخل فيه من يستحقه ، نحس ذلك حينما نقرأ حديثه إلى بنى سلامان يقول :

ولى ، دونكم ، أهلون : سيد عملّس وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل
هم الأهل ، لا مستودع السر ذائع لديهم ، ولا الجانى ، بماجر ، يخذل
وكل أبى ، باسل . غير أننى إذا عرضت أولى الطرائد ، أبسل

ويتأكد هذا المعنى حينما نقارنه بمفهوم الوفاء المحدود السائد عند كثير من العرب حيث يقول شاعرهم :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشدِ[2]

هل نستطيع ـــ بعد هذا ـــ أن نقول : إن مفهوم الوفاء عند الشنفرى هو كشف ، أو إن أردت الجرأة فقل : إنه فضح خفى لمفهوم الوفاء عند العرب ـــ أليس هو الذى ظن أن هؤلاء الناس « أى العرب » لا يستحقون الوفاء ، ومن أجل ذلك تركهم إلى من هم خير منهم ، واستخدم أسلوب القصر والحصر حين قال : « هم الأهل » ثم كأنه يعرض بهؤلاء الناس الذين تركهم حين يقول :

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٣٦٠

(٢) البيت لدريد بن الصمة ـــ شاعر جاهلى ـــ انظر ديوانه بموسوعة الشعر العربى ١ / ٥٩٦ ، والأصمعيات ط دار المعارف ص ١٠٧

..... لامستودع السر ذائع لديهم ولا الجانى بما جر يخذل

وكأن هاتين الصفتين اللتين نفاهما عن عالمه المحبوب ، موجودتان فى عالم الإنسان الذى رغب عنه ، فإذا عرفنا أن هاتين الصفتين هما معقل الوفاء فى الإنسان ، فكأن الشاعر يلوح فى وجه البشر الذين يعرفهم قائلا :

« سلام عليكم لا وفاء ولا عهد »[1]

قوة الإرادة :ـــ

وهى صفة لابد منها للبدوى « فى هذه البيئة الجافة القاحلة ، حتى أن الشنفرى يسبق القطا ، وهى لا تزال تتساقط منهكة نحو العقر ، وتشرب بنهم لشدة عطشها حتى تبتل حناكها ، وتنغمس حواصلها فى الماء ، ولولا صبره ، وتجلده ، ما صار بهذه القوة فى تحمل المشاق ، التى أصبح على تحملها أجلد من القطا »[2]ـــ يقول : ـــ

وتشرب أسارى القطا الكدر ؛ بعدما سرت قربا ، أحناؤها تتصلصل
هممت وهمت ، وابتدرنا ، وأسدلت وثمر منى فارط متمهل
فوليت عنها ، وهى تكبو لعقره يباشره منها ذقون وحوصل
كأن وغاها ، حجرتيه وحوله ، أضاميم من سفر القبائل ، نزل
توافين من شتى إليه ، فضمها كما ضم أذواد الأصاريم منهل
فعبت غشاشا ، ثم مرت كأنها مع الصبح ، ركب ، من أحاظة مجفل

« وتسأل : هل ينام الشنفرى ؟ وأين ؟ إنه يفترش الأرض مستندا إلى منكب صلب تحمله حروف فقار ظهره ، وهى يابسة الجلد جافة »[3]ـــ يقول :

وآلف وجه الأرض ، عند افتراشها بأهدأ تنبيه سناسن قحل

---

(١) ديوان البحترى.ـــ ط بيروت ـــ تحقيق رشيد عطية ص ١٧٠ .
(٢) شعراء من الماضى ص ١٠١ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٠١ .

وأعدل منحوضا كأن فصوصه كعاب دحاها لاعبٌ ، فهى مثلُ

وهو فى هذين البيتين يحدثنا عن قيمة خطيرة جدا ، هى عدة المكابد للحياة مكابدة حقيقية وهى التخشن ، فكأنه يريد أن يقول لأهل الرفه : إن الرفه لا يقهر عدوا ، ولا يصنع حضارة ، وإنما الذى يصنع الحضارات هى هذه الخشونة ، التى تعين على الجلادة والصبر ولقد تعمقت هذه القيمة ، أعنى الصبر والجلد ، فى نفسه حتى أنه ليسقط منها إسقاطات فى خلال حديثه عن الذئب ، وجماعة الذئاب ، وانفعاله بمشهدها حين امتنع عليها القوت من حيث طلبته ، ووقفت فاغرة أفواهها ، كالحات الوجوه ، فى الصحراء حيث تنعدم الخضرة ، تعول ، وتتجمع ، كما تجتمع المعولات من النساء ، على ظهور الروابى حين يفقدن أبناءهن ، ولما يئست من الطعام ، امتنعت عن الصياح ، فحتى لو نفعت الشكوى ، فالصبر أفضل منها ، لأنه من صفات النفس الأبية المتجلدة ــ يقول :

شكا وشكت ، ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبر ، إن لم ينفع الشكو أجمل
وفاء وفاءت بادرات ، وكلها على نكظ مما يكاتم ، مجمل

هذه الخشونة التى أشرنا إليها ، وهذه الاستماتة فى محاولة استعادة الحياة من جديد ، تلك التى أسقطها على مجموعة الذئاب ، كونها عنده ملكة يتميز بها كثير من العرب ولكنها تتمثل بصورة أوضح عند الشنفرى ، تلك الملكة هو ما يمكن أن نسميه (تحدى الطبيعة) « فهو لا يعبأ ببرد أو حر ، فهو لا يتقاعس فى الليلة الشديدة البرودة عن الحرب ، والقتال ، ففى الليلة الباردة القاسية ، ترى صاحب القوس يستدفىء بأن يوقد قوسه ونباله ، وهل أصدق من تعبيره عن قسوة البرد ، بأن تكون حاجة الضارب فى الصحراء إلى الدفء أكثر من حاجته إلى قوسه وسهامه »[1] ــ يقول :

وليلة نحس ، يصطلى القوس ربها وأقطعه اللاتى بها يتنبل

---

(١) شعراء من الماضى ص ١٠٣

وإذا كانت هذه الليلة الباردة ، لم تمنعه من ممارسة غزواته ، فإن اليوم الشديد الحرارة الذى يطلع فى ليله كوكب الشعرى ، والذى تتململ من رمضائه الأفاعى ، فلا تكاد تستقر عليه ، ينصب الشنفرى وجهه لأشعة الشمس ، لا ساتر بينه وبينها إلا ثوبه الممزق ، وشعره المسترسل الملبد ـــ يقول :

ويوم من الشعرى ، يذوب لعابه أفاعيه ، فى رمضائه ، تتململ
نصبت له وجهى ، ولا كن دونه ولا ستر إلا الأتحمى المرعبل
وضاف ، إذا هبت الريح ، طيرت لبائد عن أعطافه ما ترجل

حب المغامرة :

والعربى مغامر بطبعه لأن « فخاخ العدم تحيط به من كل جانب ، ولأن الحماسة عنده متوترة ، فليس ثمة من درجات وسط ، ولا من علاقات تواطؤ ونفاق أخلاقى أو وجودى ، سواء فى حرب الدفاع عن الواحة والعرض ، أو الغزو من أجل الثأر أو الفوز بالماء والسبى والمال ، أو سواء فى العلاقة مع الطبيعة ؛ مع الجدب أو الخصيب فيها ، مع الهاجرة أو سرى الليل البارد وسط الخلاء والصمت ، وفى حضن المجهول أو الخوف »[1] ـــ يقول :

وخرق كظهر الترس ، قفر قطعته بعاملتين ، ظهره ليس يعمل
وألحقت أولاه بأخراه ، موفيا على قنة ، أقعى مرارا وأمثل
ترود الأراوى الصحم حولى ، كأنها عذارى عليهن الملاء المذيل
ويركدن بالآصال حولى ، كأننى من العصم ، أدفى ينتحى الكيح ، أعقل

وما ذكرنا آنفا من غزوات الشنفرى ومغامراته كاف لإبانة هذا الجانب ، غير أن الشنفرى ، يُلمع فى لاميته إلى عدة هذا الحب ، تلك العدة التى تجعل منه واقعا ، فليس كل محب ناجحا فى حبه ، إلا إذا اعتد لهذا الحب بعدته ـــ يقول :

---

(١) موسوعة الشعر العربى ص ١٦

فإما ترينى كابنة الرمل ، ضاحيا على رقة ، أحفى ، ولا أستفل
فإنى لمولى الصبر ، أجتاب بزَّه على مثل قلب السِّمع ، والحزم أنعل
وأعدم أحيانا ، وأغنـى ، وإنما ينال الغنى ذو البعدة المتبـذل

فمن هذه العدة الصبر ، والإنسان حين يذكر الصبر منسوبا إلى نفسه ، فهو يعبر عن صبره ، ولكن الشنفرى لا ينسب الصبر إلى نفسه ، وإنما ينسب نفسه إلى الصبر « فإنى لمولى الصبر » على سبيل التملك ، فكأن الصبر ملك له . هذا إلى جانب ما تحدثنا عنه من بعد الهمة ، والمروءة ، وغير ذلك ،

[خُطَبُ المصنفين]

الزمخشـــرى : [سبحانك اللهم وبحمدك ، معرّب الأفهام بقَيْد الإفهام ، مرصع جواهر البيان بقيد التِّبيان لا الإعجام ، مطلع كنوز القرآن العظيم ، بفهم العربية والبيان العميم . تنزّه عموم صفاتك عن الحال والتمييز ، وتقدّس كُنه جلالك عن الإدراك ـــ بل إلى التعجيز .

وأشهد ألاّ إلـه إلا الله ، وحده لا شريك له ـــ شهادة عامل معلّق ، وأصلىٍّ لا مُلحق ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ـــ صاحب الفصل والوصل صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدَّم الفعل على فاعله ، وعُطِف معمول على عامله .

قال الشيخ الإمام الأوحد شيخ الإسلام ، أستاذ الزمان ، فخر خوارزم ، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ـــ رضى الله تعالى عنه[1] :

هذه نكته قذفتها خواطر خاطرى . وفائدة جرَّدتها نواظر ناظرى ، وعقد توسّط بين دُرَر الجواهر ، وروض تبسَّم بين الزهور النواضر ، وسبك لم ينسج على منواله فيقال : قد سبق إليه ، وزَرْكشٌ قد نظم بين اليواقيت ، فكل عالم يعرج عليه ، غاص لها الخاطر فى بحر الأفكار فاستخرج دُرَرها ، وتاه الناظر فى بكر الأفكار فاستحضر صورها ـــ من كُلِّ غريبة كَلَّ حديد النظر عن تقررها ، ومَلَّ مزيد الفكر عن تدبرها ، تعبت فيه قريحة القرائح ، وتاهت فى ميادينه قانصة السوانح .

جعلتها على قصيدة[2] الشنفرى الموسومة بلامية العرب ، تحفة أتحفتُ بها الخزانة السعيدية ، والحضرة العِزّيّة ، ذى الآلاء المتظاهرة ، والنعم الوافرة ، تنتهى المفاخر فى العلوم إليه ، وتثنى الخناصر فى الآداب عليه ، المستنبط لنتائج القرائح الصافية

---

(١) هذه كلها يرجح أن تكون من صنيع الناشرين ، ويبدو فيها التكلف السمِج الذى يخرج عن حَدِّ الاعتدال فى حمد الله تعالى وافتتاح الأعمال ـــ بمحاولة تضمين مصطلحات النحو فيه ، فكأن قائلها لا يعرف ما حَمْدُ الله ، اللهم علّمنا كيف نثنى عليك .

(٢) فى المطبوع : (على شرح قصيده ...) ونظنه سهو .

المستخرج لذخائر المبهمات الغامضة ، المستتم لخبايا الأسرار الكامنة ، المحرّك لنوازع الخواطر الساكنة ، المستولى على جوامع الحكم بالتوقير لأهلها والتعظيم ، والتقريب والتكريم ، وإحراز الكتب المؤلفة فيها ، وإعزاز أربابها ومصنفيها ، حتى فاق الورى ، وحاز المدى ، وصار الأسوة المقتدى ، بحيث يلزم كلّ ذى عِلم أن يؤم قصده ، وأقول :

بالسعد أضحى المجد محروس العُلا فحِمَى الرئاسة منه طودٌ راسى
يهوَى المعالى مولعا بوصالها وأفاض غامر بذله فى الناس
راض الخطوب الصُّمّ بعد جماحها وألانَ من قلب الزمانِ القاسى
وأعاد نور الحقّ فى مشكاته وأقام وزن العدل بالقسطاسِ

أطال الله بقاءه ما صانت العارية المستعير ، ولزمت الياءُ التصغير ، وخطابى لمن نشأ فى علم الإعراب ، وحقق فى ميادين أفكاره بالعجب منه والإطراب ، وسرد علمى المعانى والبيان ، وعرف التحقيق فيهما من التبيان وطالع أساس البلاغة ، وعرف براعة اليراعة ، والله أسال العون فيما قصدت ، والمغفرة على ما عَوَّلتُ ـــ بمنه وكرمه .

الشنفرى

هو العظيم الشفتين ، وقبيلته : الأزد ، وكان من العدّائين ، وبه يضرب المثل . فيقال : « أعْدَى من الشنفرى » وغيره من العدّائين هو أسد بن جابر ، وهو الذى كان أمسك الشنفرى من بنى سلامان ، وعمر بن براق ، وتأبّط شرّاً ، وسليك بن السَّلَكه ، فهؤلاء لم تلحقهم الخيل ، قال :

أقيموا بنى أمى .....

المبـرد : قال الشنفرى بن الأوس بن الحجر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كهلان بن سبأ ـــ قال أبو العباس : الشنفرى : العظيم الشفتين :

العكبرى : بسم الله الرحمن الرحيم، وبه التوفيق ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ابن زاكور : الحمد لله الذى جعل معرفة كلام العرب من أقوى دواعى الطرب ، من أجل أنه أحلى من الضَّرب ، على أن الناس فى ذوقه متفاوتو الرُّتَب ، وصلّى الله على سيدنا محمدٍ أفصح العرب قاطبة ؛ فإنه بلغ مشارق البيان ومغاربه ، واسترقّ ساريه وساربه ، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل فصاحته ما استطاعوا ، ولو ظاهر صاحب منهم صاحبه . وكانت نسية كلامهم من كلامه ــ عليه صلاة الله وعلى آله ، وأزكى سلامه ــ وإن قادوا البيان بخُطامه ، وأفرغوا السّحر فى قالب نثره ونظامه ــ نِسبة[1] الترب من التبر ، والخشب من الذهب ، ومع هذا فمعرفة كلامهم وسيلةٌ إلى معرفة كلامه وما أنزل عليه وسبب . فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجَلّ القُرَب .

فلذلك شرحتُ « لاميّة العرب »، وأجلستُها من البيان على مرتقب ، وكشفتُ عن وجهها الذى طالما قد انتقبَ ، مقتصرا فى إبداء معناها الذى احتجب ، على ما قد تعيّن من القول ووجب ، فجاء شرحاً كثير العجب ، ناقعا لغُلَلِ أهل الأدب ، فسميتُه :

(تفريج الكُرَب ، عن قلوب أهل الأرب ، فى معرفة لامية العرب)

فرج الله تعالى كروبنا ، وغفر ذنوبنا ، وجبر بمعرفته قلوبنا . آمين :

قال الشنفرى عمرو بن براق الأزدى[2] :

أقيمــوا بنى أمى .....

---

(١) كلمة (نسبة) خبر كان فى قوله : كانت نسبة كلامهم ....

(٢) هذا الاسم خطأ ، وقد مَرَّ الاختلاف فى اسمه فى حين الحديث عن ترجمته .

عطاء الله المصرى المكّى : الحمد لله الذى خصّ البُلَغاء بورود موارد الأدب ، ففازوا بغاية من المأمول ونهاية من الأرب ، والصلاة والسلام على سيد سادة العجم والعرب ، سيدنا محمد المصطفى المهذّب ، وعلى آله السادة الطيبين النُّخَّب ، وأصحابه القادة الأكرمين النجب ــ ما ترنّم طائر على غصن وأطرب ، واهتز جهبذ لحلّ عويصة وأطنب ، وبعد :

فهذا تعليق لطيف ، وتنميق شريف ، على القصيدة الفريدة ، واللامية المجيدة ، المنظومة على البحر الطويل ، والأسلوب المثيل ، المشهورة بـ « لامية العرب » ، للفصيح الماهر ، والبليغ الساحر ، الشنفرى بن مالك الأزدى ، وسميته :

« نهاية الأرب فى شرح لامية العرب »

والله أسأل أن ينفع به كل صديق مصافِى ، ويدفع عنه كل عدُوٍّ منافى ، إنه قريب سميع نداء من ناداه ، وكريم لا يخيب رجاء من استعطاه .

ولعمــرى: إنها لقصيدة عجيبة ، وفريدة نفيسة غريبة ، فلقد كان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يبعث الناس عليها ، ويحثهم على المنافسة فيها ، إذ كان رضى الله عنه ــ يقول ، وفى بيان فضلها يجول :

« **علموا أولادكم قصيدة الشنفرى ، فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق** »

وقيـل : إن عبد الملك بن قُرَيب الأصمعى ممن أخذ هذه القصيدة فى جملة ديوان الشنفرى ــ رواية ودرايه ــ عن إمامنا الشافعى ــ رضى الله عنه ، ونفعنا والمسلمين بــه .

وقد ذكر فى بعض شروحها ما لفظه :

حدثنا عمارة بن عقيل ، قال : حدثنا مساور الأزدى ، قال : حدثنا أبو صالح الأزدى ، قال : « كان الشنفرى بن مالك رجلا من الأزد بن عامر ، وكانت أمه

سبيَّة سباها مالك . أبو الشنفرى ــ فوقع عليها ، فحملت بالشنفرى ، فذكرت أنها أتيت فى منامها فقيل لها : أيتها الحامل : أيّما أحب إليك : ليث صائل ، خطيب قائل ، مصيب نائل كَرُورٌ حافل ، مفيد عاقل ، ركّابٌ للمهاول ــ أو ولدٌ فاضِلٌ ، جميلٌ ، عاقل ، رزين كامل ، ذليل خامل .

فقالت فى نومها : أريد ذا نجدة ، سريعاً فى الهدّة ، لا تثنيه الرعدة ، ولا تخيفه الشّدّة ، كأسد ذى لبدة ، فقال لها : ستلدين ذكراً ذا بأس ومراس ، وضرب ودعاس ، وأذى للناس ، فكان الأمر .

فكان الأمر كما ذكر ــ كما جرى فى سابق علمه وماضى حُكْمِهِ ، وها نحن نشرع فى شرحها بعون الله تعالى فنقول[1] :

١ ــ أَقِيمُوا بَنِى أُمِّى صُدُورَ مَطِيِّكُمْ

فَإِنِّى إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

الزمخشرى : أصل (أقيموا) : أقوموا ، وماضيه (أقام) وعينه واو لقولك فيه (أقوم) فاستثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت إلى القاف ثم قلبت الواو ياءً لسكونها ، وانكسار ما قبلها ، وهو فعل أمر مبنى فى الأصل على السكون ، وما يبنى منه على حركة ، فلعله أوجبت بناءه عليها ، وذهب قوم إلى أنه معرب بالجزم ، واتفقوا على أن فعل الأمر للغائب ، نحو (ليقم) ، (وليذهب) : مجزوم باللام الداخلة عليه فهو معرب اتفاقا ، ودليل البناء ، أن الأصل فى الأفعال البناء فهى محكوم عليها به إلا أن يقوم دليل على إعراب شيء منها فيكون إخراجاً لها عن أصلها ، ولم يعرب منها سوى المضارع لشبهه بالاسم ، وهو ما كان فى أوله إحدى الزوائد الأربع ، فيحكم عليه بالإعراب ما دام وصف المضارعة باقيا ، وذلك إذا كانت زائدة من الزوائد الأربع موجودة فى أوله ، فمتى زايلته ، زال شبهه بالاسم ، فيعود إلى أصله من البناء وأيضا فإنه لا يحتمل معانى يفرق الإعراب بينها ، والإعراب فى الأصل إنما جاء لهذا عند المحققين ، وقال الآخرون ما فيه اللام معرب ، فيعرب ما لا لام

---

(١) سنبدأ إن شاء الله بشرح الزمخشرى ترتيباً فالشرح الآتى مباشرة هو للزمخشرى لا لابن عطاء .

فيه لتقدير اللام ، كما قيل محمد تفد نفسك ، أى لتفد نفسك ، وحذف المضارعة أيضا مقدر كالمثال المذكور[1] ولا تعويل على هذا القول ، فإن الحذف من الشيء لا يوجب تغيير الصيغة ، بل يحذف ما يحذف ، ويبقى ما يبقى بعد الحذف على حاله ، كقولك : ارم ، فإن الأصل إثبات الياء وبعد حذفها بقى ما كان على ما كان ، وهذا معدوم فى فعل الأمر ، ألا ترى ، إنك إذا حذفت التاء من تضرب ، لا تقول : ضرب زيد ، بل تعدل إلى صيغة أخرى ، هى اضرب .

وأما البيت ، فالأصل : تفدى على الخبر ، وإنما حذفت الياء للضرورة و (بنى) منصوب ، والناصب له الفعل المحذوف أو حرف النداء على اختلاف فيه ، وحرف النداء محذوف ، والداعى إلى حذفه ، إرادة الاختصار ، مع بقاء المعنى ، والمعتبر لجواز الحذف موجود ، وهو كونه ، لا يحصل أن يكون وصفا لأىّ ، إذ الأصل فى قولك ؛ (يا رجل أقبل) : (يا أيها الرجل أقبل) ، فلما حذفوا (أيها) لم يحذفوا حرف النداء ، لئلا يجتمع حذفان ولم يكن الأصل فى قولك : (يابنى) ، (يا أيها بنى) فإذا حذف حرف النداء لم يجتمع حذفان ، وإنما نصب المضاف ، ولم يبن كما بنى المفرد ، وإن وافقه فى كونه مقصوداً بالنداء ، وواقعا موقع الضمير كالمفرد ، لأن الإضافة توجب احتياج المضاف إلى المضاف إليه ، فلو بنى المضاف دون المضاف إليه لكان منفرداً عنه بالبناء ، وخرج أن يكون الاسمان كالاسم الواحد ، فوجب أن يخرج عن أصل باب النداء ، ولأن المضاف ، والمضاف إليه اسمان حقيقة ، فلم يمكن إيقاعهما موقع المضمر ، لأنه مفرد ، واختلف فى المضاف إلى ياء المتكلم نحو غلامى ، وأمى ، ونظائرهما ، فذهب قوم إلى أنها لا معربة ولا مبنية ، وآخرون إلى إعرابها ، وآخرون إلى بنائها ، واحتج الأولون بأن الإعراب الاختلاف ، ولا اختلاف هنا ، وهذا مما يوجب البناء ، ولم تشبه ما تبنى لأجله ، وهذا يقتضى الإعراب ،

---

(١) المثال مأخوذ من كلام أبى طالب لما خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

فوجب الوقف ، واحتج من قال بالإعراب : إن الإعراب أصل فى الأسماء ، فإذا عرض ما يمنع ظهوره قُدر كالمقصود ، والحركة فى مثل مستثقلة كاستثقالها على الاسم المنقوص ، واحتج من قال بأنه مبنى : إن حركته صارت تابعة للياء ، فتعذرت دلالتها على الإعراب ، وإذا صار تابعاً فى الحركة ، صار تابعا فى البناء للمضمر ، ولأنه خرج عن نظائره من المضافات ، إذ ليس منها ما يتبع غيره ، والعامل فى المضاف إليه الجر ، المضاف وهو الاسم الأول ولما كان هو الجارّ له ، وثبت أن الاسم لا يعمل إلا بالحمل على غيره ، كان محمولا على جارّ ، وذلك الجارّ لا يكون إلا حرفاً ، وهو ما ناسب وقوعه فى ذلك الموضع ، وهو (من) أو (اللام) ، فناب الاسم عنه ، وليس ثم حرف تضمن الاسم معناه : إذا لو كان كذلك ، لكان الاسم مبنياً وأما الفاء فإنها تنبه على أن ما قبلها علة لما بعدها ، ويؤيد ذلك وقوعها فى جواب الشرط ، وقد تأتى رابطة لما بعدها بما قبلها ، وإلا شبه استعمالها هنا بمعنى التعليق ، وإن لم توجد صيغته إذ المعنى (إن أقمتم على إهمالكم أمرى وغفلتكم عنى ملت إلى غيركم) والأصل فى إنى (إننى) فحذفت النون الثانية لأنك لو حذفت الأولى لا حتجت إلى تسكين الثانية ليصح ادغامها ، فيحصل عند ذلك حذف وتسكين وإدغام ، ولا كذلك الثانية ، فكانت أولى بالحذف وإنما دخلت اللام المفتوحة فى خبر إن ، لأن موضوعها الأصلى تأكيد المبتدأ ، كقولك : (لزيد قائم) فجمعوا بينها وبين (إن) طلباً لزيادة التوكيد وموضعها الأصلى قبل ، لأنها استحقت التصدر قبل إن ، فإذا دخلت (إن) فى الكلام ، وجب إبقاؤها على ما كانت عليه ، ولذلك سميت (لام الابتداء) وإنما لم يجمعوا بينهما ، لئلا يتوالى حرفا تأكيد ، ولم يدخلوها على اسم إن مقدما ، حذراً من الفصل بينهما وبين معموليها لأن عملها ضعيف ، ولأن اللام إذا وليت علمت علقتها عن العمل ، فتعليقها الآن بطريق أولى ، وتأخير اللام أولى من تأخير إن ، لأن اللام مؤثرة فى المعنى ، وإن مؤثرة فى اللفظ والمعنى ، فكانت أحق بالتقديم ، واختصت إن بدخول اللام فى خبرها ، لبقاء معنى الابتداء بعد دخولها ، وأما لكن فلم تدخل اللام فى خبرها فى الاختيار وما يروى :

(ولكننى فى حيها لعميد)

فشاذ لا يعول عليه ، ويؤكد زوال معنى الابتداء بدخول لكن؛ أنها موضوعه للاستدراك ، وإن للتحقيق ، والابتداء لا استدراك فيه ، وإنما كسرت إذا دخلت اللام فى خبرها ، لأنها فى موضع المبتدأ ، ولو حذفتها لكان ما بعدها مرفوعاً بالابتداء ، وأما (سوى) فظرف مكان فى الأصل ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ مكانا سوى ﴾

فإنها قد وقعت صفة لمكان ، وكذلك وصلهم الموصول بها ، واستقلال الصلة بها أيضا ، تقول (جاءنى الذى سوى زيد) كما يقال : (الذى عند زيد) ، وقال تعالى :

﴿ ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ﴾

وهى هنا بمعنى (غير) صفة لقوم ، ولم تمنع من ذلك اضافتها إلى المعرفة ، لتقدير الأنفصال فيها ، وإذا كانت (سوى) بمعنى (غير) ففيها ثلاث لغات : إن ضممت السين أو كسرت (قصرت) ، وإن فتحت (مددت) تقول : (سواك) ، و (سواك) و (سواؤك) أى غيرك ، وفى كل أحوالها بعدها مجرور بإضافته إليها ، وقد يقع (سوى) فاعلا ، قال :

ولم يبق سوى العدوان[1]

وإنما استعملت ظرفا لأنها تؤدى معنى (بدل) ، و (بدل) جار مجرى مكان تقول : (هذا مكان هذا) : أى (بدله) فهكذا تقارب الكلم وتناسبها ، و (أميل) بمعنى (مائل) ، وأفعل بمعنى (فاعل) كثير كما جاء أكبر بمعنى كبير ، وأوحد بمعنى واحد ، فليس المراد (بأميل) المبالغة ، لأنه يؤدى إلى اشتراكهم فى الميل ، ولم يكن كذلك ، و (أميل) خبر إن ، و (إلى) تتعلق (بأميل) لما فيه من معنى الفعل ،

---

(١) من الحماسة وبقية البيت (دنّاهم كما دانوا) .

ولام التوكيد لا تمنع ذلك ، والنية به التقديم[1] ، وقد جاء مثل ذلك فى الكتاب العزيز :

﴿ وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾

المبرد : يقال (أقام صدر مطيته) : إذا سار ، وإذا توجه ، فقد أقام (صدر مطيته) ، ويروى (إلى قوم سواكم) ، والمعنى :
جدوا فى أمركم ، وانتبهوا من رقدتكم (أقيموا) هنا بمعنى (اصرفوا) عنى ، ومنه قول الشاعر :

اقيموا بنى النعمان عنا صدوركم وألا تقيموا صاغرين الرؤوسا

العبكرى : الكلام فى هذا البيت على ثلاثه أشياء : على الفاء ، وعلى (سوى) ، وعلى (أميل).

فأما (الفاء) ، فإن فيها تنبيها ، على أن ما قبلها علة لما بعدها ، ولذلك وقعت فى جوانب الشرط ، وقد تدل على ربط الشىء بما قبله ، والمعنى أن (غفلتكم وإهمالكم توجب مفارقتكم) .

وأما (سوى) فهى ها هنا صفة « قوم » فى موضع جر ، وأكثر ما تقع ظرفاً ، وقد تقع فاعلا ، كقول الآخر :

(ولم يبق سوى العدوان)

وأما (أميل) فهو : فاعل ، كما جاء (أكثر) بمعنى (كثير) و (أوحد) بمعنى (واحد) ، وليس المراد (أنى أكثر ميلا) ، وأما (إلى) فتتعلق بـ (أميل) لما فيها من معنى الفعل ، ولا تمنع من ذلك لام التوكيد ، لأنها مؤكدة لمعنى الفعل ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ [الروم ٨]

---

(١) قوله (والنية به) أى : (بأميل)

ابن زاكور : (المطى) كالمطايا ، جمع (مطية) ، وهى الدابة تمطو فى سيرها أى تجد وتسرع (وإقامة صدور المطى) إعمالهم فى السير والتوجه بها إلى وجهه وقد يقصد به الجد فى الأمر ، والانتباه من الغفلة ، فيكون تمثيلا على سبيل الاستعارة ، وهذا هو المراد هنا كما قيل ، وهو الظاهر ، وأصله فى الراكب ينام على راحلته ، فتنحرف به عن القصد ، فيقال له (أقم صدر مطيتك) ، أى انتبه من نومك ، والميل إلى الشيء : الانحراف إليه بالقلب ، والأميل أشد ميلا ، (بنوا أمه)قيل: فهم وعدوان والقوم سواهم : رهطه من الأزد وكان نازلا فى بنى أمه ، فعير ، فرحل إلى قومه ، وهذا التعبير سيقوله فى القصيدة : والمعنى : (جدوا يا بنى أمى فى أمركم ، فإنكم غارون ، وانتبهوا فإنكم نائمون عن شأنى الذى هو غير شأنكم ، وبمراحل عن ما تتوهمونه من ميلى إليكم لكونى نازلا فيكم ، فإننى أشد ميلا إلى قوم غيركم) أى : ميلى إليهم أكثر من ميلى إليكم ، وإن كنت بعيداً منهم ، وهو أى معهم ، وإن لم أكن فيهم وهذا إنذار لبنى أمه برحلته عنهم .

عطاء الله : (أقيموا) أمر من أقام الشيء جعله قائما معدلا ، ومنه أقمت العود إذا أصلحت ما فيه من عوج ، (وأقيموا الصلاة) أى : إيتوابها معدلة الأركان مستكملة سائر المعتبرات . (بنى أمى) : أى يا قومى وأضافهم إلى أمه دون أبيه ، ليرميهم بالفضيح ، ويسجل عليهم بالقبيح لأن الأم شأنها الحنو ، والشفقة ، وأولادها من شأنهم المحبة والتراحم وقد خرجوا معه عن حيز التصافى إلى حيز التنافى . (صدور مطيكم) جمع صدر ، وهو ما يلى العنق من مقدم الحيوان ، والمطى جمع مطية بمعنى الراحلة ، سميت بذلك : لأن الرجل يمتطيها ، أى : أفيقوا من غفلتكم عنى ، وترك مناصرتكم لى ، وهذا مثل يضرب لكل من ينبه على الخير ، بعد غفلته عنه ، وأصله : أن ينام والراكب على مطيته فيضل عن الطريق ، فيقال له : أقم صدر مطيتك : أى انتبه ، وأسلك الطريق (فأنى إلى أهل) ، ويروى إلى قوم (سواكم) أى إلى غيركم (لأميل) أى : مائل إليهم ، فالفاء سببية دلت على أن ما قبلها من غفلتهم عنه ، وترك مناصرته علة لما بعدها من مفارقتهم ، والميل إلى قوم آخرين ،

ومن ثم وقعت فى جواب الشرط ، لتسبب الجزاء الواقع بعدها عن الشرط الواقع قبلها ، وسواكم صفة لأهل ، وأكثر ما يقع ظرفاً ، وقد يقع غير ظرف كما هنا ، وكما فى قول الآخر :

ولم يبق سوى العدوا ن دِنَّاهم كما دانوا

وأفعل بمعنى أصل الفعل كما فى قوله تعالى :

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾

وليس المعنى أنى أكثر منكم ميلا إلى من سواكم ، وإلى قوم يتعلق بـ (أميل) بعده ، ولا يمنع منه الكلام ، لأنها مؤكدة لمعنى الفعل المقتضى للعمل ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾

ومعنى البيت :

(أفيقوا ياقوم من غفلتكم عنى ، وترك مناصرتكم لى ، فإن ذلك مما يوجب مفارقتى لكم ، والميل إلى من سواكم ، وإن كان من أعدائكم) وهذا كما قال التميمى :

سأترك منزلى لبنى تميم وألحق بالحجاز فأستريحا

٢ ــ فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرُ
وَشُدَّتْ لِطيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

الزمخشرى : (حُمَّت) فعل لما لم يُسَمَّ فاعله ، والأصل (حمم) إلا أنهم استثقلوا الجمع بين المثلين ، ومأخذهم فى ذلك أن الناطق إذا نطق بحرف ، ثم نطق بمثله ، فقد عاد إلى الموضع الذى رفع لسانه عنه من غير فاصل بينهما ، وفى ذلك كلفة ،

كالمقيد الذى يتحرك ولا يزايل موضعه ، فسكن الحرف الأول ، ولم تنقل حركته إلى ما قبله لأن أوله متحرك ، ولم يحتمل حركة أخرى ، فلما بنيته لما لم يسمى فاعله ضممت أوله على الأصل ، ويجوز كسره بأن تدغم أى تنقل حركة المدغم إليه ، إذ الأصل (حمم) ، والحكمة فى تجهيل الفاعل شرفه ، وخسة المفعول وبالعكس أو غير ذلك ، وغير لفظ الفعل ليدل على تغييره على رأى من زعم أن ما لم يسم فاعله مغير عن فعل سمى فاعله ، ومنهم من يرى أنه أصل بنفسه مرتجل الصيغة ارتجال ما سمى فاعله ، وموضوع موضعه ، فإذا كان ثلاثيا صحيحا ضم أوله ، وكسر ثانيه تمييزا له عن فعل سمى فاعله ، والتغيير قد يكون بزيادة ونقصان وتغيير حركة ، فكان بهذا الآخر أولى إبقاء لصيغة الفعل على أصلها ، وتغيير آخر الفعل ممتنع ، لأنه قد يبنى للمفعول من الأفعال ما هو معرب ، وذلك هو الفعل المضارع كقوله تعالى :

﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾

وآخر المعرب حرف إعرابه ، وهو محل حركة الإعراب ، فكيف يغير ، ولم يغير أوسطه فقط ، لأنه إن ضم ففى الأفعال المسندة إلى الفاعل ما هو مضموم الوسط ، وكذا إن فتح أو كسر ، فيؤدى إلى اللبس بين المغير ، وغير المغير ، وتغيير الأول أولى ، ولم يحرك بالفتح لأنها حركته الأصلية ، فوجب أن يغير إلى غيرها ، ولم يغير بالكسر لأن الكسر عندهم أخو الفتح ، فالكسرة أخت الفتحة ، فيكون الكسر كلا تغيير ، وكان التغيير بالضم أولى ، لأن الاسم قد يغير آخره من نصب إلى ضم ، فيغير أول الفعل من فتح هو نظير النصب إلى ضم ؛ هو نظير الرفع (حمت) قدرت أى : تهيأت وحضرت ، (ومقمر) أى مضىء يقال : (أقمرت ليلتنا) أى : أضاءت ، وشدت قويت وأوثقت وفى مضارعه لغتان ، يشُد ويشِد ، و (الطِّية) : الحاجة بكسر الطاء قال الخليل (الطية) تكون منزلا ، وتكون منتأى ، تقول : مضى لطيته أى لـ (نيته) التى انتواها ، و (طية بعيدة) أى : شاسعة ، و (أرحل) جمع (رحل) وهو رحل البعير ، أصغر من القتب ، والمعنى :

(انتبهوا من رقدتكم فهذا وقت الحاجة ، ولا عذر لكم ، فإن الليل كالنهار

فى الضوء ، والآلة حاضرة عتيدة ، وكسرت التاء من (حمت) لالتقاء الساكنين و (الليل مقمر) جملة من مبتدأ وخبر مستأنفة ، لا موضع لها من الإعراب ويجوز أن يكون حالا ، والأول أجود ، إذ ليس مقصوده إن الحاجات قد حضرت فى هذه الحالة ، وإنما مقصوده الأخبار بأن لا عذر لهم ليجدوا فى أمورهم ، وأيضا فإن قوله ، (فقد حمت) لا موضع له ، وهذا معطوف عليه فله حكمه ، وهو عطف جملة على جملة .

المبرد : (حمت) قدرت ، وقوله (والليل مقمر) : أى قد وضح الأمر كما يكشف القمر الظلماء ، و (الطية) : الحاجة والمكان المنوى المقصود .

العكبرى : (حمت) : قُدِّرت ، و (الطِّية) : الحاجة
و(الليل مقمر) : يجوز أن تكون الجملة حالا ، وأن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، كما أن المعطوف عليه لا موضع له ، و (هو قوله : فقد حمت) .

ابن زاكور : (حم الأمر) لما لم يسم فاعله : قُدر ، ومعنى (الليل مقمر) أى ذو قمر ، وقد يقصد منه الأمر الواضح ، وهو تمثيل على سبيل الاستعارة ولا تعد إرادته هنا ، ومنه قول الشاعر :

وخالد قال لى قولا متعت به لو كنت أعلم فىَّ يطلع القمر

و(الطِّيات) كالنيات لفظاً ومعنى ، وواحدها (طية) كنية ، وهو ما ينويه المسافر من وجه ، وواحد الأرحل (رحل) ، وهو مركب للبعير كالراحول أشد الرحل إيثاقه ، وشد المطايا بمعنى شد رحلها وأدواتها : والمعنى : فقد قدرت الحاجات الداعية إلى الارتحال عنكم ، والحالة : أن الزمان مساعد على ذلك ، وهو الليل المقمر ، فإن السير فيه يسمى سرى ، وعاقبته محمودة عند الصباح ، لا سيما إذا كان مقمراً ، فإن السُّرى فى القمر يبلغ الغاية ، فترفع بحمده فى الصباح الراية ، ولست بأوحد الارتحال ، فإن الناس ، قد تهيئوا له وشدوا أرحلهم على مطاياهم

لقصد جهات مختلفة فى طلب الحاجات ، فلى فيهم أسوة ، فهذه أمور كل منها ، يدعوا إلى الارتحال ، وهى تقدير الحاجات ومساعدة الزمان ، والاتساء بالإخوان ، فاجتماعها يكون أدعى إلى ذلك .

عطاء الله : (فقد حمت الحاجات) : أى قُدِّرت ، ومنه قولهم : وافاه الحِمام أى : القدر ، و (الحاجات) : جمع (حاجة) ، وأراد الحاجات المقتضية لترحله عنهم ، و (الميل) إلى من سواهم ، والجملة استئنافية ، وإن كان وقوعها بعد الواو أكثر من الفاء (والليل مقمر) : أى مستنير بضوء القمر أى قد وضح الأمر بينى وبينكم ، كما يكشف القمر ظلمة الليل ، ومنه المثل (أسرى عليه بليل) وجملة (والليل مقمر) : إما حال من الحاجات ، والرابط الواو فمحلها نصب ، وإما معطوفة على جملة (حمت) فلا محل لها من الإعراب ، (وشدت) أى هيئت (لطياتى) ، ويروى لـ (طيات) بدون إضافة وهو بكسر الطاء جمع (طِية) بكسر الطاء أيضا ، إما بمعنى النية التى انتواها ، أو المنزل الذى قصده : قال الخليل (الطية) تكون منزلا ، وتكون منتئاً ، يقال منه (مضى لطيته) أى لـ (نيته) التى انتواها ، (وبعدت طيته) أى المنزل الذى قصده (مطايا) جمع (مطية) ، وتقدم بيانها (وأرحل) بالعطف على مطايا جمع (رحل) وهو ما يوضع على ظهر البعير ، كالقتب ، وجملة (شرت) عطف على جملة (حمت) فلا محل لها من الإعراب ، والمقصود من هذا البيت : توبيخ قومه على ما وقع منهم من التفريط .

٣ ــ وَفِي الأَرضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزَّلُ

الزمخشرى : (المنأى ، والمنتأى) : الموضع البعيد ، قال النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

و (القِلى) : البغض ، فإن فتحت القاف مددت ، كقولك : قلاه ، يقليه قلى وقلاء ، ولغة طىء (يقلاه) ، وأنشد ثعلب :

أيام أمّ الغمر لا يقلاها

والمتعزل الموضع الذى يعتزل (فيه منأى) اسم معتل مقصور ، سمى بذلك لحبسه عن الإعراب ، ولم تظهر فيه الحركة الإعرابية ، لأن الألف حرف هوائى ، يجرى مع النفس ، لا اعتماد له فى الفم ، والحركة تقطع جرى الحرف عن استطالته ، فلذلك لم يجتمعا ، ومتى حركت انقلبت همزة فتخرج عن أصلها ، ويعرف إعراب هذا النوع بما قبله من العامل : هل اقتضى رفعا أو نصبا أو جراً ، وبما بعده ، فبالتابع من وصف أو عطف أو غيره ، فإعراب التابع كإعراب المتبوع ، وتقول (هذا منأى قريب) فبأى حركة حركت قريباً فاحكم على (منأى) به ، وكذا يجرى حكم المبنيات ، مما ليس مقصورا ، أو كان مقصورا ، إلا أن بينه ، وبين كم ، ومن ، وما شابههما مما كان يمكن تحريك آخره بحركة الإعراب ، ولم يحرك لبنائه فرقا فى الحكم عليه فى الإعراب ، وذلك إن ما كان مقصورا معرباً بالحركة الإعرابية مقدرة على آخره لأنها مستحقة له ، وامتنع ظهورها لنبوّ الألف عنها ، فكأنها ملفوظ بها ، وأما من ، وكم ، ونظائرهما ، فلا تقدر على الحرف الآخر منها حركة الإعراب ، لأن امتناع الحركة لم يكن لأن آخره غير قابل لها بل لأن الاسم بكماله ، امتنع دخول الإعراب عليه ، ففى المبنى تقول هو فى موضع اسم مرفوع أو منصوب أو مجرور ، وفى المقصور هو فى تقدير نصب أو رفع أو جر ، وقد لا يمتنع الإطلاق عليه ، بما أطلق على الأول ، غير أن حكم التحقيق ما ذكرناه ، و (منأى) : مبتدأ ، وجوز الابتداء به شيئان ، أحدهما تقدم الخبر ، والثانى كونه موصوفاً بالجار والمجرور ، وهو قوله للكريم ، و (عن الأذى) موضعه نصب بمنأى ، و (متعزل) : مبتدأ أيضا ، وفيها الخبر ، (ولمن خاف القلى) : يجوز أن يكون صفة لـ (متعزل) : قدم فصار حالا ، وأن يكون مفعولا لـ (متعزل) .

المبـــرد : .....

العكبرى : .....

ابن زاكور : (المنأى) : المكان الذى ينأى ، أى : يبعد ، و (الكريم) هنا العزيز ، والسيد الواسع الخلق ، و (القلى) : البغض ، و (المتحول) : الموضع الذى يحصل التحول إليه ، وهو المعنى : يقول : والأرض واسعة ، ففيها ما يبعد العزيز عن الإذلال والأذية ، وفيها أيضا ، إذا تحول إليه من خاف وبال البغض ، وسوء عاقبته سلم ، وأمن ، وهذا معنى قول مَعْن بن أوس المزنى :

وفى الناس إن رثّت حبالك واصل وفى الأرض عن دار القلى متحول

وأفهم قوله (وفى الأرض منأى) البيت : أن الأرض واسعة غير ضيقة على الراغب فى الاعتزاز ، والراهب من القلى .

عطاء الله : (وفى الأرض منأى) : أى بعد ، على أنه مصدر ميمى أو مكان بعيد ، على أنه اسم مكان ، يقال : نأيت عنه إذا بعدت عنه (للكريم) أى المتكامل فى صفات المجد ، ويروى : للكرام (عن الأذى) أى الذل ، والإهانة ، و (فيها) أى الأرض أيضا (لمن خاف) : أى ظن أو علم ، (القلى) : أى البغض ممن ساكنه من قومه ، ومن غيرهم ، (متحول) : أى مكان ينتقل إليه ، وفى تعليق الحكم بالمشتق دلالة على أن وصف الكرم ، مما ينبو عن القعود فى مقاعد الذل ، وينافيه ، وهكذا كما قال الآخر :

ولا يقيم على ضيم يراد بـه إلا الأذلان عير الحى والوتـد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحـد

٤ ــ لَعَمْرُكَ مَا فِى الأَرضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِىءٍ
سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهُوَ يَعْقِلُ

الزمخشرى : (العمر) : الحياة والبقاء ، وفيه لغات ثلاث : (عمر) بفتح العين ،

وإسكان الميم ، وبضم العين ، وإسكان الميم ، وبضمهما ، و (الضيق) مصدر ضاق يضيق ضيقا ، و (الرغبة) إرادة الشيء ، يقال : رغب فى الشيء إذا أراد ، ورغبت عن الشيء زهدت فيه ، و (الرهبة) : الخوف ، والأصل الإتيان بفعل القسم فى كلامهم ، حتى صار يوصل به الكلام ، ويقع حشوا فيه فلا يعد فصلا ، وقد يلغى لذلك ، فلا يؤتى بجوابه ، فتصرفوا فيه ، بأن حذفوا الفعل ، وأبقوا المقسم به ، واللام فى (لعمرك) لام الابتداء ، وليست جواب القسم ، لأن القسم ، لا يجاب بالقسم ، وإلا لتسلسل ، ولم يثبتوه ، ولا يستعمل فى القسم من اللغات الثلاث إلا المفتوحة ، لأنها أخف اللغات ، ووزنها أخف الأوزان الثلاثية كلها ، والقسم كثير الاستعمال عندهم ، فاختاروا له أخفها .

قال الحبر ابن عباس :

« لم يقسم الله بحياة غير حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم . »

وخبر هذا المبتدأ محذوف ، وهو قسمى : أى لعمرك قسمى ، و (ضيق) مبتدأ ، وصف بقوله (على امرىءٍ) ، وبالأرض خبر مقدم ، و (سرى) صفة لامرء ، و (راغبا) : حال من الضمير فى (سرى) وكذلك (راهبا) ، والعامل فيهما (سرى) ، و (هو يعقل) مبتدأ ، وخبر موضعهما حال من الضمير فى (سرى) ، ويجوز أن يكون صاحبهما الضمير فى (راغبا) أو (راهبا) لأنهما كشيء واحد ، تقديره (راغبا) فيهما لما يخاف أو يرجى .

المبرد : .....

العكبرى : (سرى) : نعت لـ « امرىءٍ » ، و (راغبا) ، و (راهبا) : حالان من الضمير فى (سرى) ، والعامل فيهما (سرى) . وقوله : (يعقل) : الجملة حال أيضا ، وفى صاحب الحال هنا وجهان ، أحدهما الضمير فى (سرى) ، أى سرى عاقلا ، والثانى هو حال من الضمير فى (راغب) أو (راهب) ، أى : يرغب أو يرهب ، أى : فهما لما يرغب فيه ، أو يخاف منه .

ابن زاكور : (لَعَمرك) بالفتح : أى لحياتك ، وقيل لدينك ، يقول : لحياتك قسمى ما فى الأرض من ضيق على امرىء سرى (أى سار ليلا) فى حالة كونه راغبا فى العز مثلا ، أو راهبا من عقبى العداوة ، وهو يعقل أى : يميز ما رغب فيه وما رهب منه ، فحيثما وجد المرغوب فيه أقام ، فتتسع الأرض عليه بالخلاص منه ، وهذا معنى ضيق الأرض ، وسعتها فمرجعه فى الحقيقة إلى انقباض النفوس وانشراحها ، بحسب إدراكها الملائم ، وغيره كما أفصح به من قال :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكنَّ أخلاق الرجال تضيق

عطاء الله : (لعمرك) اللام للقسم ، و (العمر) بفتح العين المهملة : الحياة ، أى أقسم بحياتك (ما فى الأرض) ويروى بالأرض (ضيق) هو ضد السعة ، وأراد به موضع الذل منها ، أى ليس فى جميع جهاتها ، بل فى البعض القليل منها دون الكثير ، ذلك فهو من قبيل سلب العموم ، ونفى الشمول (على امرىء) أى شخص أو المراد الذكر خاصة ، لأن الأنثى تابعة له غالبا فى السفر والإقامة ، (سرى) أى سار فى ليل أو نهار ، مفارقا مكان الذل إلى مكان العز ، وأصل (سرى) للسير فى أول الليل ، وأسرى للسير فى آخره ، ومنه :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾

وقيل هما لغتان بمعنى السير فى الليل مطلقا ، وقيل (سرى) لازم ، و (أسرى) متعد بالباء ، ومعنى أسرى به ، جعله ساريا (راغبا) أى سار عن محبة واختيار (أو راهبا) أى سار عن كراهة واضطرار ، (وهو يعقل) أى ذو فهم لما يرغب فيه من الأمور الحسنة أو يرهب منه من الأمور القبيحة ، وأشار بهذا إلى أن الضيق لا ينتفى عنه ، إلا إذا كان ذا عقل ، يميز به بين الحسن والقبيح وأما الجاهل ، فالأرض كلها ضيق بالنسبة إليه ، لأنه كثيرا ، ما يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا ، فيقع فى الضيق والحرج ، ومن ثم قيل : لا غربة للعاقل ، ولا وطن للجاهل وجملة (يسرى) نعت لـ (امرىء) ، و (راغبا) أو (راهبا) حالان من الضمير فى سرى ، وجملة (وهو يعقل) : إما حال من الضمير فى (سرى) أيضا أو حال

من الضمير فى (راغبا أو راهبا) ثم أخذ يبين القوم الذين اختارهم على قومه .

٥ ــ وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَ أَرْقَطُ زُهْلُــولُ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

الزمخشرى : (دون) يستعمل نقيض (فوق) ، ويستعمل بمعنى القرب ، يقال : هذا دون هذا أى : أقرب منه ، والمراد هنا غيركم ، و (السيد) : الذئب يقال : هذا سيد رمل ، والجمع سيدان ، والأنثى (سيدة) ، وقد يسمى الأسد (السيد) ، قال الشاعر :

كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى

والعملس الذئب القوى على السير السريع ، قال الشاعر :

عَمَلَّس أسفار إذا استقبلت له سموم كحـرّ النــار لم يتـــلثم

(والأرقط) قريب من الأغبر ، وقيل ما فيه سواد يشوبه نقط بياض ، والمراد به النمر ، و (الزهلول) : الأملس ، (والعرفاء) : الضبع الطويلة العرف (وجيأل) : اسم للضبع ، معرفة بدون الألف واللام ، وهى صفة فى الأصل ، ثم غلبت ، فخرجت مخرج الأسماء ، (اللام) فى (ولى) : لام الملك كقولك : (المال لى) ، وللاختصاص كقولك : السرج للدابة ، والملك أعم ، لأن كل ملك اختصاص ، وليس كل اختصاص ملكا ، وأصل حركة هذه اللام الفتح ، لأنها من الحروف الأحادية ، كهمزة الاستفهام ، وحرف النفى ، وواو العطف ، ولذلك جاءت مع المضمر مفتوحة ، كقولك له ، ولهما ، ولهن ولهم ، والضمائر ترد الأشياء إلى أصولها عندهم ، وإنما كسروها مع ضمير المتكلم اتباعا ، لأن ما قبله لا يكون إلا مكسورا نحو : (غلامى) أو فى حكم المكسور نحو (عصاى) ، (وبشراى) وكسروها مع المظهر نحو (لزيد) ليفرقوا بينها ، وبين لام الابتداء ، لأنها ، قد تلتبس

بها فى بعض المواضع ، ألا ترى أنك إذا قلت : إن هذا العبد (لزيد) ، ووقفت على الدال من زيد مريدا إنه زيد ، ثم كررت هذا اللفظ مريدا : إنه ملك زيد ، فالأول لام الابتداء ، والثانى لام الجر ، وقد روى كسرها مع المضمر غير ياء المتكلم نحو : له مال ، وفتحها مع المظهر ، نحو (لزيد نوال) وهذا من الشذوذ وإنما جمع (أهلون) : جمع سلامة هنا ، لأنه نزلها منزلة أهله فى الانقطاع والاستئناس بها ، (وأهلون) : مبتدأ ، (ولى) : خبره ، وفى (دونكم) قولان : أحدهما أنه صفة لـ (أهلون) فى الأصل ، قدم فصار حالا ، وهو بمعنى غير ، وهكذا كل صفة تقدمت موصوفها ، وكان الموصوف نكرة ، كقول الشاعر :

فهـلا أعـدونى لمثلى تفاقـدوا وفى الأرض مبثوثا شجاع وعقرب

وكقول كثير :

لعـزة مـوحشا طلـل قـديم عفـاه كل أسحـم مستـديم

ونظائره كثيرة ، وجوز ذلك الأمن من اللبس ، لأن المانع من انتصاب الحال عن النكرة ، اشتباه الصفة بالحال ، ألا ترى أنك إذا قلت : رأيت رجلا كريما ، جاز فى (كريما) الصفة والحال ، وهما غيران ، والعامل فى الحال فى مثل هذا الاستقرار أو الظرف نفسه ، وصاحب الحال ضميره والقول الثانى فى (دونكم) إذا قيل : إنه صفة فتحه فتحة إعراب الصفة وإذا قيل إنه ظرف فتحه إعراب الظرف ، ومذهب الأخفش (أهلون) مرفوع بالجار الذى هو ارتفاع الفاعل بفعله ، و (سيد) وما بعده من الأسماء المعطوفة عليه يجوز أن يكون بدلا من (أهلون) وأن يكون كل واحد منها خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير أحدهما (سيد) وكذلك باقيها ، و (جيأل) اسم علم مؤنث لا ينصرف لذلك .

المبرد : (العملس) الذى فيه سواد وبياض ، و (السيد) : الذئب و (العملس) فيما ذكر لى : الأحول السريع الممر فى سهوله وأنشد لابن مناد

عملس أسفار إذا اعترضت له سموم كحر النار لم يتلثم

و (العملس) : الخفيف أيضا وأنشد

والشاة لا تمشى على العملس

أى : على الذئب ، ومعنى (تمشى) تزيد وتكثر ، ومنه قوله عز وجل :

﴿ أن امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾ .

أى : قوموا على المواشى ، وازدادوا منها ، و (الأرقط) : الحية التى فيها نقط بياض ، وسواد ، ومنه دجاجة رقطاء (والزهلول) : الأملس ، (والعرفاء) : الضبع ذات الشعر الكثير ، (والجيأل) الأنثى من الضباع ، والذكر الضبعان ، و (العملس) من أوصاف الذئب ، فوصف به هنا رجلا استعارة (والسيد) فى لغة هذيل : الأسد ، وإنما عنى هنا (الذئب) : ألا تراه قال عملس ، و (الأرقط) : النمر ، والرقطة كل لونين مختلفين (والزهلول) : الخفيف ، ويقال أيضا الثقف ، و (العرفاء) الضبع الطويلة العرف ، وليس ههنا بنعت ، ولكنه فى الأصل نعت ، فقلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت ، حتى أنه يقال : جاءتكم العرفاء فيفهم من هذا القول : إن الضبع جاءت ، ويجرى هذا المجرى : أجدل يعنى (الصقر) لا يراد غيره ، وهو فى الأصل نعت ، لأنه من الجدل وهو شدة الخلق ، يقال غلام مجدول إذا كان شديد العصب ، وزمام مجدول ، إذا كان محكم الحرز ، وليس كل ما كان مجدولا يسمى : أجدل ، فصار اسما غالبا ، وجيأل من أسماء الضبع .

العكبرى : (السيد) : الذئب ، (وعملّس) : سريع السهولة ، (وأرقط) : فيه سواد وبياض ، و (زهلول) : خفيف ، و (عرفاء) : الضبع الطويلة العرف ، و (جيئل) من أسماء الضبع .

(أهلون) : مبتدأ ، و (لى) : خبره ، وفى (دون) وجهان ، أحدهما هو صفه لـ (أهلين) ، بمعنى (غير) ، فلما قدِّم صار حالا ، وهكذا صفة النكرة إذا قدمت عليها ، أى : ولى أهلون غيرُكم ، والثانى هو ظرف ، والعامل فيه الجار والمجرور ،

أو ما يتعلق به الجار من معنى الاستقرار ، وفتحة النون على الوجه الأول إعراب الصفة ، وعلى الوجه الثانى : إعراب الظرف .

وعلى قول الأخفش (أهلون) رفع بالجار ، وهو فاعل ، و (سيد) ، والأسماء المعطوفة عليه بدل من (أهلون)

وياء (السيد) أصل عند سيبويه ، وقال بعضهم : هى بدل من الواو ، وأخذه من (ساد يسود)

(وعرفاء) : فى الأصل صفة ، وهى الطويلة العُرْف ، ثم غُلِّبت حتى خرجت مخرج الأسماء ، و (جيئل) : ليست صفة ، بل هو اسم لها علمٌ لا ينصرف للتعريف والتأنيث .

ابن زاكور : (الأهلون) : جمع أهل ، وأهل الرجل عشيرته ، وذوو قربا وهو هنا استعارة لما ذكره من السيد بالكسر هو من أسماء الذئب ، والعملس بفتح العين المهملة ، والميم واللام المشددة : الخبيث من الذئاب والأرقط : النمر ، سمى بذلك لرقطته ، وهو سواد مشوب بنقط بيض ، و (الزهلول) بزنة (عُرجون) : الأملس ، و (العرفاء) هنا : الضبع ، سميت بذلك ، لأن لها عُرفاً بضم العين أى : شعراً فى عنقها ، و (جيئل) من أسماء الضبع ، فهو بدل من عرفاء ، وهو على وزن : فيعل ، ومعرفة باللام والألف ، قاله فى الصحاح : ومعنى البيت : ولى دونكم ــ يا بنى أمى ــ أهلون مؤلفون من وحوش القفار والمفاوز ، وهم ذئب خبيث ، ونمر أملس ، وضبع ذات عرف ، والمقصود أنه اعتاد السفر ، وتكرر منه قطع المهامه حتى ألفته وحوشها ، فصارت له بمثابة الأهل ، أى فلا يؤذونى الرحيل ولا يشق على السير .

عطاء الله : (ولى دونكم أهلون) جمع : (أهل) بمعنى قوم ، و (دون) فى الأصل اسم (لأدنى) مكان من الشىء ، استعير للتفاوت فى الأحوال ، والرتب ،

ثم اتسع فيه ، فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد ، وتخطى حكم إلى حكم ، فقوله (لى) : خبر مقدم ، و (أهلون) : مبتدأ مؤخر ، و (دونكم) حال من الضمير فى متعلق الخبر ، والمعنى : ولى أهلون يغايرونكم فى الجنس والصفة ويتخطئونكم فى صفة الضرر الكامن ، ثم بينهم بما أبدله منهم فى قوله (سيد) هو بكسر السين المهملة ، واسكان الياء المثناه تحت اسم للذئب ، وياؤه أصلية عند سيبويه ، وذهب بعض أهل العربية ، إلى أنها منقلبة عن الواو وأنه من ساد ، يسود ، (عملس) هو بفتح أوليه ، وتشديد ثالثه الخفيف كذا ذكره ثعلب وأنشد :

(والشاة لا تمشى على العملس)

أى لا تزيد وتكبر ، ومنه قوله تعالى حكاية :

﴿ أن امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾

أى قوموا على المواشى ، واثبتوا على عبادتها (وأرقط زهلول) : الأرقط قيل هو الحية التى فيها نقط بياض وسواد ، ومنه دجاجة رقطاء ، و (الزهلول) بضم الزاى الأملس ، والخفيف ، والرقط كل لونين مختلفين وقيل الأرقط : النمر : وأنت خبير بأن هذا أنسب بسابقه ولاحقه ، و (عرفاء) هو بكسر العين المهملة ، وإسكان الراء : الضبع الطويلة العرف وليست لغلبة الاسمية عليها ، وإن كانت فى الأصل صفة حتى أنه لا يفهم من قولك جاءتكم العرفاء إلا الضبع ، ومثله أجدل بمعنى الصقر ، وإن كان فى الأصل وصفا من الجدالة بمعنى القوة ، (جيأل) هو بجيم مفتوحة وتحتية ساكنة ، وهمزة مفتوحة اسم للضبع لا ينصرف ؛ للعلمية ووزن الفعل ، ثم الضبع اسم للأنثى ، ويُجْمع على ضباعين ، وقد بالغ بذلك فى وصف قوته بكمال الضرر ، وشدة الإيذاء ، حيث اختار هذه الحيوانات الضارة عليهم وآثرها عليهم فى الصحبة ثم شرع يبين وجه اختيار هذه الحيوانات على قومه .

٦ ــ هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلاَ الْجَانِى بِمَاجَرَّ يُخْذَلُ

الزمخشرى : يقال : ذاع الكلام أى انتشر ذيعا وذيوعاً ، و (جرَّ) عليهم جرِيرة أى : جنى جناية طولب بها ، و (المخذول) : الذى لا يعان ولا ينصر ، وهم ضمير مرفوع منفصل ، والأصل (همو) بواو بعد الميم ، لأن علامة الجمع مقابلة لعلامة التثنية ، وقد تقرر أن الألف زيدت بعد الميم للتثنية فتزداد الواو للجمع ، ولأن علامة جمع المؤنث نحو (أنتن) حرفان ، ففى المذكر كذلك الميم والواو ، وإنما حذفت الواو لتوالى الضمات ، وثقل الواو ، وقد أمن من اللبس ، فإن الواحد لا ميم فيه ، والتثنية فيها الألف ، فلم يبق غير الجمع ، وهذا الضمير مبتدأ ، والرفع له عند المحققين الابتداء ، وهو كونه أولا مقتضيا ، ثانيا و (الأهل) : خبره ، وأما (لا) فغير عاملة هنا ، لأن عملها ضعيف ، إذ هى غير متمكنة فى باب العوامل ، لأنها فرع إن ، وإن فرع فلا: فرع فرع ، فأما معناها فى النفى فباقٍ ، ومعنى الحرف ليس بلازم لعمله ليرتفع أحدهما بارتفاع الآخر ، ويجب بوجوبه ، والمعرفة ليس من بابه ، العمل فيها ، ولا هى من معمولاته ، و (مستودع) معرفة فلا يعمل (لا) فيه وإضافة (السر) إليه بمعنى من أى : لا المستودع من السر ، والإضافة هنا محضة ، و (مستودع) : مبتدأ ، وخبره (ذائع) وموضع هذه الجملة نصب على الحال ، تقديره (حافظين) والعامل فى الحال معنى الجملة ، لأن قوله (هم الأهل) : معناه : هم المستأنس بهم ، القائمون مقام الأهل ، ومثل هذا يعمل فى الحال ، ونظيره : ما شأنك داعيا ومتضرعاً ، وقولهم : يا جارتا ما أنت جارة أى : عظمت جارة ، ولديهم بمعنى عند ، وهى ظرف لذائع أى ليس منتشراً بينهم ، ويمتنع جعله ظرفاً لـ (مستودع) ، لأنه يؤدى إلى الفصل بين العامل والمعمول بخبر العامل ، ولأن (المستودع) هو (السر) على ما مضى ، وليس المقصود نفى السر عنهم ، وإنما نفى انتشاره ، و (الجانى) مبتدأ ، (ويخذل) : خبره ، والباء متعلقة بـ (يخذل) و (ما) مصدرية والتقدير : ولا الجانى مخذول بجريرته ، ويجوز أن تكون

بمعنى الذى والعائد محذوف أى بما جره ، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة ، وهى مساوقة للذى فى كونها فى سياق النفى ، فتعم ، وهى اقعد فى المعنى من الوجهين الأخيرين .

المبـرد : (مخذول) ، ويروى لا (مستودع) السر عندهم بفاش ويروى (شائع) أيضا

العكبرى : (هم الأهل) : مبتدأ وخبر ، و (لا) ها هنا : غير عامله ، لأنها داخلة على معرفة ، و (مستودع) : مبتدأ : والإضافة بمعنى (من) أى : ولا المستودع من الأسرار ، و (ذائع) : خبر المبتدأ ، وهو (مستودع) ولديهم : ظرف لـ (ذائع) أى لا يظهر فيما بينهم ، ولا يجوز أن يكون (لديهم) ظرفا لـ (مستودع) لما فيه من الفصل بين المعمول والعامل بخبر العامل ، و (الجانى) : مبتدأ أيضا ، و (يخذل) : خبره ، والباء متعلقة بـ (يخذل) ، وفى (ما) وجهان ، أحدهما بمعنى (الذى) ، والعائد محذوف ، أى بما جَرَّه ، والثانى مصدرية ، أى بجريرته ، ولو جعلت نكرة موصوفة لجاز ، أى : بشىء جَرَّه ، والتقدير (لا يخذل لديهم) فإن قيل : فما موضع الجملة التى هى : لا مستودع ... قيل : موضعها حال فإن قيل (هم) لا يعمل فى الحال ، وكذا (الأهل) ، قيل : الحال تنصب على المعنى ، والمعنى : هم المعتدُّ بهم ، والمتحققون بحكم الأهلية ، فكأنه قال : هم الثقات الناصحون ، ومثل هذا يعمل فى الحال ، ونظيره :

(يا جارتا ما أنت جارة)

ابن زاكور : (الرهط) : فى معنى (الأهل) ، و (السر المستودع) الذى أودع أى جعل وديعة عند الشخص ، بمعنى أن من ألقى إليه يطلب منه كتمانه يقول : هم ، أى ما ذكر من الوحوش الرهط لا غيرهم ، بمعنى أنهم أحق باسم الأهل ، و (الرهط) من الناس ، فإن من استودعهم سراً كتموه فلم يفش عندهم ، ومن

جنى جناية على أحد لم يسلموه إليه بجريرته ، فيكون ذلك خذلانا منهم له ، فأين هم من المسمين بالأهل الذين يشيع لديهم مستودع السر ، ويخلون الجانى بما جرى فيسلمونه إلى المجنى عليه .

عطاء الله : (هم) أى هؤلاء الحيوانات ، وعبر عنهم بضمير العقلاء لأنهم بمنزلتهم ، بل خير من كثير منهم كقومه (الأهل) أى الناصحون المعتد بهم ، الجديرون بحكم الأهلية ، وبين ذلك بقوله (لا مستودع السر) أى مخفيه ، و (السر) ما ينبغى كتمه ، وإضافة مستودع إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف ، و (السر المستودع) : المطلوب اخفاؤه ، فكأنه جعل وديعة عند من اطلع عليه ، وطلب منه اخفاؤه (ضائع) اسم فاعل من الضياع ضد الحفظ ، ويروى (ذائع) ، والكل بمعنى واحد ، (لديهم) أى عندهم فلا يطلعون عليه من طلب عدَمُ اطلاعه عليه ، وجملة (لا مستودع السر ضائع لديهم) : حال من (الأهل) بالتأويل السابق ، على أنه حال من الضمير فى المشتق ، والعامل فيه ذلك المشتق ، وليس حالا من المبتدأ ، حتى يكون مخرجا على الوجه المرجوح (ولا الجانى) أى الفاعل للجناية من اتلاف نفس أو عضو أو مال (بما جر) ما إما موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية ، أى بالذى جره أو شىء جره أو بجريرته ، والباء فيه على التقديرات الثلاثة للسببية (يخذل) أى يعان عليه ، وتترك نضرته أى : لديهم ، فحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، وأعاد النفى فى المعطوف تنصيصا على نفى كل واحد من الأمرين على حدة ، ولو لم يعده ، لاحتمل أن يكون نفيا للمجموع الصادق بنفى البعض دون البعض ، وليس مراداً .

٧ ــ وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

الزمخشرى : (الأبىّ) الممتنع يقال : أبىّ ، وأبيان ، وهو الذى يمتنع من الضيم فلا يقر ، قال الشاعر :

وقبلك ما هاب الرجال ظلامتى وفقأت عين الأشوس الأبيـان

و (الباسل) الشجاع البطل ، يقال : (بسُل) بضم السين فهو باسل ، والطرائد جمع طريدة ، وهى ما طردت من صيد وغيره ، والمراد بالطرائد هنا الفرسان التى تطرد يريد ، أنه إذا عرض من يطرد كان منا أو من غيرنا كنت أشد بسالة منهم ، وأما قوله (وكل) فالمراد به كل واحد من هؤلاء الذين ذكرت على الانفراد والاجتماع ، وهى مفردة اللفظ ، مجموعة فى المعنى ولهذا يرد الراجع تارة إلى لفظها كقوله تعالى :

﴿ قل: كل يعمل على شاكلته ﴾

وتارة إلى معناها ، كقوله تعالى :

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾

والإضافة مقدرة ، أى كل واحد ، فحذف المضاف إليه مريدا له ، وبقى حكم الإضافة ، وهو تعريف كل ، يؤيد ذلك قولهم :

(جاءنى القوم كلّ راكبا) ، (ورأيت كلا مصليا) ، فنصب الحال عن كل فى الحالين جميعا ، وقد ذهب أكثر الناس إلى امتناع دخول الألف واللام على كل ، لأن الإضافة مقدرة فيه حكما كما قدمنا ذكره ، وأما رفعه فلأنه مبتدأ ، وخبره (أبّى) ، ولفظ (كل) نكرة ، غير أن ما فيه من معنى العموم جبره ، فكان مبتدأ ، ولفظ (أبّى) مفرد ، موافقة للفظ كل ، وقد تقدمت أمثلته ، و (باسل) : خبر ثان ، وهو أجود ، من جعله صفة للخبر ، وغير منصوبة على الاستثناء ، والاستثناء منقطع ، أى : لكن أنا أبسل منهم ، وإذا موضعها نصب بأبسل ، أى : أنا شجع منهم ، وقت عروض الطرائد ، وعرضت موضعها جر بإذا ، و (أولى) مؤنثة مثل الأخرى ، ومذكرهما أول وآخر .

المبرد : (الأبّى) : الحمّى الأنف الذى لا يقر على الضيم ، و (الباسل) ، و (البسل) الكريه الوجه ، ويروى : أعرضت أى : بدت ، ومن قال : أعرضت

يريد : أبدى عرضها ، وهو ناحيتها ، قال عمرو بن كلثوم ، وأعرضت اليمامة ، واشمخرت و (الطرائد) جمع (طريدة) ، وقد يكون أراد بالطريدة التى تطرد ، والتى تطرد فإذا قال التى تطرد فلا نظر فيه ، يقول إذا لقيتنى أوائل الخيل التى تريد طردى وقتالى ، امتنعت لشجاعتى ، وإذا كانت التى تطرد لم يطمع فيها من قبلى ، والتى تطرد الخيل ، هذا هو الأخلق ، وإن كانوا ربما قاتلوا على الإبل فخيرهم القتال على الإبل .

العكبرى : (الأبّى) : الحمى الأنف ، الذى لا يقر للضيم ، و (الباسل) : الكريه و (الطرائد) التى تطرد ، وقوله (وكلٌّ) يريد : كل واحد منهم ، أو : كلهم ، فحذف المضاف إليه ، وهو يريده ، وبقى حكم الإضافة ، وهو تعريف (كل) ، ولذلك تقول : مررت بكلٍّ قائما ، وبكلٍّ قاعدا ، فتنصب عنه الحال ، ومنه قوله — عز وجل — :

﴿ ولكل درجات ﴾ [الأحقاف ١٩]

و ﴿ كلاً نقص عليك ﴾ [هود ١٢٠]

ولهذا ذهب أكثر الناس إلى أن (كلا) لا تدخل عليه الألف واللام لتقدير الإضافة فيه ، وهو مرفوع بالابتداء ، و (أتى) : خبره ، وأفرد لفظ الخبر حملا على لفظ (كل) ، ويجوز أن يأتى جمعا حملا على معناها ، ومن الإفراد قوله — عز وجل — :

﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ [مريم ٩٥]

ومن الجمع قوله :

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ [النمل ٨٧]

(وباسل) : خبر ثان ، أو وصف الخبر ، وقوله : (غير أننى) : استثناء

منقطع ، تقديره (لكن أنا أبسل منهم) أى : أشجع و (إذا) منصوبة بـ (أبسل) أو بمعناه أى أنا أشجع وقت ظهور الطريدة ، و (الطريدة) فعيلة بمعنى (فاعلة) أى فرسان الخيل ، أو بمعنى مطرودة ، أى الخيل التى يطردها فرسان أُخَر .

وأما فتح (أننى) فلأنها وما عملت فيه مصدر فى موضع جر بالإضافة ، تقديره غيرَ زيادة شجاعتى على شجاعتهم ، أى لكن تزيد شجاعتى على شجاعتهم ، و (أولى) : تأنيث الأول ، مثل : أخرى ، تأنيث الآخر .

ابن زاكور : (الأبى) الذى يأبى الدنايا ، ولا يقبل الضيم ، فعله أبى بالكسر إباء بالكسر أيضا ، و (الباسل) هنا (الأسد) والذى بسل بسولا عبس غضبا أو شجاعة ، فهو أيضا بسل وبسيل ، و (عرضت) : ظهرت و (الطرائد) : جمع طريدة ، بمعنى (مطرودة) ، وهى من الإبل ما يزعج من محله فى الفلوات : والمعنى وكل واحد مما ذكرته من الأهلين حمى الأنف لايضام ، شديد الشكيمة ، لا يرام بهوان ، غير أننى أشد إباء ، لذلك منها إذا ظهرت الأولى من الإبل التى شلت فى الغارات ، وتبعها أربابها لاستنقاذها ، وهم أحرد شىء إذ ذاك ، وأشد غيظا ، يكادون يتميزون من الغيظ علينا ، فناهيك بقتالهم ، وبشجاعة من يجول فى مجالهم ، ولا يكترثون بنزالهم .

عطاء الله : (فكل) تفريع على معنى البيت قبله ، ومسبب عنه ، والتنوين فى كل عوض عن المضاف إليه ، والأصل : فكل واحد من هذه الحيوانات الثلاثة ، فحذف المضاف إليه ، وهو يريده ، وبقى حكم الإضافة من تعريف (كل) ومن ثم صح مجىء الحال عنه ، فتقول : مررت بكل قائما ، وبكل قاعدا أو لهذا ذهب أكثر النحاة ، إلى أن كلا لتقدير الإضافة فيه ، لا تدخل عليه أل . (أبى) أى : حمّى أنف ، لا يقيم على الضيم ، بل يكرهه ، ويأباه ، فـ (كل) : مبتدأ ، و (أبى) : خبره وأفرد حملا على لفظ (كل) ، ويجوز جمعه حملا على معناه ، ومن الإفراد قوله تعالى :

﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾

ومن الجمع قوله تعالى :

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾

(باسل) : أى شجاع ، فالباسل فى الأصل : الكريه الوجه عند القتال ، ويقال له (بسيل) أيضا ، و (كل) مشتق من البسالة ، وهو خبر ثان لـ (كل) . (غير أننى) هو استثناء منقطع ، لعدم تناول المستثنى منه للمستثنى وهمزة (أن) مفتوحه لكونها مع معمولها فى محل جر بالإضافة إلى غير (إذا عرضت) ويروى (اعترضت) أى : بدت وظهرت ، ويروى أيضا (أعرضت) أى : بدا عُرضها بضم العين أى ناحيتها ، أنشد عمرو بن كلثوم :

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا

(أُولى الطرائد) أولى : تأنيث (أول) مثل : آخر وأخرى ، و (الطرائد) جمع (طريدة) ، وهى (الخيل التى تريد طرده) على أن فعيلا بمعنى فاعل أو الخيل التى تطردها فرسان أخر ، على أن فعيلا بمعنى (مفعُول) والمعنى : على الأول ، إذا لقيتنى أوائل الخيل ، التى تريد طردى ، وقتلى امتنعت منها لفضل شجاعتى على شجاعتهم ، والمعنى على الثانى : إذا لقينى الخيل التى يطردها فرسان آخرون لم يطمع فيها غيرى ، بل أستبد بغنيمتها من غير منازع لزيادة شجاعتى على شجاعة غيرى كما أشار إلى ذلك كله بقوله (أبسل) أى : أشجع ، وهو خبر إن ، وقد احترس بمعنى هذا البيت ، عما يفهمه ما تقدم من أن اختياره لهذه الحيوانات على قومه ومحبته انتقاله عنهم إليهم ، إنما هو لفضلهم عليه فى الشجاعة أيضا ، وإنما حملت الطرائد فى كلامه على الخيل ، لأن خير القتال ما كان عليها ، وإن كانوا قد يقاتلون على الإبل أيضا ، ثم أخذ يمدح نفسه بالعفة ، وعدم الشرّ فى الأكل بعد أن مدح نفسه بالأنفة ، وكمال الشجاعة .

٨ ــ وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِى إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِم إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

الزمخشرى : (الجشع) : أشد الحرص ، والماضى (جَشِع) بكسر الشين ، وتجشع كذلك ، ورجل جشع ، وقوم جشعون ، وهذا من جنس قول حاتم :

أكف يدى من أن تنال أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معـاً

(إن) : حرف شرط ، وهى أم أدوات الشرط ، لأنها حرف ، وغيرها من أدواته اسم ، والأصل فى إفادة المعانى الحروف ، كهمزة الاستفهام ، والنفى والاستثناء ، وغير ذلك ، وحرف الشرط ، إذا دخل على لم ، أقرَّ معنى الاستقبال ، لأن الشرط لا معنى له إلا فى المستقبل ، و (لم) إذا دخلت على الفعل المستقبل ردت معناه إلى المضىّ ، كقولك : لم أقم ، والماضى هنا لا معنى له فى جواب الشرط ، فتقرر أن (لم) لها معنيان : النفى ، ورد المضارع إلى الماضى ، ورد المضارع هنا إلى الماضى ممتنع ، لوجود (إن) الشرطية ، فأبطلت أحد معنيى (لم) ، وهو رد المضارع إلى المضى وبقى المعنى الآخر ، وهو النفى ، ويدلك على هذا أن (لم) . إذا وليت حرف الشرط ، قررت معنى الاستقبال ، فكذلك فى جواب الشرط ، لما بين الشرط وجوابه من التعلق ، وأيضا (لم) هنا بمعنى (لا) ، ولا تقع فى جواب الشرط ، ومعنى الاستقبال باق ، وأيضا فإن الشرط والجواب هنا لحكاية الحال ، ولا يراد به الاستقبال فى المعنى ، فلذلك وقعت (لم) فى جواب الشرط ، وإنما عملت إن الشرطية لأنها اقتضت فعلين ، كل فعل يلزم فاعله ، فصار الكلام جملتين ، ولا يتم بدونهما فإن الشرطية لغت الجملتين فصيرتهما كالجملة الواحدة ، وذا طول يناسبه التخفيف ، والحذف ، ولا تخفيف أقل من حذف الحركة لأنه سكون فلهذا كان عملها الجزم ، والأصل فى (أكن) : أكون ، فالمحذوف بلم حركة النون ، فلما سكنت ، وكانت الواو ساكنة حذفت الواو لا لتقاء الساكنين وكانت أولى بالحذف ، لكونها من حروف العلة ، والبا فى ب (أعجلهم) للتوكيد ،

زائدة غير متعلقة بشيء ، وهو نظير اللام فى خبر (إن) وإنما زيدت الباء دون غيرها لأنها للإلصاق ، وملاصقة الشيء بالشيء تدل على تأكيد العلقة بينهما ، وهذه الباء لا تتعلق بشيء لأنها لم تأت بالتعدية ، فهى كباء خبر ليس ، و (إذ) ظرف زمان ، العامل فيها (أعجلهم) ، أى : لم أكن عجلا فى وقت مد الأيدى ، وهذا حكاية عن حاله الواقعة ، لا إنه يخبر أن هذا يوجد منه فيما يأتى ، وهو مؤكد لما قيل من الوجه الثالث من الكلام على (لم) لأنه لو أراد حقيقة الاستقبال لأتى (بإذا) دون (إذ) ، وأجشع : مبتدأ ، وخبره (أعجل) ، وموضع هذه الجملة خبر بالإضافة إلى (إذ) ، والتقدير : لم أكن بـ (أعجلهم) ، وقت عجلة .

المبرد : (أجشعهم) : أحرصهم على الطعام .

العكبرى : (أجشع) : أحرص ، و (بأعجلهم) : الباء زائدة للتوكيد غير متعلقة بشيء ، وإنما حسنت زيادتها من أجل النفى بـ (لم) ، وهى بمعنى : « ما كنت » ومن حكم (لم) أن تردَّ الفعل المستقبل إلى الماضى ، والماضى ها هنا لا معنى له فى جواب الشرط ، لأن الشرط لا معنى له إلا فى المستقبل ، فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه :

الأول : أن (لم) إذا وليت حرف الشرط تقرر المستقبل على بابه ، ويمنع الشرط ردّ المضارع إلى الماضى ، فكذلك جواب الشرط لتعلقه بالشرط .

الثانى : أن (لم) هنا بمعنى (لا) ، ولا : لا تغير جواب الشرط ، ولا تغير معنى الاستقبال .

والثالث : أن الشرط والجواب هنا لحكاية الحال ، ولا يراد به الاستقبال فى المعنى ، فلذلك وقعت (لم) فى جواب هذا الشرط .

وأما (إذا) فظرف زمان ، والعامل فيه (أعجلهم) أى لا أسبقهم فى ذلك الوقت ، وهذا يؤيد ما ذكرناه من حكاية الحال ، إذ لو أريد به الاستقبال لكانت (إذا)

وقوله (أجشع القوم) : مبتدأ ، (أعجل) : خبره ، وموضع الجملة جر بالأضافة ، والتقدير : أعجلهم ، أو أعجل من غيره .

ابن زاكور : (الأجشع) بتقديم الجيم على الشين الأكثر جشعا بالتحريك ، وهو أشد الحرص وأسوأه ، وأن يأخذ الإنسان نصيبه ، وعينه فى نصيب غيره يقول : إذا أجشع الناس على زادهم ، ومدوا أيديهم لتناوله ، لم أكن أنا أكثرهم عجلا إليه ، بأن أسبقهم إلى ذلك جميعهم ، أما سبق بعضهم فقط ، كما إذا كان سبق بعض الآكلين الجميع ، فتلاه بعضهم على الفور ، قبل غيره ، فإن ذلك قد لا يكون عيبا ، بل ربما كان من مكارم الأخلاق لما فيه من رفع الجشعه عن السابق بإيناسه بذلك ، ولذلك نفى عنه الأعجلية ، دون مطلق العجل ، فإنه لا يكون من الزلل ، ولا يعد صاحبه مخطئا فيدعى على أمه بالهبل ، ويدل لما قلناه قوله :

(إذ أجشع القوم أعجل) : أى أشد القوم حرصاً على الطعام لشدة نهمه أشد عجلا إلى مد اليد إلى الزاد ، ووجه الدلالة منه أنه علل نفى كونه أعجل ، بأن سببه شدة الجشع فى الخارج ، فيستدل بالأعجلية على الجشع فيذم بذلك ، وحيث أنه عنوان على شدة النهم ، فالذم فى الحقيقة إنما هو بالجشع ، أما إذا كان سبب العجلة ما قلنا ، فلا ذم ، والله سبحانه أعلم .

عطاء الله : (وإن مدت الأيدى) : أى بسطت جمع يد بمعنى الجارحة ، وأما (اليد) بمعنى (النعمة) مجازا ، فتجمع على (أيادى) إذ من علامة المجاز جمعه على خلاف جمع الحقيقة . (إلى الزاد) : أى الطعام ، (لم أكن بأعجلهم) : أى لم أكن سابقا عليهم فى ذلك ، فأفعل التفضيل ، بمعنى أصل الفعل ، و (الباء) زائدة فى خبر أكون ، غير متعلقة بشىء ، وحسن زيادتها النفى بـ (لم) ، والفعل ههنا مستقبل ، لكونه جوابا للشرط الذى لا يكون إلا مستقبلا ، وإن دخلت عليه (لم) التى من حكمها أن ترد المستقبل ماضيا ، وقيل : إن الشرط إذا وقع وقع قبل (لم) قرر الفعل مستقبلا ، ومنع

(لم) من رد الفعل المضارع إلى المضى ، فكذلك جواب الشرط لتعلقه بالشرط ، وارتباطه به ، وقيل : الجواب والشرط ههنا حكاية الحال ، فلا يراد بهما الاستقبال فى المعنى ، فلذلك وقعت (لم) فى جواب الشرط (إذ أجشع القوم) أى أشدهم حرصاً على الطعام ، (وإذ) ظرف زمان ماض ، والعامل فيه قوله (أعجل) ، أى أسبقهم بمعنى السابق عليهم ، فأفعل التفضيل ههنا أيضا بمعنى أصل الفعل ، أى لأسبقهم فى ذلك الوقت الماضى ، وهذا مما يؤيد كون المراد حكاية الحال ، إذ لو أريد الاستقبال ، لكان الموقع لـ (إذا) دون إذ ، و (أجشع) : مبتدأ ، و (أعجل) : خبر ، والجملة فى محل جر بالإضافة إلى (إذ) .

٩ ــ وَمَاذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ

الزمخشرى : (البسطة) : السعة والتفضل ، الإحسان ، والأفضل الذى يفضل غيره ، (والمتفضل) الذى يدعى الفضل على أقرانه ، والمعنى فحواه : أن ما ذكر من أخلاقه ، وأحواله التى شرحها ، لم يكن يمنعنى من الإتيان بضدها إلا السعة والأفضال على الغير ، لأنى مصروف عنه من جهة أخرى ، و (ما) هنا : نافية ، وأهل الحجاز أعملوها لضرب من الشبه بينها ، وبين ليس ، إلا أنهم اشترطوا لعملها شرطين أحدهما أن يستمر الاسم بعدها ، والخبر بعده ، والآخر أن لا يبطل النفى فإن وجد شىء من ذلك ، فقد اتفقت اللغتان على إلغائها ، وكان الاسمان بعدها مبتدأ وخبراً ، كقولك :

ما قائم زيد ، وما زيد إلا قائم

والعلة فى ذلك أن الأصل فى (ما) أن لا تعمل ، وإنما عملت عند من أعملها للشبه المتقدم ، فإذا زال ، زال المقتضى للعمل ، فبطل العمل ، وأما تقديم الخبر ، فالنفى باق معه ، غير أن (ما) حرف ، فلم تقو قوة ما أشبهت ، وهو ليس ، وقد حكى عنهم :

ما مسيئا من أعتب

ولغة الحجازيين فيما يرى أفصح ، وهى المقدمة ، لأن التنزيل ورد بها ، ولغة التميميين أقيس لأنها جارية على أصل ؛ كثير النظائر فى اللغة ، وهو ترك إعمال المشترك ، قوله (ذاك) إشارة إلى مجموع ما مدح به نفسه ، وموضع (ذا) : مبتدأ ، و (بسطة) : خبره ولا موضع (للكاف) من الإعراب ، وإنما هى حرف للخطاب ، وليست اسما ، إذ لو كانت اسما لكانت : إما مرفوعة أو منصوبة ، ولا رافع ولا ناصب ، وليست مجرورة ، لأن (ذا) مبهم ، والمبهمات لا تضاف و (عن تفضل) موضعه نصب ببسطة ، (وعليهم) فى موضع نصب بتفضل ، والأفضل : خبر كان ، والمتفضل اسمها ، والمعنى : إن المتفضل هو الأفضل ، لا إنه الذى يدعى الفضل فقط ، بل هو فى نفس الأمر كذلك .

المبرد : يقول : لى بسطة فى الأمر فأنا عليهم أتفضل .

العكبرى : (بسطة) : سعة ، (ذاك) : كناية عن أخلاقه التى شرحها وهو مبتدأ ، و (بسطة) : خبره ، و (إلا) لا تمنع من ذلك ، و (إلا) أبطلت عمل (ما) ، والاستثناء غاية المعنى ، والتقدير : مالى حال أو خلق إلا كذا وكذا ، وكذا إذا قلت :

ما زيد إلا قائم

الاستثناء ليس من لفظ (زيد) لأن الواحد لا يستثنى منه ، وإنما ما أحوال زيد إلا القيام ، فهو استثناء من جمع فى المعنى و (عن) نعت لـ (بسطة) ، و (على) تتعلق بـ (تفضل) ، و (الأفضل) خبر كان مقدم على اسمها ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (البسطة) هنا : السماحة والسعة فى الكرم ، والتفضل كالأفاضل : الإحسان ، يقال أفضل عليه ، وتفضل : والمعنى وليس انقباض يدى عن تناول الزاد قبلهم لعلة سوى سماحة ناشئة عن إحسان إليهم ، أو سوى سعة فى إحسان إليهم ، فـ (عن) بمعنى (فى) على هذا التقدير الآخر ، وكان المتفضل أى المحسن ، الأفضل بالنصب على أنه خبر كان مقدما على اسمها ، وجملة : وكان الأفضل .. الخ أكدت ما أبهمته التى قبلها بمعونة المقام ومن كون المتفضل أكثر فضلا من غيره وهذا يسمى تذييلا ، وقد تكون

الجملة المذيلة مؤكدة لمنطوق ما قبلها ، وهى على كل حال ، لا محل لها من الإعراب ، ومن الناس من يسمى مثل هذه الجملة ـــ اعتراضا ، وإن كان فى آخر الكلام بناء على أنه عنده لا يختص بأثناء الكلام الواحد ، وما فى معناه من الكلامين المتصلين معنى ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، ونكتة هذا التذييل أو الاعتراض الحث على التفضل .

عطاء الله : (وما) هى نافية ، (ذاك) هو إشارة إلى أخلاقهم التى شرحها فيما تقدم ، و (الكاف) فيه حرف خطاب ، وليست اسما ، وإلا لكان اسم الإشارة مضافاً إليها ، وأسماء الإشارة لا تضاف أصلا (إلابسطة) أى : سعة ، تقول : لى بسطة فى الأمر : أى سعة وهو بالرفع خبر (ذا) ، وأما (ما) فملغاه لأنها لا تعمل فى مثبت (عن تفضل) أى ناشئة عن إحسان منى إليهم ، فالظرف متعلق بمحذوف صفة لـ (بسطة) وليس المستثنى منه (ذا) لكونه أمرا واحدا لا تعدد فيه ، بل جمع مقدر ، والتقدير : وما ذاك واقع فى حال من الأحوال إلا فى حال وقوع بسطة ناشئة عن تفضل منى عليهم ، كما تقول :

ما زيد إلا قائم :

على معنى ما حاله إلا القيام ، (وكان الأفضل) : أى الزائد على غيره فى الفضل ، وهو بالنصب : خبر كان قدم على اسمها (المتفضل) أى على ذلك الغير بالإحسان إليه ، والإنعام عليه ، وقد أشار إلى صغرى الدليل أولا فى قوله : وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم لتضمنه معنى : أنا متفضل عليهم ، وأشار إلى كبراه ، ثانيا فى قوله (وكان الأفضل المتفضل) لتضمنه معنى : وكل متفضل على غيره ، أفضل منه ، فينتج : أنا أفضل منهم ، فإن قلت : كيف حملت كلامه على ذلك ، والشاعر جاهلى صدر عنه هذا الكلام ، قبل تدوين علم المنطق ، قلت لا يلزم من عدم تدوينه عدم معرفتهم بقواعده ، كالنحو والصرف ، وغير ذلك من العلوم ، التى حدث تدوينها . ألا ترى أن القرآن ورد مشيرا إلى قواعد كل علم وكانوا يعلمون معانيه ، بمجرد النزول ، وهذا البيت يفهم كسوابقه إن قومه كانوا يجازون حسناته

بسيئات ، وسيصرح بذلك فى البيت الآتى :

١٠ ــ وَإِنِّى كَفَانِى فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِياً
بَحُسْنَى وَ لَا فِى قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

الزمخشرى : (التعلل) : التلهى بالشىء ، يقال : فلان يتعلل بكذا أى : يتلهى به ، ويجتزى ، و (المتعلَّل) هو الشىء الذى يتعلل به ، و (إنى) مستأنف ، (وكفانى) : خبر إن ، و (كفى) : يتعدى إلى مفعولين الثانى غير الأول ، والياء منى هو المفعول الأول ، والنون من (كفانى) للوقاية ، سميت بذلك ، لأنها تقى الفعل من الكسر ، إذ الفعل لا كسر فيه ، و (فقد) المفعول الثانى ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، والفاعل مقدر ، وتقدير الكلام : إن فقدت ، وهذا النوع من المصادر المعملة بغير خلاف ، وهو المضاف ، ويلى المنون فى قوة العمل ، لأن الإضافة وإن اختصت بالأسماء ، غير أنها قد توجد مع انتفاء التعريف ، وعند التعريف بها ، فالتعريف سار من الثانى إلى الأول ، بعد أن مضى لفظ الأول على التنكير ، بخلاف ما فيه الألف واللام ، وهو يعمل عمل فعله ، لأنه أصل الفعل ، وفيه حروف الفعل ، ويكون للأزمنة الثلاثة : الحال ، والاستقبال والماضى ، ولقوة هذه المشابهة عمل ، وإن لم يعتمد على شىء ، وهذه المشابهة والعمل ، لا يحصل إلا أن يحسن تقديره بإن والفعل ، فإن لم يحسن تقديره بهما ، بقى على ما كان من عدم الفعل لأنه أصل فيه ومنهم من يجوز جعلها بمعنى الذى ، والصلة ، والعائد ليس واسمها وموضع من جرّ بإضافة (فَقْدَ) إليه ، ويجوز جعلها نكرة موصوفة أى إنسان غير مجاز بالخبر ، ويكون موضع ليس واسمها جرا صفة لمن ، و (فقد) مضاف إلى المفعول ، والباء فى (بحسنى) تتعلق بـ (جازيا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ، لكونه جاريا على فعله حركة وسكونا فى غالب أحواله فـ (جازى) مثل يجزى ويضرب مثل ضارب ، ولأن لام الابتداء تدخل على الفعل واسم الفاعل ، ويتقدم

على كل منهما معموله ، ويجب بوجوب فعله ، ويجب إذا عمل أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال ، إذ الأصل فى الأسماء أن لا تعمل ، كما أن الأصل فى الأفعال أن لا تعرب ، فالمضارع أعرب لشبهه بالاسم ، فلا يعمل من أسماء الفاعلين إلا ما أشبه المضارع فى إحدى صفتيه الحال أو الاستقبال ، وإذا كان للحال أو للاستقبال لم يتعرف بالإضافة ، كقوله تعالى :

﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾

وكقول الشاعر :

يارُبّ غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا

فرب لا يدخل على معرفة ، وإنما يعمل إذا اعتمد على شيء قبله لأنه يقوى بذلك مثل أن يكون خبراً كقولك :

هذا ضارب زيدا

أو وصفا مثل :

هذا رجل بارع أدبه

أو حالا مثل :

جاء زيد راكبا فرسا

أو كان قبله حرف استفهام مثل :

أضارب زيداً

أو حرف نفى نحو :

ما ذهب أخوك

ومتعلل يجوز أن يكون اسم ليس المقدرة ، أى وليس متعلل فى قربه و (فى قُربه) خبر ليس هذه ، ويجوز أن يكون (متعلل) معطوفاً على اسم ليس المتقدمة ،

و (فى قربه) يجوز أن يكون صفة لـ (متعلل) ، قدم فصار حالا ، ويجوز أن يتعلق بمتعلل أى لا يتعلل فى قربه .

المبرد : (ما فى قربه) : ما يكتفى به .

العكبرى : (كفانى) : يتعدى إلى مفعولين : الأول الياء من (نى) والثانى (فقد) والجملة خبر (إن) ، (والنون) : نون الوقاية ، أى تقى الفعل من الكسرة ، و (مَنْ) نكرة موصوفة ، أى : فقد إنسان لا يكافىء على الحسنة ، وليس وما عملت فيه فى موضع جر ، نعت لـ (من) ، واسم (ليس) ضمير يعود على (من) والباء فى (بحسنى) تتعلق بـ (جازيا) و (متعلل) : يجوز أن يكون معطوفا على اسم (ليس) ، و (قربه) فى موضع نصب خبر (ليس) المقدرة ، كما تقول :

ليس زيد فى الدار ، ولا فى المجلس عمرو

ويجوز أن تكون الجملة المعطوفة مستأنفة ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (كفانى كذا) أى : أحسبنى ، ووجدت فيه الكفاية (والحسنى) ضد السوأى ، و (المتعلل) موضع التعلل : أى التلهى والاجتزاء ، يقول : لا أبالى بفقد الشخص الذى ليس مكافئا على الفعلة الحسنى ، و (ليس فى قربه) أى القرب منه ما يتعلل به من قرب منه ، أى : لاخير فيه ، فتتلهى به نفس من قرب منه ، وتتكلف الاجتزاء به لقلته ، فقد كفانى فقد هذا المذكور ، وأى خوف فقده .

عطاء الله : (وإنى كفانى) : كفى : فعل يتعدى إلى مفعولين : الأول الياء ، والثانى قوله (فقد) ، والنون للوقاية ، سميت بذلك ، لأنها تقى الفعل الكسر الذى لا يدخله ، والفاعل ما يأتى فى البيت بعده من قوله : ثلاثة أصحاب ، ففى هذا البيت التضمين ، وهو أن يكون البيت مفتقراً إلى ما بعده افتقاراً لازماً ، وهو معيب فى حق المولدين ، دون العرب العرباء والكلام ههنا على حذف مضاف ، والتقدير :

كفانى حزن فقد (من ليس جازيا بحسنى) أى اعتضت عن فقد من لا يجازى على الحسنة ، يعنى قومه بالثلاثة المذكورين ، ولم أحزن عليه حزن الفاقد على المفقود ، وقوله (بحسنى) يحتمل أن يكون (الباء) فيه على أصلها ، والمعنى لا يجازى بحسنى على حسنى ، ويحتمل أن تكون بمعنى على والمعنى لا يجازى على حسنى بحسنى ، والأول أحسن إذ لا ضرورة تحوج إلى إخراج الحرف عن معناه بعد اتحاد المعنى على التقديرين ، ولا احتياج إلى الحذف فيهما (ومَنْ) نكرة موصوفة ، أى فقد إنسان أو قوم ، لا يكافئون على الحسنة وجملة ليس وما عملت فيه نعت (لمن) واسم ليس ضمير يعود إلى من (ولا فى قربه متعلَّل) بفتح اللام : أى ما يقتنع ، ويكتفى به من النفع ، والجملة معطوفة على جملة ليس ، وأعاد حرف النفى فى المعطوف كما تقدم ، ويجوز عطف (متعلل) على اسم ليس ، و (فى قُربه) على خبرها على أنه من عطف المفردات والعطف على معمولى عامل واحد ، وهو جائز اتفاقا كما تقول :

ليس فى الدار زيد ، ولا فى المسجد عمرو .

١١ ــ ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

الزمخشرى : (المشيع) الشجاع المقدام ، كأنه فى شيعة ، (وإصليت) أى صقيل ، ويجوز أن يكون فى معنى مصلت ، ولهذا يقال : سيف مُصْلَت ، أى مجرد من غمده ، و (الصفراء) : اسم للقوس ، ذكره الجوهرى وقال غيره قوس من نبع ، و (العيطل) : الطويلة العنق ، وكذلك هى من النوق والخيل ، وإنما ثبتت الهاء فى المذكر من الثلاثة إلى العشرة دون المؤنث ، واللغة تقتضى أن تكون مع المؤنث ، لأنها دالة عليه ، لأن المذكر أصل ، والمؤنث فرع عليه ، والعدد جماعة ، والجماعة مؤنثة ، والأصل إلحاقها فى كل جماعة ، إلا أنهم ، لما أرادوا الفرق بين المذكر والمؤنث ألحقوها فيما هو الأصل دون الفرع ، ولأن المذكر أحق من المؤنث ،

وإلحاق العلامة زيادة ، فاحتملها الأخف ، وهو المذكر ، لأن التأنيث ثقيل ، وهو أحد موانع الصرف ، (وثلاثة) فاعل : كفانى ، وإضافة (أصحاب) : بمعنى من ، (وفؤاد) وما بعده من المعطوفات ، يجوز أن يكون كل واحد منها : خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير المبتدأ ، أحدها وكذلك باقيها ، وإن شئت جعلته وما بعده من المعطوفات بدلا من (ثلاثة) وهو بدل (الكل) من الكل ، لأن الفؤاد وما بعده من المعطوفات هى جملة الثلاثة .

المبرد : (المشيع) : المقدام ، المجتمع القلب كأنه فى شيعة أى فى صحابة و (الإصليت) الذى يجرد من غمده ، و (الصفراء) قوس نبع و (عيطل) : قوية ، يقال : امرأة عيطل : إذا كانت تامة ، وعنق عيطل : إذا كانت كذلك ، ولا أعلم أحدا وصف القوس بهذه الصفة غيره .

العكبرى : (مشيع) : مقدام كأنه فى شيعة ، (وإصليت) : سيف مجرد من غمده ، (وصفراء) : قوس من نبع ، و (العيطل) : الطويلة (ثلاثة أصحاب) : هو فاعل (كفانى) : فى البيت قبله ، وقوله : (فؤاد مشيع) فيه وجهان : أحدهما أنه وما بعده من المعطوفات بدل من (ثلاثة) ، وتقديره : كفانى فؤاد وأبيض وصفراء والثانى : هو خبر : لمبتدأ محذوف ، أى أحدها فؤاد وثانيها أبيض ، وثالثها صفراء .

ابن زاكور : ومن لا يخاف فقده لأجل ، وجود هذه الثلاثة يكون وجوده مساويا لعدمه ، من أجل عدم الانتفاع به ، (والفؤاد المشيع) ، بضم الميم ، وفتح الشين المعجمة ، والياء المشددة : الشجاع الجرىء ، كأنه يشيع بغيره أو بقوة أودعها الله فيه ، (والأبيض الإصليت) بكسر الهمزة ، و (السيف الصقيل) الماضى ، وفى معناه الصلت ، والمنصلت ، (والصفراء العيطل) بالعين المهملة : القوس الطويلة ، فـ (فؤاد) وما عطف عليه : تفصيل لإجمال (ثلاثة أصحاب) أى هم : فؤاد قوى ، وسيف صقيل ، وقوس صفراء طويلة ، ولعلها أجود القسى عوداً ، وأبعدها

مرمى ، ثم وصف القوس بما يدل على جودتها .

عطاء الله : (ثلاثة أصحاب) : تغنينى عن قومى فى دفع الملمات ، ونفى المكاره عنى ، وكأنه أضرب لهذا عما ذكره أولا ، كأنه توهم أولا أن الحيوانات الثلاثة المذكورة ، فيها نفع له بالنسبة إلى قومه فاختارها عليهم ، ثم حقق أنه لا نفع فيها ، فاختار على قومه ، ما ذكره ههنا من قوله (فؤاد) : أى قلب ، وهو مع ما عطف عليه بدل من ثلاثة أصحاب (مشيع) أى : قوى على المكاره ، كأنه جعل فى شيعة ، وأتباع ، ومنه يقال للمقدام : مشيع (وأبيض) : أى سيف أبيض لصفاء جوهره (إصليت) بكسر الهمزة ، وإسكان الصاد المهملة ، أى مجرد عن غمده (وصفراء) : أى قوس صفراء (عيطل) : أى طويلة ، يقال : امرأة عيطل ، وعنق عيطل ، إذا كان كل منهما تاما ، قال بعضهم : ولا نعلم أحداً وصف القوس بهذه الصفة غيره .

١٢ ــ هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَ مِحْمَلُ

الزمخشرى : (الهتف) : الصوت ، يقال : هتفت الحمامة أى : صوتت ، وصاحت ، وقوس هتافة ، وهتفى أى : ذات صوت ، و (الملاسة) ضد الخشونة أى : هذه القوس (ملساء) لا عقد فيها ، ولا خشونة وتمتين القوس صلابتها ، ومتن الشىء صلب ، و (المتون الصلبة) ونيطت (علقت) ، و (المحمل) مثال المرجل (علاقة السيف) ، وهو السير الذى يقلده المتقلد ، وقد سمى عرق الشجرة بذلك ، و (الرصائع) ما يرصع به من جوهر وغيره ، يقال : تاج مرصع ، وسيف مرصع ، أى محلى بالرصائع ، وهى حلق يحلى بها ، الواحدة (رصيعة) وقيل المراد بـ (الرصائع) هنا : السيور التى يزين بها القوس ، (هتوف) : يجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف ، أى هى هتوف ، ويجوز أن يكون نعتا لـ (صفراء) ، (ومن الملس) : من يقع فى الكلام على أوجه ابتداء الغاية ، كقولك : سرت من دمشق إلى مكة ، والتبعيض ، كقولك : شربت من الماء ،

وتكون للبدل كقوله تعالى :

﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ﴾

أى بدلا منكم .

وكذلك قوله :

﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾

وكقول الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة بـــاتت على طهيـــان

وتزاد فى النفى كقولك : ما جاءنى من أحد ، وتكسر نون من فى كل موضع لقيها ساكن إلا مع لام التعريف أين وجدت كهذا البيت ومنه قوله عز من قائل : (ومن الناس ، ومن الليل ، ومن الإبل إلى غير ذلك) والغرض من ذلك تحريك الساكن توصلا إلى النطق بالساكن الآخر والقياس يقتضى التحريك بأى حركة ، كانت ، وإنما فتحت هنا فرارا من توالى كسرتين فيما يكثر استعماله كيائين ، والياءان إذا توالتا تقلبان ولهذا لم تقعا أول كلمة أصليتين ، فاء وعينا ، إلا شاذا لا يعتد به ، مثل ييسر ، والماضى يسر ، وإحداهما زائدة للمضارعة ، والغرض يحصل بالفتح مع خفته ، فحركوه بالفتح ليكثر فى كلامهم ما كان خفيفا ، ويقل ما كان ثقيلا ، ولم يجيزوا فى نون (من) مع الألف واللام إلا الفتح إلا شاذا ، فإن دخلت على ما أوله همزة وصل ، وليس فى المصاحبة للام التعريف كسرت ، فتقول من ابنك بكسر النون ، وفى الحديث « وشققت لها اسما من اسمى » بكسر نون من ، وهذه الرواية هى المحفوظة ، وهى التى ينبغى أن لا يعدل عنها ، وكسرت نون عن مع الألف واللام كقوله تعالى :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾ ، ﴿ عن اليتامى ﴾ ، ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ .

إلى نظائره ، لأنه لم يتوال كسرتان ، ولم يحفظ فتح نون من مع غير الألف إلا نادرا ، كما جاء كسر نون من مع الألف واللام نادرا وموضع (من الملس) رفع نعت لهتوف ، أى : هتوف ملساء ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى هتوف ، و (المتون) جر بالإضافة ، والإضافة لفظية ، أى من الملس متونها ، إن لم يرد بالمتون القوة (ويزينها رصائع) : جملة نعت لـ (صفراء) ، ويجوز جعلها حالا من الضمير فى الجار والمجرور ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى المتون و (رصائع) غير منصرف ، لأنه جمع ، والجمع من حيث هو جمع علة ، وكونه لا نظير له فى الآحاد علة أخرى ، فيؤكد ذلك معنى الجمع فيه ، فقام مقام علة ثانية ، (وقد نيطت) فى موضع رفع صفة لـ (رصائع) : أى معلقة عليها ، و (محمل) معطوف على (رصائع) .

المبرد : (هتوف) إذا انبض فيها سمعت لها صوتا كأنها تهتف أى هى من عود أملس لم تكثر أغصانه (لعله أعطافه يريد أنابيبه) فتكثر فيه العقد ، و (الرصائع) : خرز نيطت عليها ، لئلا تصيبها العين ، و (المحمل) ما تحمل به كحمل السيف ، وغيره ، (نيطت) : تعلقت .

العكبرى : (هتوف) : مصوتة ، و (الملس) : التى لا عقد فيها ، و (الرصائع) سيور تزين بها القوس ، و (نيطت) : علقت من العين ، و (المحمل) ما يحمل به ، كمحمل السيف ، (هتوف) : صفة لـ (صفراء) ، (ومن الملس) صفة أخرى ، أى كائنة من العيدان الملس ، و (المتون) : مجرور بالإضافة وهى غير محضة ، أى الملس متونها ، و (تزينها رصائع) : الجملة صفة لـ (صفراء) : أيضا ، ويجوز أن تكون فى موضع نصب على الحال من الضمير فى الجار ، ويجوز أن يكون (من الملس) فى موضع نصب على الحال أيضا من الضمير فى (هتوف) ، وقوله : (قد نيطت) : فى موضع رفع : صفة لـ (رصائع) .

ابن زاكور : سيرد .....

عطاء الله : (هتوف) : أى ذات صوت شديد ، كأنها رجل يهتف ويصيح والمبالغة تارة ، تؤخذ بحسب الكيف كما هنا ، وتارة بحسب الكم كما فى ضروب بمعنى كثير الضرب ، وهو بالرفع صفة لـ (صفراء) ، (من الملس) أى من الأعواد الملس التى لم تكثر أغصانها ، فتكثر عقدها ، والظرف صفة ثانية لـ (صفراء) ، (المتون) أى : الصلبة ، وهو نعت (للملس) وجمع متن ، (يزينها) أى : يفيدها حسنا عَرَضياً زيادة على حسنها الذاتى (رصائع) قيل هى خرزات تعلق عليها ، لئلا تصيبها العين ولما كانت هذه الخرزات ، إنما تعلق على الرصيع ، غالبا سميت بذلك تسمية لها باسم حاملها ، وقيل هى سيور مضفورة تزيِّنُ بها القوس ، وجملة يزينها رصائع صفة ثانية لـ (صفراء) ، (قد نيطت إليها) أى علقت تلك الرصائع على تلك القوس ، فـ (إلى) بمعنى (على) ، ويروى كذلك أيضا ، و (مَحمل) بفتح الميم الأولى ، وكسر الثانية ، وهو ما تحمل به كمحمل السيف ، وغيره ، وجملة (قد نيطت) صفة لـ (رصائع) ومحمل عطف على رصائع .

١٣ ــ إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا
مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تَـرِنُّ وَتُعْـوِلُ

الزمخشرى : (زل السهم) : خرج منها ، و (حنَّت) : صوتت ، وكذلك حنَّت الناقة إلى ولدها ، أى : صوتت فى نزاعها إليه ، و (المرزأة) التى تعتادها الرزايا ، والمعنى : أن هذه القوس كثيرة التصويت لكثرة الرمى عنها ، هذا مراده إن شاء الله تعالى ، و (عجلى) : مسرعة ، وترن تصوت ، مأخوذ من الرنة ، وهى الصوت ، و (تعول) ترفع صوتها ، بالبكاء ، ويقال : ما له من القوم معول ، والاسم العِوَل ، قال تأبط شرا :

لكنما عِوَلى إن كنت ذا عِوَل على بصير يكسب الحمد سباق .

و (إذا) منصوبة على الظرف ، والعامل فيها جوابها ، أى : حنت وقت خروج السهم عنها ، ولا يعمل فيها (زل) لأنه فى موضع جر بإضافة إذا إليه ولا يجازى

بها فى الاختيار ، لأنها تستعمل فيما يتحتم وقوعه ، كقولك إذا طلعت الشمس أكرمتك ، لأن طلوع الشمس لابد منه ، وباب الشرط مختص بما يحتمل أن يكون ، وأن لا يكون ، ويقام إذا التى للمفاجأة مقام الغاء فى جواب الشرط ، كقوله تعالى :

﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾

لأن المفاجأة تعقيب ، وكأنها فى موضع نصب على الحال من الضمير فى (حنت) ، و (عجلى) صفة لـ (مرزأة) ، وكذلك (ترن) ، و(تعول) ويجوز أن تكون (عجلى) حالا من الضمير فى ترن ، ومجموع البيت صفة لـ (صفراء) .

المبرد : (زلّ) عنها : و (حنينها) : صوت وترها ، (والمرزأة) الكثيرة الرزايا ، فهى حرية بأن ترن ، وتعول مما بها من الحزن ، و (عجلى) مسرعة ، يقال : أرنت ترنّ ، ورنت ترنّ .

العكبرى : (زل) : خرج ، وحنينها : صوت وترها ، (والمرزأة) : الكثيرة الرزايا ، و (تعول) من الحزن ، و (عجلى) : مسرعة والعامل فى (إذا) ، جوابها ، وهو (حنت) . ، و (كأن) وما عملت فيه : حال من الضمير فى (حنت) ، أى : حنت مشبهة ، وترنٌّ فى موضع رفع ، نعت لـ (مرزأة) ، ويجوز أن تكون (عجلى) حالا من الضمير فى (مرزأة) ، و (ترن) : حالا أخرى ، والبيت كله نعت لـ (صفراء) ، والله أعلم .

ابن زاكور : (الهتوف) من القسى : المصوتة بكثرة ، ومثله (الهتافة) ، و (الهتفى) كجمزى بالتحريك ، و (المتون) : الظهور ، واحدها متن و (الرصائع) : جمع رصيعة ، وهى كل حلقة مستديرة ، فلعل القسى العربية كانت تزين بالحلق المستديرة ، ومن الناس من فسر الرصائع هنا بسيور مضفورة ، وليس ذلك فى القاموس ، ولا خير فيما لا يوجد فيه إن شاء الله تعالى ، و (المحمل) : العلاقة ، (وحنين) القوس : تصويتها ، و (المرزأة) : الكثيرة الرزايا ، أى :

المصائب ، و (الرنين) التصويت : رنت القوس ترن ، و (عجلى) : صفة مرزأة فهى بمعنى عجول ، بفتح العين ، وهى الواله من النساء ، لفقد ولدها ، (والإعوال) : رفع الصوت بالبكاء ، وجملة ترن فى موضع نصب على الحال من مرزأة : والمعنى : أشبهت القوس بتصويتها عند مفارقة السهم لها ، امرأة كثدت أرزاؤها والها فى حال كونها ترن وترفع صوتها بالبكاء .

عطاء الله : (إذا زل عنها) : أى عن تلك القوس ، (السهم) وهو ما يرمى به عن القوس ، أى إذا خرج عن وترها (حنت) أى : صوتت تلك القوس يصوت وترها صوتا شديداً حتى (كأنها) : أى تلك القوس فى حنينها امرأة (مرزأة) بضم الميم ، وفتح الراء ، وفتح الزاى ، وتشديدها بعدها همزة مفتوحة ، أى كثيرة الرزايا ، والمحن ثكلى : أى حزينة على فقد ولدها ، (ترن) : أى تصيح ، (وتعول) : أى ترفع صوتها مما بها من الحزن ، وإذا ظرف خافض لشرطه ، منصوب بجوابه ، وكأن وما عملت فيه حال من الضمير فى (حنت) : أى حنت مشبهة مرزأة ثكلى ، وجملتا (ترن وتعول) صفتان لـ (مرزأة) ، ويجوز أن يكون حالين من الضمير فى (مرزأة) ، والبيت كله نعت لـ (صفراء) ، هذا البيت كالتأكيد لقوله (هتوف) إلا أن المبالغة هناك ، تستفاد من صيغة فعول ، وهنا من التشبيه بـ (مرأة ثكلى) ترن وتعول ، ولما فرغ من مدح نفسه بالتحلى بالفضائل ، شرع فى مدحها ، بالتخلى عن الرذائل .

١٤ ــ وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّى سَوَامَهُ
مُجدَّعَـةً سُقْبَانُهـا وِهِـىَ بُهَّـلُ

الزمخشرى : (المهياف) : السريع العطش ، (والسوام ، والسائم) : المال الرائع ، يقال : سامت الماشية ، تسوم سوما ، أى : رعت ، وجمع السائم والسائمة : سوائم ، و (المجدَّعة) التى قطعت آذانها ، والأشبه أنه أراد بـ (المجدعة) : السيئة الغذاء ، وقد جدع بالكسر وأجدعته ، إذا أسأت غذاءه ، و (السقب) : الذكر

من ولد الناقة ولا يقال للأنثى سقبة ، و (السقبة) عندهم هى الجحشة) ، و (بهل) جمع (باهل) ، وهى الناقة التى لا صرار عليها ، وكذلك هى أيضا الفاقة التى لا سمة عليها ، وقالت امرأة من العرب لزوجها :

« أتيتك باهلا غير ذات صرار »

والمعنى إنى بطىء العطش ، أدخل بسوامى إلى المرعى البعيد ، لتنال منه ، ولا أخاف سرعة العطش ، (والسقبان) ليست سيئة الغذاء لأن الأمهات لا صرار عليها ، (ولست) : كلام مستأنف ولا تعلق له بما قبله ، و (بمهياف) خبر ليس ، و (يعشى) نعت لـ (مهياف) تقديره : مهياف معش ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى مهياف ، تقديره : مغشيا ، و (مجدَّعة) أيضا حال من (سوامه) ولو رفع على أنه خبر مبتدأ هو (سقبانها) لم يكن ممتنعا ، وإذا نصبت (مجدَّعة) رفعت (سقبانها) على أنه فاعل مجدعة ، (وهى بهل) مبتدأ ، وخبر موضوعه نصب على الحال من سوامه وهى حال مقارنة .

المبرد : (المهياف) : الذى يبعد بإبله طلب الرعى على غير علم ، فيعطشها ، ويمشى بها ، و (المجدعة) : السيئة الغذاء ، و (السقبان) : جمع سقب ، وهو الصغير قال الأصمعى أول ما يقال لولد الناقة ، كما يسقط من بطن أمه سليل وهذا قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، ثم يسمى بعد ذلك إذا تبين سقبا وحوارا ، والأنثى سقبة ، والذى قرأنا على أبى العباس : أحمد بن يحيى سقبانها ، ولا يمتنع فى المحفوظ ما بدأت به ، و (البهل) جمع باهل وباهلة ، وهى (المخلاة) ، ولا يقعد بها راعيها ، وبها سميت باهلة ، ويقال بهل الرجل إذا مضى لا قيم عليه ، (وأبهلته) إذا تركته مخلى ، وباهلة أيضا لا صرار عليها لترضعها أولادها فيكون ذلك أسمن لها ، والجدع السيىء الغذاء ، ومنه قول أخت شبيب ابن شبيبة لأخيها حظك ليس الجدع المدرّ ، والأصل فى هذا أن يطرح الراعى ولد الناقة على الضرع ، لتدرّ الناقة ، فإذا مص شيئا ، واجتمع اللبن نحّاه ، وتحلا باللبن ويقال سقب وسقب .

العكبرى : (المهياف) : الذى يبعد بإبله طلب المرعى على غير علم ، فيعطش ، و (السقبان) : الصغار من الإبل ، و (المجدَّعة) : السيئة الغذاء ، وقيل : المجدَّعة أطراف أذنها ، و (بهل) : لاصرار عليها .

(ولست) : كلام مستأنف ، ويعشى : نعت لـ (مهياف) أو حال من الضمير فيه ، و (مجدعة) : حال من سوامه ، ويجوز أن يرفع على أنه خبر مقدم والمبتدأ (سقبانها) ، ومن نصب (مجدَّعةً) رفع (سقبانها) بـ (مجدعة) (وهى بهل) : الجملة أيضا حال من (سوامه) .

ابن زاكور : (المهياف) : الشديد العطش ، و (السوام) النَّعَم الراعى كالسائمة ، أسام الإبل رعاها وعشاها بالتشديد : رعاها ليلا فهى عاشية ، فى المثل (العاشية تهيج الآبية) أى : الراعية تبعث التى امتنعت من الرعى عليه ، والسقبان بالضم أولاد الإبل ، ومن الناس من خص به الذكور ، ومنهم من قال : إنما يسمى السقب ساعة الولادة ، وتجديع السقبان إساءة غذائها كأجداعها ، و (البهل) جمع : باهل ، وهى الناقة التى لاصرار عليها ، (والصرار) بالصاد المهملة بزنة كتاب ما يشد به ضرع الناقة يقال : أبهلها إذا أهملها من ذلك ، وترك ولدها يرضعها : يقول : لست راعيا شديد العطش أو سريعه فى حال كونه يرعى إبله ليلا حالة كون الإبل جائعة الأولاد لقلة اللبن فى حال كونها غير مشدودة الضروع من أجل ذلك إذ لا فائدة فى شدها حين لا لبن ، فأولادها ترضعها لو كان الرضاع يغنيها من جوع أو يسمنها ، وهذه حالة شديدة نفى عن نفسه ، أن يكون ممن ذكر مؤكدا للنفى بزيادة الباء فى الخبر لأن الكون على تلك الحال ، تسوء معه الأخلاق وتحرج به الصدور .

عطاء الله : (ولست بمهياف) هو بكسر الميم الذى يبعد بإبله طلبا للرعى على غير علم ، فيعطشها ، ويمسى بها ، (يعشى سوامه) هو بالعين المهملة من يمسى بإبله ، ويلبسها ظلام الليل ، أو يعطيها العشاء ليلا ، وقيل هو بالغين المعجمة ، أى

يجعل عليها غشاء ظلام الليل ، واللفظان معناهما متقاربان ، و (السوام) بفتح السين المهملة ما رعى من الإبل ، والشاء (مجدعة) أى سيئة الغذاء ، والأصل فى هذا أن يطرح الراعى ولد الناقة على الضرع لتدر الناقة ، فإذا در اللبن نحاه ، وتخلى باللبن ، وهو بالنصب حال من (سوامه) ، ويجوز رفعه على أنه خبر مقدم لقوله (سقبانها) والجملة حال من (سوامه) و (السقبان) بضم السين المهملة : جمع (سقب) بفتحها وهو الصغير من الإبل قال الأصمعى أول ما يقال لولد الناقة لما يسقط من بطن أمه ، قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، سليل ، ثم يسمى إذا تبين سقبا وحوارا ، ويقال للأنثى (سقبة) ، وقيل لا يقال لها ذلك (وهى) أى سوامه ، (بهل) : جمع باهلة أى سيئة الحال من قولهم : بهل الرجل : إذا مضى لا قيمة عليه ، ولا قدر له أو من قولهم (أبهلت) الرجل : إذا تركته فحلاً ، و (الباهلة) أيضا التى لا صرار عليها لترضع أولادها ، فتكون أسمن وأحسن ، وجملة (وهى بهل) حال من (سوامه) أيضا ، ومعنى البيت أنى لا أسيىء الرعية بأن أجعل إبلى وأولادها كما ذكر .

١٥ ــ ولاجُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرسِهِ
يُطَالِعُها فِـــى شَأْنِه كَيْفَ يَفْعَل

الزمخشرى : (ولا جُبَّإٍ) عطف على (مهياف) ، وهو بضم الجيم ، وفتح الباء الموحده وتشديدها ، وهمز فى آخرة ، كسُكَّرِى ممدود كعناب الجبان (أكهى) وهو بفتح الهمزة ، وإسكان الكاف كدر الأخلاق الذى لا خير فيه ، وقيل البليد ، (مربٍّ) بضم الميم ، وكسر الراء (مقيم) وهو نعت لـ (جُبَّإٍ) ، (بعرسه) أى مع زوجته ، وهو متعلق بمرب (يشاورها) ، ويروى يطالعها ، (فى شأنه) أى : فى أمره كما يروى كذلك ، والجملة حال من الضمير فى (مرب) ، (وفى شأنه) يتعلق بيشاورها ، لا بالفعل بعده ، لأن ما بعد الاستقبال لا يعمل فيما قبله ، لأن له الصدارة ، (كيف يفعل) أى على أى حال يوقع فعله ، لأن ذلك دليل نقصان

العقل ، وعدم الرشد ، والمعنى : إنى لا أجبن ولا أسيء الأخلاق ، ولا أقيم مع النساء ، ولا أشاورهن فى أمورى التى تعرض ، من حيث الإقدام عليها أو الإحجام عنها .

المبرد : .....

العكبرى : (الجُبَّأ) : الجبان ، و (الأكهى) : الأبجر ، والكَدِر الأخلاق والأكهى أيضا : البليد ، والمُرِب : المقيم .
(جُبَّإٍ) : مجرور ، معطوف على (مهياف) ، ولو نصب عطفا على موضع ، (بمهياف) جاز ، و (الأكهى) : نعت أيضا ، إما جر أو نصب ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب ، حالا من الضمير فى (جُبَّإٍ) و (مربٍ) : يجوز فيه الجر على الصفة ، على اللفظ ، والنصب على الوضع أو الحال ، كما تقدم .

والباء فى بـ (عرسه) بمعنى (فى) ، أى مقيم فى بيت عرسه ، ويجوز أن تكون بمعنى (على) ، أى مقيم على عرسه ، ويطالعها : فى موضع نصب على الحال من الضمير فى (مُرِب) وفى : متعلقة بـ (يطالع) ولا يجوز أن تتعلق بـ (يفعل) ، لأن ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز أن تتعلق (فى) بفعل محذوف يبينه (يفعل) ، والتقدير : (كيف يفعل فى شأنه) ، وموضع (كيف) ، نصب بـ (يفعل) ، والأقوى أن يكون حالا ، وقيل : هو ظرف .

ابن زاكور : (الجبأ) بوزن سكر : الجبان ، و (الأكهى) بالهاء الجبان الضعيف ، فهو تأكيد للجبان ، أى نعت له مفيد للتأكيد بما فيه من الزيادة على معنى الأول ، يقال منه كهى كرضى ، والإرباب بالعرس : أى الزوجة ملازمتها ومطالعتها فى الشأن مؤامرتها فيه : يقول : ولست بجبان ضعيف ملازم لزوجته يؤامرها فى شؤونه : كيف يفعل فيها ، فقوله : كيف يفعل تفسير ليطالعها ، أى يساءلها كيف يفعل فيما عنَّ له من شأنه وناهيك بضعف من يسأل النساء ، ويرجع

إلى إشارتهن فى الأمور ومشورتهن فى الشؤون ، فإنهن ناقصات عقل ودين ، والمحتاج إليهنَّ فى ذلك أنقص عقلا وأضعف رأيا .

عطاء الله : (ولا جُبَّإٍ) عطف على مهياف : وهو بضم الجيم ، وفتح الباء الموحدة ، وتشديدها ، وهمزة فى آخره مقصورة كسكرى ممدودة كعناب الجبان ، (أكهى) وهو بفتح الهمزة ، وإسكان الكاف كدر الأخلاق الذى لا خير فيه ، وقيل البليد ، (مرب) بضم الميم ، وكسر الراء : مقيم ، وهو نعت لـ (جُبَّإٍ) ، (بعرسه) أى : مع زوجته ، وهو متعلق بـ (مرب) ، (يشاورها) ويروى يطالعها ، (فى شأنه) : أى فى أمره ، كما يروى كذلك ، والجملة حال من الضمير فى (مرب) ، (وفى شأنه) يتعلق بيشاورها لا بالفعل بعده ، لأن ما بعد الاستقبال ، لا يعمل فيما قبله ، لأن له الصدارة ، (كيف يفعل) أى على أى حال يوقع فعله ، لأن ذلك دليل نقصان العقل ، وعدم الرشد ، والمعنى : إنى لا أجبن ، ولا أسيىء الأخلاق ، ولا أقيم مع النساء ، ولا أشاورهن فى أمورى ، التى تعرض من حيث الإقدام عليها أو الإحجام عنها .

١٦ ــ وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

الزمخشرى : (الخرق) : الدهش من الخوف أو الحياء ، والمراد هنا الخوف وقد خَرِق بفتح الخاء وكسر الراء ، وأخرقته أى : أدهشته و (الهيق) الظليم ، يريد لست كالظليم فى نفوره عند حدوث مروع ، و (المكاء) طائر ، أى : لست ممن يخاف فيتقلقل فؤاده ، ويرجف شبه رجفان فؤاده ، وتقلقله بشىء مع طائر يعلو به مرة ، ويسفل به أخرى وخرق بالجر عطفا على ما قبله من الصفات المجرورة ، ولو نصب على الحال عطفا على (أكهى) كان جائزا ، و (هيق) نعت لـ (خرق) و (كأن) ومعمولاتها فى موضع جر على الصفة لما قبلها ، ويجوز جعله حالا من الضمير فى (خرق) ومن خرق نفسه ، لأنه قد وصف ويظل وما عملت فيه :

خبر كان ويعلو خبر يظل و (به) على هذا معمول ليعلو أو ليسفل ويجوز أن يكون يعلو حالا ، وبه خبر يظل ، والأول أجود ، وأقعد فى المعنى .

المبرد : .....

العكبرى : قوله : (ولا خرق) ، وما بعده : نعت لما قبله ، ويجوز نصبه على الحال ، و (كأن) ، وما عملت فيه : نعت أيضا ويجوز أن تكون حالا ، وخبر (كأن) : يظل به ، ويعلو : حال ، أو خبر (يظل) .

ابن زاكور : (الخرق) بالخاء المعجمة المفتوحة بزنة (كتف) الذى خرق ، كفرح أى دهش من خوف أو حياء ، أو بهت فاتحا عينيه ، ينظر ، وخرق الطائر : لم يقدر على الطيران ، والهيق الرقيق الطويل ، و (المكاء) بضم الميم ، وفتح الكاف المشددة طائر ، جمعه : مكاكى ، وأما (المكاءُ) بالتخفيف فالتصفير بالفم أو النفخ فى الأصابع مشبكة ، و (المكاء) بالتشديد : ذو مكاء بالتخفيف ولذلك يسمى الصافر ، وهو طائر جبان ، يضرب به المثل ، يقال أجبن من صافر ، ولذلك ما خصه الشنفرى بظنه فى فؤاد الخرق الهيق ، والفؤاد ما يتعلق بالمرء من كبد ورئة وقلب : والمعنى على تشبيه القلب فى الاضطراب من الدهش والخوف بالمكاء ، وهو تشبيه مكنى عنه لا مصرح به ، وبيان الكناية أنه يلزم من ظن المكاء بالقلب ، ظن القلب مكاء ، لأن ذلك فى الفؤاد على التحقيق ، القلب ، والظن المذكور استفيد من خبر كأن ، فإنه إذا كان فعلا كما هنا ، أو ظرفاً أو مشتقا ؛ أشربت كأن معنى الظن ، وتقدير البيت :

ولست أيضا بذى دهش طويل فى نحافة ، فإن ذلك من إمارات الحمق غالبا مظنونا فؤاد ذلك الخرق ، يقيم به المكاء حالة كونه عاليا وسافلا ، أى يرتفع ، وينخفض من شد الدهش .

عطاء الله : (ولا خرق) وهو بفتح الحاء المعجمة ، وكسر الراء ، آخره قاف

صفة مشبهة معناه : الدهش من الخوف والحياء ، وقيل الأحمق (هيق) هو بفتح الهاء وإسكان آخر الحروف صفة مشبهة أيضا معناه : الظليم ، وقوله : ولا خرق ، عطف على مهياف ، وهيف صفة أخرى (كأن فؤاده) أى قلبه (يظل) أى يستمر ، (به المكاء) هو بضم الميم ، وتشديد الكاف طائر لا يستقر على الأرض ، (يعلو ويسفل) أى يرتفع تارة ، وينخفض أخرى ، والمعنى : كأن فؤاده لشدة اضطرابه من الخوف (كالمكاء) ، أو كأن حال فؤاده كحالة المكاء ، من حيث الاضطراب ، وعدم الاستقرار .

١٧ ـ وَلاَ خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغزِّلٍ
يَرُوحُ وَيَغْـدُو دَاهِنـاً يَتَكَحَّلُ

الزمخشرى : (الخالف) الذى لا خير فيه ، يقال : فلان خالفة أهل بيته ، وخالف أهل بيته ، إذا لم يكن عنده خير ، و (الدارىّ) المقيم فى داره لا يفارقها ، و (الدارى) : العطار ، ويجوز أن يكون مراده هذا ، لأن العطار ، يكتسب من ريح عطره ، فيصير بمنزلة المتعطر ، فأراد أى لست ممن يتشاغل بتطييب بدنه وثوبه ، أو يكتسب من طيب حليلته لملازمته لها ، ومغازلة النساء محادثتهن ، ومراودتهن ، يقال : غازلتها وغازلتنى والاسم الغزل ، فالمتغزل هو الذى يحادث النساء ، ويراودهن فنفى عن نفسه ، هذا الوصف ؛ لشرف همته ، و (الرواح) نقيض (الصباح) وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، (والغدو) نقيض (الرواح) ، (والداهن) : الذى يدهن نفسه بالدهن والمتكحل الذى يتعاطى كحل عينيه ، (ولا خالف) ، و (دارية) ، و (متغزل) عطف على ما تقدم من الصفات ، ويجوز فيها ما تقدم من إعراب الصفات ، و (يروح) ، و (يغدو) : حالان من الضمير فى متغزل ، ويجوز أن يكونا فى موضع جر نعتا لما قبلهما و (داهنا) : خبر يغدو أو هى تامة لا تفتقر إلى خبر ، فيكون داهنا حالا من الضمير فى (يغدو) و أما (يروح) فاسمها مستتر بعدها ، وأما خبرها فمحذوف دل عليه

خبر يغدو ، والمعنى : يروح داهنا وهذا المحذوف لك أن تحكم عليه بالحال ، كما حكمت على (داهنا) الذى هو خبر يغدو ، وأما يتكحل فيجوز أن يكون خبراً ثانيا لـ (يغدو) أو حالا من الضمير فى (داهنا) .

المبرد : .....

العكبرى : (الخالف) : المتخلف الفاسد ، و (الداريَّة) : التى لا تفارق البيوت ، ومتغزل : يغازل النساء .

(ولا خالف) : هو وما بعده من الصفات ، معطوف على ما قبله من الصفات ، ويروح ويغدو : فى موضع جر ، نعت أيضا . ويجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من الضمير فى (متغزل) ، و (داهنا) : إما خبر (يغدو) ، وإما خبر (يروح) ، والحال وضميرها محذوف ، دل عليه خبر ، ويغدو ، كما تقول : أصبح زيد وأمسى مسرورا . أى أصبح مسروراً ، وأمسى مسروراً ، و (يتكحل) : خبر ثان ، أى (داهنا ، متكحلا) ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (داهن) .

ابن زاكور : (الخالف) : الذى خلف بمعنى فسد أو حمق ويسمى بهذا المعنى الثانى خالفة أيضا ، أو الذى خلف عن أصحابه بمعنى تخلف عنهم ، أو الذى خلف غيره ، أى صار خليفة فى أهله ، و (الدارية) من لا يفارق البيوت ، وقيل : إنه يكثر الأدوار لغيره أى الختل لغيره فتاؤه عليهما للمبالغة ، كعلاّمة ، ونسّابة ، و (المتغزل) الذى يتكلف الغزل بالتحريك ، وهو محادثة النساء ، ومراودتهن ، غازلهن وغازلته : يقول : ولست الفاسد أو الذى يخلف عن أصحابه أى يتخلف عنهم ، ويخلفهم فى أهاليهم بالريبة ، لا يفارق البيوت لذلك يغازل النساء ، ويغازلنه ، (رائح) : غاد متطيبا متكحلا يستميل بذلك النساء ، والمقصود نفى كونه خالفاً لا خالفاً موصوفاً بالأوصاف المذكورة حتى يقال لا يلزم من نفى الخالف الموصوف بها نفى الخالف الغير الموصوف بها على أنه ؛ والله العالم سبحانه لا وجود للخالف

بدون تلك الأوصاف فهى صفة كاشفة له عن معناه تشعر بذمه مع ذلك ، فإن نفوس ذوى الهمم من العرب ، كانت تأنف ، من ذلك فى جاهليتها ، وتذم فاعلها غاية الذم ، ويتمدحون بغض البصر عن الجارات ، قال عنترة :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وقال عقيل بن علفة المرى :

ولست بسائل جارات بيتى أغياب رجالك أم شهود
ولا ملق لذى الودعات سوطى ألاعبه وريبته أريد
ولست بصادر عن بيت جارى صدور العير غمره الورود

عطاء الله : (ولا خالف) يروى هو وما بعده ، وما قبله تارة بالنصب على محل (مهياف) وتارة بالجر على لفظه ، و (الخالف) : المتخلف عن الخير ، وأكثر ما يقال : خالفة ، والخالفة فى الأصل عمود البيت المتأخر ، والهاء فيه زائدة للمبالغة فى الذم ، فحذفها ، كما يقال (راو) ، (وراوية) ، و (نساب) و (نسَّابه) وغير ذلك ، (دارية) هو بتشديد الياء آخر الحروف الذى يلازم الدور ولا يفارقها (متغزل) وهو بالغين المعجمة والزاى من يحب محادثة النساء . (يروح) من (الرواح) وهو الذهاب فى أول النهار . (ويغدو) من الغدو ، وهو الذهاب فى آخر النهار (داهنا) أى ذا دهن بأن يستعمله فى بدنه ، وشعره (يتكحل) أى : يستعمل الكحل ، وجملة يروح ، ويغد نعتان أيضا لـ (مهياف) إذ ينعت تارة بالمفرد وتاره بالجملة ، وتعطف الصفات تارة ، ويترك فيها العطف تارة أخرى ، ويجوز أن يكون كل من جملتى يروح ويغدو حالا من الضمير فى (متغزل) و (داهنا) خبر (يغدو) على أنها ناقصة من أخوات كان ، ويجوز أن يكون حالا من ضمير يغدو على أنها تامة ، وأما خبر يروح ، أو الحال من ضميره فمحذوف لدلالة ما بعده عليه أو بالعكس على الخلاف فى تنازع العاملين فى معمول كما تقول : أصبح زيد وأمسى مسروراً ، وجملة يتكحل كـ (داهنا) فى الاحتمالين السابقين ، ويجوز

فيها أيضا أن تكون حالا من الضمير فى (داهنا) والمعنى : لست بمتخلف عن الخير ، ولا ملازما للبيوت ، ولا محبا لمغازلة النساء ، ولا أستعمل ما يستعملونه مما هو من شعار هى كالأدهان والاكتحال ، وهذا إنما كان فى الجاهلية ، وقد جاء الإسلام بخلاف ذلك ، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحب الأدهان والاكتحال ، ومحادثة النساء من أزواجه .

١٨ ــ وَلَسْت بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ
أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتُه اهْتَاجَ أَعْزَلُ

الزمخشرى : (العل) : القراد والعل من الرجال المسن الصغير الجسم شبه بالقراد لصغره و (الألف) العاجز الذى لاغناء عنده فى حرب ولا ضيف و (الروع) : الفزع ، يقال : رعته إذا أفزعته واهتاج : أى أسرع عند إفزاعك إياه سرعة بحمق ، و (الأعزل) : الذى لا سلاح معه ، وشره مبتدأ ، ودون خبره ، والتقدير لا يحول شرى بينى وبين خيرى وموضع هذه الجملة جر على الصفة لـ (عل) ، على اللفظ أو نصب على موضع (عل) ، و (ألف) صفة لـ (عل) على ما ذكر ، ولا ينصرف للصفة ووزن الفعل الذى يغلب عليه ، لأن وزن أفعل فى الأفعال أكثر منه فى الأسماء ، و (إذا) ظرف العامل فيها جوابها ، وهو اهتاج ، و (رعته) مجرورة بإضافته إلى إذا ، وما يجوز أن تكون زائدة ، ويحتمل أن تجعل مصدرية ، ويكون التقدير : وقت روعانه ، وفاعل اهتاج ضمير يعود على (عل) أو (ألف) ، و (أعزل) : خبر مبتدأ محذوف أى : وهو أعزل وتكون هذه الجملة حالا من الضمير فى اهتاج ، أى : اهتاج وهو أعزل يريد عاريا عن السلاح ويجوز أن يكون نعتا لـ (عل) .

المبرد : .....

العكبرى : (العل) : الذى لا خير عنده ، والصغير الجسم يشبه القُراد ،

و (ألف) : عاجز لا يقوم بحرب ولا ضيف ، و (الأعزل) : الذى ليس معه سلاح .

(شره) : مبتدأ ، و (دون) : خبره ، والتقدير : شره يحول دون خيره وموضع الجملة جر على اللفظ ، ونصب على الموضع ، (وألف) : نعت لـ (عل) و (اهتاج) : جواب (إذا) ، وهو العامل فيها ، وفاعله ضمير يعود على (عل) ، وأعزل : خبر مبتدأ محذوف ، أى هو أعزل ، والجملة ، يجوز أن تكون جراً ، صفة لـ (عل) ، وأن تكون حالا من الضمير فى : اهتاج ، أى منفرداً عن سلاح .

ابن زاكور : (العل) بفتح العين ، وتشديد اللام من : يزور الناس كثيراً ومن تقبض جلده من مرض ، والمسن الصغير الجثة ، وهذه المعانى صالحة هنا كلها ، وأما الذى يكثر الزيارة للنساء ، فإنه يتخلق بأخلاقهن فيكثر شره ، ويقل خيره كالذى تقبض جلده من المرض ، فإنه يفسد مزاجه ويحرج صدره ، ولا تسأل عن شره ، وندور خيره ، وأما الثالث فلأن دمامة الخلق بالفتح يلازمها ذمامة الخلق فى الغالب ، و (الألف) بتشديد الفاء العيى البطىء الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فمه ، وهو أيضا الثقيل البطىء المقرون الحاجبين ، وكلا المعنيين يعاب به لكونه يدل على نقص باطنى والاهتياج : الثوران ، كالهيج والهيجان ، والهياج بالكسر ، (الروع) ، (والفزع) ، و (الأعزل) : الذى لا سلاح معه ، وجملة شره دون خيره فى موضع خفض على النعت لـ (عَلّ) ، و (ألف) ، و (أعزل) : نعتان له مقطوعان أى هو ألف ، وهو أعزل ، والثانى هو المقطوع ، والأول تابع لمتبوعه فى الإعراب : والمقصود من هذه النعوت مجرد الذم للمنعوت ، على أن الأول وهو شره دون خيره ، مبين للازم معنى المنعوت ، كما أومأنا إليه آنفا ومعنى شره دون خيره ، أى شره أدنى إلى الناس من خيره ، وضره أقرب إليهم من نفعه ، فشره حائل بينهم وبين خيره ، فلا يصلون إليه ، وهذا بحسب الدلالة الوضعية ، أما المقصود فنفى خيره على سبيل المبالغة ، لا نفى الوصول إليه مع وجوده ، لأن وجود الخير إنما يدرك بنيله ، والوقوف عليه وهو منتف بكون الشر دونه ، أى لا يعلم فيه خير ، يشوب

شره ، ونفع يخالط ضره ، وأفهم نفى هذه الأوصاف المذمومة عنه ثبوت أضدادها المحمودة له ، فهو خيره دون شره ، قريب البيان ، فصيح اللسان ، ثبت الجنان ، لا يهتاج لقعقعة السنان ، ملازم للسلاح مستعد للكفاح .

عطاء الله : (ولست بعل) هو بفتح العين المهملة ، واللام : الرجل المسن الصغير الجثة ، الشبيه بالقراد فى دقة جسمه ، وأنشد الأصمعى للمتنخل الهذلى :

(ليس بعل كبير لاشباب له)

(شره) يحول (دون خيره) أى شره قبل خيره ، يعنى أنه شر محض لا خير فيه ، وشره : مبتدأ ، ودون خيره : خبر ، والجملة نعت لـ (عَلّ) بالجر على اللفظ ، أو بالنصب على المحل (أَلَفّ) بفتح الهمزة واللام ، وتشديد الفاء الذى لا يقدم لحرب ولا ضيف بمعنى الجبان البخيل ، كأنه ليس إلا أنه يلتف وينام ، قالت امرأة من العرب لزوجها تذمه ؛ (والله إن أكلك لاقتفاف ، وإن شربك لاشتفاف ، وإن ضجعتك لالتفاف ، وإنك لتشبع ليلة تستضاف وتنام ليلة تخاف) ، والاقتفاف بقافين بينهما تاء مثناه فوقية : أن يأخذ غداة سرقة كيلا يشارك فيه من اقتفف الصيرفى الدراهم إذا سرقها بين أصابعه ، وقيل هو الذى يأتى على آخر غداه ، فلا يبقى منه شيئا من قولهم (اقتفف) ما فى الإناء إذا استوفاه و ــ الاشتفاف ــ هو اشتفاف الماء بالشرب ، بحيث لا يبقى منه بقية (إذا مارعته) أى إذا أخفته (فما) بعد إذا زائدة ، (اهتاج) : افتعل : من هاج إذا اضطرب ، وصيغة افتعل لزيادة البناء ، أى اضطرب اضطرابا شديداً كثيرا ، فالمبالغة فيه فى الكم والكيف معا ، و (رعته) شرط (إذا) ، (واهتاج) : جوابه ، (أعزل) : أى هو أعزل ، على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، و (الأعزل) : الذى لا سلاح معه ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : (إن كان معه عصى فليس بأعزل) وجملة (هو أعزل) يجوز أن تكون نعتا لـ (علّ) ويجوز أن تكون حالا ، من الضمير فى اهتاج ، أى اهتاج متجرداً عن السلاح .

١٩ ــ وَلَسْتُ بِمِحْيارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتحتْ
هُدَى الهَوْجَلِ العسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

الزمخشرى : (المحيار) المتحير ، يقال : حار يحار حيرة ، وحيرا ، أى تحير فى أمره ، و (انتحت) قصدت واعترضت ، و (الهوجل) الرجل الطويل الذى فيه تسرع وحمق و (العسيف) و العسيف الآخذ على غير الطريق و (الهوجل) آخر الفلاة ، التى لا أعلام بها ، (ويهماء) : الفلاة التى لا يهتدى فيها للطريق ، ولا يستطيع المار فيها دفع تحيره بها ، وإنما جاء بمحيار على وزن المفعال للمبالغة ، وظاهر هذا اللفظ : أنه لا تبلغ منه الحيرة كما تبلغ من الذى اشتدت حيرته فى الظلام ، وليس هذا مراده ، وإنما المراد هنا أنه لا يوجد منه أصل الحيرة ، ولا غلبتها ، فالظلمة من أسباب الحيرة للسائر فيها ، وقيل ، بل الإضافة هنا على معنى : لست محياراً فى الظلام كما قال تعالى عز من قائل :

﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾

(وإذا) ظرف لـ (محيار) أى : لست محيارا ، فى وقت اعتراض اليهماءآت ، وقد روى إذا نحت ، ومعناه قصدت ، وهو معنى ما تقدم ، والهدى يذكر ويؤنث ، وعلى هذه الرواية قد أضاف القصد إلى الهدى ، (والهدى) : منصوب بـ (قصدت) ، و (يهماء) هو الفاعل ، وقد تجوز بأن جعل اليهماء ، قاصدة للهدى ، لكن حيث كانت اليهماء غالبة على اهتدائه عبر عنه بقصدها إياه ، وهو مثل قولهم (نام ليل الهوجل) أى : نام الهوجل فى ليله ، وقد روى (انتحت) ، فالمراد به اليهماء حالت بينه وبين الهدى ، و (يهماء) لا ينصرف ، وعلة ذلك ألف التأنيث التى فيها وهى مستثقلة ، تمنع الصرف ، لأن مطلق التأنيث فرع ، ولزومه كتأنيث آخر ، والألف مستقلة بذلك ، لأنها صيغت مع الكلمة من أول أمرها ، وتلزمها فى جمعها ، وفارقت التاء فى أنها فارقة بين مذكر ومؤنث ، أعنى : التاء ، وتدخل على المذكر ، فتنقله إلى المؤنث نحو قائم وقائمة وليست لازمة ، و (هوجل) صفة لـ (يهماء) ، وألف التأنيث هنا هى المقصورة ، تقدمها ألف المد ، والألفان لا يستطاع الجمع بينهما فحركت فانقلبت همزة ، ولم يجز حذف واحدة منهما ،

لأنك إذا حذفت الأولى بطل المد أيضا ، فتعين تحريك الثانية .

المبرد : .....

العكبرى : (محيار) من الحيرة ، (وانتحت) : قصدت واعترضت ، و (الهوجل) : البليد ، و (العسيف) : السائر على غير هدى ، و (يهماء) لا علم بها ، و (الهوجل) : الشديد المسلك المهُول .

محيار : مفْعَال من الحيرة ، من أبنية المبالغة ، وأضافه إلى الظلام لوجهين أحدهما أنه على معنى (محيار) فى الظلام ، كقوله عز وجل :

﴿ بل مَكْر الليل والنهار ﴾ [سبأ ٣٣]

أى مكرهم فى الليل والنهار ، والثانى أنها إضافة سبب ، ومعناه أن الظلام يوجب الحيرة .

وقوله : إذا انتحت . (إذا) منصوبة بـ (محيار) ، و (انتحت) ، و (نحت) : قصدت ، هكذا فى بعض الروايات ، والهدى يذكر ويؤنث فعلى هذه الرواية ، قد أضاف القصد إلى الهدى ، وهو منصوب ، والفاعل يهماء ، ومجازه : قصدت الهداية ، فى اليهماء ، وهو مثل قولهم : نمتُ ليلى ، أى نمت فى ليلى ، و (انتحت) : أى اعترضت اليهماء دون الهداية ، والهوجل الأول : البليد ، والثانى : الفلاة التى يشق السير فيها ، والمعنى : لا أتحير فى الوقت الذى يتحير فيه غيرى ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (المحيار) : الكثير الحيرة ، والانتحاء : القصد ، (واليعمل) : الجمل المطبوع على العمل ، والناقة يعملة ، واليعمل واليعملة : اسمان لا يوصف بهما كما فى القاموس ، واليعمل : فاعل (انتحى) ويروى هوجل ، وهى الناقة السريعة ، و (انتحت) : بتاء التأنيث ، و (الهدى) بضم الهاء ، وفتح الدال : الرشاد والدلالة ، والمراد هنا الطريق ، والقصد لأنه يهتدى بالطريق ، ويهتدى له ،

و (الهوجل) هنا الدليل ، و (العسيف) بكسر العين والسين المشددة المهملتين ، الذى يكثر منه قطع المفاوز ، على غير طريق مبالغة فى العاسف ، وهدى منصوب بـ (انتحت) على أنه مفعول به ، أو مفعول مطلق مرادف لمصدر الفعل ، لأن المعنى : انتحى انتحاء الهوجل أو المعنى : اهتدى هداه ، وتقدير البيت ، ولست بشخص كثير الحيرة فى الظلام بمعنى أنه يقع التحير منه كثيرا ، أى تكثر مراته أو يشتد ما يقع منه من ذلك بحيث لا يجد مخرجا ، وقد يقال لا يحتاج إلى هذا ، إذ لا يسمى تحيراً إلا ما كان مثل هذا.أما التوقف الذى يعقبه الاهتداء ، فليس بحيرة ولا يذم به صاحبه ، وقلما يسلم منه ، فلأجل هذا خص النفى بما يدل على الكثرة فى ذلك ، وهو محيار ، بزنة مفعال الذى هو من أمثلة المبالغة فى تكثير المعنى ، ونفى ذلك عنه أفاد ثبوت ضده له ، وهو أنه كثير الاهتداء إلى قصد السبيل عند اشتباك الظلام ، فلا تعمى عليه المسالك ، إذا قصد جمل مطبوع على العمل قصد الدليل الذى يكثر منه عسف اليهماء ، أى : المفازة التى يهم فيها السالك فـ (يهماء) على ما قررناه : مفعول بالعسيف ، وأسند القصد إلى الجمل ، لأنه هو الذى يسير ، فالراكب تابع فى القصد للمركوب ، والمركوب تابع للراكب فى الاهتداء والتحير ، ولذلك ما نفى التحير عنه دون الجمل ، وهذه من لطائف البلاغة ، وأسرار الفصاحة ، وجعل طريق الدليل هدى ، لأن من يسلكها يجد عليها هدى ، فكان الطريق هدى من الدليل الذى يسلكها أولا لمن يسلكها بعده ، ويجوز أن يفسر الهدى هنا بالراحلة ، لاهتداء راكبها بها ، فهدى عليه فاعل (انتحت) ويعمل بدل منه و (يهماء) بالنصب مفعوله ، والتقدير إذا قصدت راحلة الهوجل العسيف ، وهى يعمل يهماء .

١٠٧

عطاء الله : (ولست بمحيار الظلام) أى : كثير التحير والدهشة لأن صيغة مفعول المفاعلة للمبالغة والظلام ضد النور ، وإضافة محيار إليه إما من إضافة الشىء إلى ظرفه كمكر الليل والنهار ، وإما من إضافة المسبب إلى السبب لأن التحير كما يقع فى الظلام يتسبب عنه (إذا) ظرف زمان منصوب بـ (محيار) (انتحت) أى : اعترضت

(هدى) : مصدر بمعنى الهداية ضد الضلال يذكر ويؤنث (الهوجل) أى : البليد ، (العسيف) ، وهو بكسر العين المهملة ، وكسر السين المهملة ، وتشديدها الذى يأخذ فى السير على طريق (يهماء) هى المفازة التى لا علم فيها يهتدى به فيسوء فيها السير (هوجل) أى : صعبة المسلك ، وهدى مفعول مقدم ، و (يهماء) هوجل فاعل مؤخر أى لست بمتحير فى الظلام إذا اعترضت يهماء هوجل بين الرجل العسيف وهداه فيسير فيها السير ، ويمشى على غير بصيرة ؛ خابطا خبط عشواء أو راكبا متن عمياء فمنعته من الوصول إلى هداه أو عارضت هداه فنفته ، والاسناد على هذين حقيقى ، ويروى : إذا نحت أى تصدت وإسناد القصد إلى (يهماء) مجاز عقلى من باب الإسناد إلى المكان ، والأصل إذا قصد الهوجل العسيف الهدى فى يهماء هوجل كجرى النهر أى الماء فيه ، قال صاحب الكشاف وأهل مكة ، يقولون : صلى المقام ، ومعنى البيت : لا أتحير فى الوقت الذى يتحير فيه غيرى يصف نفسه بالحذق ، والكياسة ، والوقوف على عواقب الأمور والتمييز بين حسنها وقبيحها .

٢٠ ــ إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِى
تَطَايَرَ مِنْــهُ قَادِحٌ وَ مُفَلَّلُ

الزمخشرى : (الأمعز) : المكان الصلب الكثير الحصى ، (والصوان) : الحجارة الملس ، و (المنسم) فى الأصل : خف البعير ، و (القادح) : الذى تخرج معه النار ، والمعنى : أن سيرى سريع ، فإذا لاقت مناسمى حجارة تطاير منها نار ، و (المفلل) : المكسر ، ومراده أن النار تخرج منه مع تكسره ، وذلك أبلغ فى قوة مناسمه ، وحدة سيره ، (الأمعز) : فاعل فعل محذوف يفسره الفعل بعده ، وهو (لاقى) وإنما كان كذلك ، لأن إذا فيها معنى الشرط ، والشرط يتقاضى الفعل ، فذلك الفعل هو الرافع للاسم الواقع بعد أداة الشرط ، ومن هذا النمط ارتفاع الاسم

فى مثل قوله تعالى :

﴿ إن امرؤ هلك ﴾ ﴿ وإذا السماء انشقت ﴾

وقيل إنه مرفوع على أنه مبتدأ ، وهذا القول ليس بسديد ، لأن الشرط لا معنى له فى الاسم ، فهو متقاض للفعل ، ولذلك جاء الفعل بعد الاسم مجزوما فى قول عدىّ :

ومتى واغل أتاهم يحيو ويعطف عليه كأس الساق

(وإذا) منصوبة الموضع بتطاير ، وموضع الأمعز وفعله جر بإضافة إذا إليه تقديره وقت ملاقاة الأمعز ، و (لاق) الظاهر لا موضع له لأنه مفسر والأمعز من الصفات الغالبة ، جرى مجرى الأسماء فيجمع على أماعز ، مثل أفضل وأفاضل ، ولو تمحضت صفة لم تجمع على هذا المثال ، بل كنت تقول : أمعز ، ومعز ، مثل : أحمر وحمر ، ومؤنثة معزاء ، و (الصوان) : صفة الأمعز ، وإنما يصح ذلك بتقدير حذف مضاف ، أى : الأمعز ذو الصوان ، وبدون هذا التقدير لا يصح أن يكون الصوان صفة للأمعز لأن الأمعز : الأرض و (الصوان) : الحجارة ، وهما غيران ، والصفة هى الموصوف فى المعنى ، ويجوز أن يكون الصوان نفسه صفة الأمعز ، لأن الأمعز لما لازمته الحجارة ، وكثرت فيه ، و لا يكون أمعز بدونها ؛ جاز أن يعبر بالأمعز عن الصوان ، كما إذا كثر فعل من شخص ؛ صح أن يوصف به ، فإذا أكثر نومه قلت : زيد نوم ، وزيد إقبال وإدبار ، إذا كثر منه الذهاب والرجوع ، ومنه يحتمل أن يكون مفعولا لتطاير ، ويجوز أن يكون صفة لـ (قادح) قدم فصار حالا ، ومن للتبعيض ، وعلى الأول تكون لابتداء الغاية .

المبرد : (الأمعز) : المكان فيه حصى ، والبقعة معزاء ، و (الصوان) : الحجارة الملس ، الواحدة : صوانة ، وليس هو الصوان فى الحقيقة ، وإنما التقدير إذا الأمعز ذو الصوان ، فحذف ذو ، لعلم السامع به ، كما قال جل ذكره :

﴿ واسأل القرية ﴾

وهو كثير ، وإنما يريد مكانا فيه حصى ، وهو الصوان ، (والمناسم) فى الأصل : أخفاف الإبل ، كالسنابك من الخيل ، فاستعارها لنفسه و (القادح) : ما يخرج معه النار من الحصى ، وذلك من شدة وطئه والمفلل المكسر ، يقول : إذا أصابت رجلى حجرا قدحت منه ناراً وكسرته .

العكبرى : (الأمعز) : المكان الذى فيه حصى صغار ، و (الصوان) : الحجارة الملس ، و (المناسم) : أخفاف البعير ، و (القادح) : ما يخرج منه النار ، والمفلل : المكسر . (الأمعز) : فاعل فعل محذوف يفسره (لاقى) ، أى : إذا أصاب الأمعز ، ولا موضع لقوله : لاقى ، وإنما الموضع للفعل والفاعل ، وهو جر بإضافة (إذا) إليه ، و (الأمعز) : صفة غالبة تجرى مجرى الأسماء ، فتجمع على : أماعز ، ولو كانت صفة محضة لقلت : مُعْز ، كأحمر وحمر ، وتأنيث الأمعز معزاء ، و (الصوان) : نعت الأمعز ، وفيه حذف مضاف ، وتقديره : الأمعز ذو الصوان ، ويجوز أن يجعل الأمعز نفسه الصوان على المبالغة ، كقولك : زيد إقبال وإدبار ، إذا كثر ذلك منه ، حتى كأنه الإقبال والإدبار ، و (منه) يجوز أن يتعلق بـ (تطاير) ، وتكون (من) لابتداء الغاية للتطاير ، وأن تكون نعتا ل (قادح) قُدِّم فصار حالا ، وإذا : منصوبة الموضع بـ (تطاير) ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (الأمعز) : المكان الصلب ، و (الصوان) جمع صوانه ، ضرب من الحجارة شديد ، (فالأمعز) الصوان صاحب الصوان ، و (المناسم) : جمع منسم مقدم الخف ، و (القادح) : الذى يقدح النار ، و (المفلل) : المكسر : وصف بعيره بصلابة أخفافه ، بحيث تؤثر مناسمها فى الأماكن الصلبة ، إذا لاقتها فتطير منها أحجاراً قادحة للنار ، وأخرى مكسورة من شدة الوطء ، وصلابة ما يباشر الأرض من الأخفاف .

عطاء الله : (إذا) اسم شرط جازم خافض لشرطه منصوب بجوابه ، (الأمعز)

هو بالعين المهملة ، والزاى : المكان الذى فيه حصى ، والبقعة معزاء ، وهو لكونه صفة غالبة ، جرت مجرى الأسماء ، جمعت على أماعز ، ولو كانت صفة محضة لجمعت على (معز) كأحمر وحمر ، (الصوان) : هو بفتح الصاد المهملة : الحجارة الصلبة الملس ، الواحدة (صوانة) ، و (الأمعز) هو الصوان فى الحقيقة وإنما الصوان ، يحل فيه ، فالتقدير : الأمعز ذو الصوان ، كما فى (واسأل القرية) : أى أهلها ، بحذف المضاف ، ويجوز أن يجعل الأمعز نفسه الصوان مبالغة لكثرته فيه على حد قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال وإدبار

جعلتها لكثرة ما تقبل ، وتدبر نفس الإقبال والإدبار ، قال الإمام عبد القاهر الجرجانى لو قدرنا المضاف لخرجنا إلى شىء مغسول ، وكلام عامى مرذول ، (لاقى مناسمى) أى : صدم أقدامى ، و (المناسم) : جمع منسم ، وهى فى الأصل من الإبل كالسنابك من الخيل ، فاستعمالها فى الأقدام من الآدميين على طريق الاستعارة (تطاير) أى : تصاعد ، (منه قادح) هو بالقاف ما يخرج منه النار من الحصى و (مفلل) بفاء ولامين : المكسر من الأحجار ، ولفظة منه ، يجوز أن تتعلق بتطاير ، ويجوز أن تكون نعتا لـ (قادح) قدم عليه ، فصار حالا ، والمعنى : إذا أصابت أرجلى حجراً ، قدحت منه ناراً ، وأطارت منه مفللا ، لشدة وطئى وكمال شدتى .

٢١ ــ أُدِيمُ مِطَالَ الجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ
وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأَذْهَلُ

الزمخشرى : (المطال) : مأخوذ من المماطلة ، وهى امتداد المدة ، وكل ممدود ممطول ، يقال مطلت الحديدة إذا ضربتها ، ومددتها لتطول ، وضربت عن الشىء صفحا ، إذا أعرضت عنه ، وتركته ، و (ذهل) عن الشيء : نسيه وغفل عنه ، و (الصفح) : الإعراض أيضا ، (أديم) : مستأنف لا موضع له ، ويجوز أن تجعله

خبر مبتدأ محذوف ، أى : أنا أديم ، وحتى يجوز أن تكون بمعنى إلى أن ، وقبل فلنبين حقيقتها فى الأصل ، أما حتى فالظاهر من حالتها معنى الغاية كإلى ، التى هى حرف جر مقابلة (لمن) التى لابتداء الغاية ، وحتى محمولة على (إلى) ، ولذلك جرَّت ، وذلك فى الكتاب العزيز :

﴿ سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾

ثم إن (حتى) خرجت إلى أبواب أخر عن هذا الأصل ، من عطف وابتداء فلم تتمكن فى الجر تمكن إلى ، فكانت إلى أقعد منها فى هذا الباب ، ودليل ذلك ؛ أنك تقول : جئت إلى زيد وإليه ، وإليك ، وإليهما ونظائره ، واقتصرت فى حتى على (حتى زيد) ،ولم تقل :حتاه ، ولا حتاك ولا حتاهما ، ولذلك اختلفوا فى المجرور بعدها : هل الجار له حتى نفسها أو نيابة عن إلى ، وقيل بإضمار إلى بعدها ، وإن لم يظهر لفظها ، والصحيح القول الأول ، فإذا وقع الفعل بعدها ، وكان منصوبا روعى تقديرا (أن) بعد حتى ، ليكون النصب بأن ، لأن العلم حاصل بأن ما كان جاراً للاسم ، لا يكون ناصبا للفعل ، فما بعد حتى من (أن) المقدرة ومعمولها فى موضع جر بحتى ، وحتى ومعمولها فى موضع نصب بالفعل قبلها ، أو ما يقوم مقام الفعل ، ولا تنقل إذا عملت فى الفعل ، إلا أن تكون بمعنى : إلى أن أو كى أو هما ، فمن الأول قوله تعالى :

﴿ لن نؤمن لك حتى تأتينا بقربان ﴾

أى : إلى أن ، فعدم الإيمان منهم ممتد إلى غاية الإتيان بالقربان ومثال الثانى : (أطع الله حتى يدخلك الجنة) أى : كى ، لأن الطاعة سبب لدخول الجنة ، لا أن الدخول غاية للطاعة ، ومثال الثالث (لألزمنَّه حتى يعطينى حقى) ، يحتمل أن يكون لزومه له سببا للإعطاء فيكون المعنى كى ، ويحتمل أن يكون الإعطاء غاية للزوم ، فتكون بمعنى : إلى أن ، ومنه قوله تعالى :

﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾

و (أديم) هو العامل فى حتى ، على كل حال ، ويجوز أن تتعلق (بمطال) أى (أمطله) لهذا المعنى ، و (أميته) نصب بـ (حتى) أو بـ (أن) المضمرة ، (وأضرب) معطوف على (أديم) ويبعد عطفه على أميته ، لأنه يلزم منه أن يكون مخبراً عن شيء واحد ، وهو أديم ، وإذا كان عطفاً على أديم ، ، كان مخبراً بالأمرين ، فيكون أقعد فى المعنى ، أى أديم ، وأضرب ، والذكر مفعول أضرب و (صفحا) مصدر فى موضع الحال ، أى : معرضا ، ويجوز أن يكون مصدرا من أضرب ، لأن أضرب ، بمعنى أعرض وصفحا بمعنى الإعراض .

المبرد : يقول : أقوى على رد نفسى عما تهوى ، وأغلبها ، وأذهل عن الجوع ، أنساه ، يقال : ذهل يذهل ذهولا .

العكبرى : (أديم) : جملة مستأنفة لا موضع لها ، ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره : (أنا أديم) ، و (حتى) : بمعنى (إلى) ، ويجوز أن تكون بمعنى (كى) ، وتتعلق فى الوجهين بـ (أديم) ، وأضرب : معطوف على (أديم) ، ولا يجوز أن ينتصب بالعطف ؛ على (أميته) إذ ليس الغرض أنى أديم الجوع حتى أضرب ، بل الغرض أن يخبر عن نفسه .

و (الذكر) : مفعول (أضرب) : و (صفحاً) تمييز ، ويجوز أن يكون مصدرا فى موضع حال ، أى أضرب عنه الذكر معرضا ، ويقال : ضربت عن الشيء وأضربت ، وبالأولى جاء القرآن فى قوله عز وجل :

﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ [الزخرف ٥]

وتقديره : أفنطرد عنكم الذكر ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (المطال) : كالمطل ، تأخير الحق ، يقال : مطله ، وماطله بحقه : لواه أى أخره ، و (الصفح) مصدر صفح يصفح بفتح الفاء فيهما ، (أعرض) و (أذهل) بالفتح : مضارع ذهلت عن الشيء بالفتح ذهلا ، وذهلت عنه بالكسر

ذهولا : نسيته ، و (الذكر) : التذكر ، (وضربه) عن الجوع صفحا : الإعراض عمن يقتضيه من الأكل إعراضاً ، وهذا عين مطاله الذى يديمه ، حتى يميت الجوع أى : يكسر سورته ، ويقتل كلبه بدوام مصابرته ، بأن يرتاض به ، فلا يتأثر به ، بعد وغاية ذلك أن يذهل عن وجوده ، وأن لا يحس بحر وقوده .

عطاء الله : (أديم مطال الجوع) : أى أجعل الجوع الطويل دائما ، (حتى أميته) أى : إلى أن أميته ، أو كى أميته ، حتى يكون حال خلو المعدة من الطعام ، كحال امتلائها منه ، لأن من اعتاد أمراً سهل عليه جداً ، (وأضرب عنه) أى عن الجوع ، ويروى وأصرف عنه ، (الذكر صفحا) أى : إعراضا ، أو معرضا ، (فأذهل) عنه أى : أنساه ، وفى التنزيل :

﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾

أى : أنهملكم ؛ فنصرف عنكم القرآن ، وما فيه من المواعظ إعراضا أو معرضين ، و (أضرب) مرفوع : معطوف على (أديم) ، وليس = منصوبا عطفا على أميته ، إذ ليس الغرض إنى أديم الجوع ، حتى أضرب ، بل الغرض أن يخبر عن نفسه بالأمرين ، إذ المعنى ، أن ألم الجوع ينتفى عنى ، إما بإماتته بالإطالة ، وإما بنسيانه بالإعراض عنه ، والقصد من هذا وصف نفسه بالعفة ، وعدم تكفف الناس عند الحاجة .

٢٢ ــ وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهُ
عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرؤ مُتَطَوِّلُ

الزمخشرى : (الطَّوْل) : المن ، يقال : طال عليه ، وتطول إذا امتن و (كى) حرف معناه الغرض ، وهو ناصب بنفسه ، ولا تضمر بعده (أن) إذا دخلت عليه اللام ، كقوله تعالى :

﴿ لكى لا تأسوا على ما فاتكم ﴾

كما تدخل اللام على (أن) وذلك لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ، فإذا كانت نفسها بمعنى أن ، و (أن) وما بعدها فى تقدير المصدر ، كانت اللام داخلة على الاسم ، فإن لم تدخل اللام على (كى) ، وأعملت فى الفعل وجب إضمار (أن) بعدها ، لتكون (كى) تقديرا داخلة على الاسم ، كقولك : (كى مه) ومعناه : لمه والأصل لما ، وما استفهام ، وإنما حذفت الألف ، وثبتت الهاء لبيان الحركة ، ولو كانت (كى) بمعنى (أن) لم تدخل على الاسم فإذا دخلت هذه على الفعل ؛ أضمرت بعدها (أن) ليصح عملها فى الفعل ودخولها عليه ، ودخول لا عليها لا يبطل عملها ، لأنها مؤكدة كما تدخل لا على (أن) ، (ويرى) : منصوب بـ (كى) ، وعلى الألف فتحة مقدرة ، والهاء فى (له) : ضمير امرؤ ، وجاز الإضمار قبل الذكر ، لأن النية به التأخير ، والتقدير : كى لا يرى امرؤ له علىَّ مِنَّةً ، و (من الطول) : صفة لمحذوف تقديره (شيئا) من الطول وعند الأخفش (من) : زائدة ، لأنه يرى زيادتها فى الموجب ويكون التقدير : لئلا يرى له علىَّ امرؤ طولا ، والحق أن (من) لا يجوز زيادتها فى الموجب ، لأنها حرف ، والأصل فى الحروف إفادتها فى المعانى التى وضعت لها نيابة عن الأسماء والأفعال ، ألا ترى أنك إذا قلت : (أزيد عندك) كان التقدير : أستفهم والغرض : إنما هو الاختصار ، وما وضع للاختصار ، فالحكمة تأبى مجيئه زائدا ، إذ هو عكس المقصود ، والموضع الذى جاء فيه زائدا كان لمعنى (من) تأكيد وغيره ، ولا يصح ذلك المعنى هنا ، ألا ترى أنك لو قلت : رأيت من رجل لم تفد شيئا بمن ، ولو قلت : ما رأيت من رجل ؛ كان دخولها مفيداً ، وقوله تعالى :

﴿ يغفر لكم من سيئاتكم ﴾

ونظائره ، (فمن) فيه للتبعيض ، لأن إخفاء الصدقة لا يكفر كل السيئات ، واللام معمولة لـ (يرى) ، وكذلك علىَّ ، ويجوز أن تكون صفة لموضع من الطول ، لأن تقديره (منة) ، ومنة نكرة قدم عليها ، فصار حالا ، ولا يجوز أن يكون من صفة الطول ، وإنما امتنع لما فيه من تقديم الصلة على الموصول ، فيجب

تقدير مثل الموصول ، فيعمل فى (علىَّ) ، وتقديره : لكيلا يتطول علىَّ متطول .

المبرد : .....

العكبرى : (كيلا) : كى فيها وجهان ، أحدهما هى : حرف جر بمعنى (اللام) ، فينتصب الفعل بعدها بـ (أن) مضمرة ، أى : (كيلا أن) ، والثانى أن تكون بمعنى (أن) ، فتنصب الفعل بنفسها والتقدير (لكيلا) .

ويرى : على ألفه فتحة مقدرة ، والهاء ضمير (امرىء) ، وجاز الإضمار قبل الذكر ، لأن النية به التأخير ، وتقديره : لكيلا يرى امرؤ له على .

(ومن الطول) : نعت لمحذوف ، تقديره : شيئا من الطول ، هذا مذهب سيبويه ، وقال الأخفش : (من) : زائدة ، و (الطول) مفعول يرى ، (واللام) تتعلق بـ (يرى) ، و (علىَّ) يجوز أن تتعلق بـ (يرى) أيضا ، ويجوز أن تكون (من) صلة الموصول ولكنه لما قدمه امتنع أن يكون صلة له ؛ لئلا تتقدم الصلة على الموصول ، فعند ذلك تتعلق بفعل محذوف يفسره الموصول ، تقديره : يتطول علىَّ .

ابن زاكور : استفاف الترب كسفه والسويق : أخذه غير ملتوت و (الطول) بفتح الطاء المهملة : الفضل ، و (من) زائدة للتأكيد و (المتطول) : المتفضل ، يريد : أنه إذا دار أمره بين أن يستف التراب ، أو يتحمل مِنة من ذى مَنْ ، فإنه يختار استفاف التراب ، وتقدير البيت : وأستف تراب الأرض ، لأجل أن لا يرى بسبب ذلك على امرؤ متفضل فضلا ، بمعنى : إن هذه عادتى ، فسف التراب عند خوف المِنةِ متحقق فى حقه ، ماض بالنسبة لزمان تكلمه ، فالتعبير بالمضارع ، لحكاية حالة سفه التراب الماضية ، فهو يستحضر به صورة السف لفظاعتها ، أو يقال : إن المعتاد مستقبل العودة ، كما هو ماضى البدء ، فالتعبير بالمضارع ، عما يعود منه حقيقة ، وعن ما مضى منه مجاز .

عطاء الله : (وأستف) أى : أتناول بفمى ، (ترب الأرض) أى : ترابها ، أى أختاره بدلا عما فى أيدى الناس من نفيس الطعام (كى لا يرى) أى : يعلم أو يبصر ، و (كى) إما مصدرية ، والفعل بعدها منصوب بها ، ولام التعليل مقدرة قبلها أو تعليلية ، بمعنى اللام ، والمضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، (له علىَّ) الظرفان متعلقان بـ (يرى) ، والضمير فى (له) راجع إلى (امرؤ) بعد لتقدمه رتبة وإن تأخر لفظا ، (من الطول) : أى المنة والإحسان ، والظرف متعلق بمحذوف، صفة لمحذوف ، أى شيئا كائنا من الطول ، كما ذهب إليه سيبويه ، أو (من) زائدة ، فلا تتعلق بشىء ، كما ذهب إليه الأخفش ، (امرؤ) أى شخص ؛ ذكرا كان أو أنثى ، أو أراد الذكر خاصة ، لأن الرجل إنما يتحمل لو تحمل مِنَنَ الرجال ، وهو فاعل يرى ، (متطول) أى : مفيد للطول ، والإحسان ، والفضل لمن تطول والمعنى : إنى لا أرضى أن أتقلد منن الرجال ، وإن أفضى بى إلى استفاف الترب الحال .

٢٣ ــ وَلَوْلاَ اجْتِنَابِ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ
يُعاشُ بِــهِ إِلَّا لَدَىَّ وَمَأْكَلُ

الزمخشرى : (الذأم) : العيب ، يهمز ولا يهمز ، يقال : ذأمه يذأمه إذا عابه ، وحقره مثل : ذأبه ، فهو مذؤوم ، قال أوس بن حجر :

فإن كنت لا تدعو إلى غير نافع فذرنى وأكرم من بدالك وأذأم

(لو) تقع فى الكلام على أوجه : منها : يمتنع بها الشيء لامتناع غيره والثانى : إن الشرطية ، ومنه قوله عز من قائل :

﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ، ولو أعجبتكم ﴾

المعنى : ولو أعجبتكم ، فالمؤمنة خير منها ، ومنها : أن تكون بمعنى (أن)

الناصبة للفعل ، ومنه قوله تعالى :

﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾

ودوا لو تكفرون ، وليست التى للامتناع لأنها تفتقر إلى جواب ولا جواب لها هنا ومما يؤيد مجيئها ، بمعنى أن الناصبة ، إنها قد وقعت بكلها مصرحا بها فى قوله تعالى : —

﴿أيود أحدكم أن تكون له ﴾

ولا يقال : (لو) كانت بمعنى الشرطية ، والناصبة للفعل لجزمت ، ونصبت لأنه يقال : لولا اختصاص لها فجرت مجرى ، حتى فى الأفعال ، وقسمها الأول : تقع فيه على أنواع ، **أحدها** : أن تدخل على كلام ليس فيه نفى كقولك : لو جئتنى لأكرمتك ، فههنا امتنع الإكرام ، لامتناع المجىء .

والثانى : أن يتعقبها نفى ، ويكون الجواب نفيا ، كقولك : لو لم يقم زيد ، لم يقم عمرو ، والمعنى : إن قيام عمرو ؛ وإنما كان لقيام زيد وإنما ههنا انقلب النفى اثباتا .

والثالث : أن يختص النفى بما دخلت عليه ، ويخلو عنه جوابها كقولك : لو لم تعصى الله أدخلك الجنة ، فالعصيان موجود والدخول منتف ، ولولا امتناع الدخول ؛ لزال النفى ، وبقى الإيجاب بحاله .

الرابع : أن يختص النفى بالجواب دون ما دخلت عليه ، كقولك : لو أكرمك لم تهنه .

والخامس : أن تكون للمبالغة ، فلا تنتج شيئا من الوجوه ، الأول كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه .

فمع خوفه بطريق الأولى : أن لا يعصيه ، ولو لم يرد المبالغة لكان المعنى : أن يعصى الله ، لأنه يخافه ، وإذا ثبت أن معناها عندهم : امتناع الشىء لامتناع غيره ،

والامتناع ليس بأصل فى الأفعال ، ولكنه شرط فى وجوده امتناع غيره ، وباب الشرط الفعل ، فلهذا كان الحرف من الحروف المقصورة فى الأصل على دخولها على الفعل غير أنه ، وإن اختص بالدخول على الفعل ، لا يجزمه لما تقدم وأيضا ، فإن ما يقع بعده من الأفعال الماضية ليس معناها الاستقبال فإن وقع بعدها اسم ، وبعده فعل ، كان محمولا على فعل قبله ، يفسره الظاهر ، وذلك لما ذكرنا من اقتضائها الفعل ، دون الاسم ، وبهذا يتحقق شبهها بأداة الشرط ، وحكمها فى هذا حكم قوله عز وجل :

﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾

وقوله تعالى :

﴿ **لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى** ﴾

فأنتم فاعل لفعل محذوف يفسره تملكون ، وهذا الضمير كان متصلا بها ، فلما أضمرت فصل عنها ، وأجروه مجرى الأسماء الظاهرة ، وفى كلامهم : « **لو ذات سوار لطمتنى** » أى لو لطمتنى ذات سوار ، فإذا أدخلت عليها لا كان الاسم الذى بعدها مرفوعاً بالابتداء ، وخبره محذوف ، لا يجوز إظهاره ، لطول الكلام بلولا ، وبالاسم المرفوع بعدها ، وبجواب لولا الذى لا يتم معناها إلا به ، والكلام عند طوله يسوغ فيه الحذف ، وإثبات المحذوف جائز ، فإن طال جدا ، وكان الطول لازما لزم الحذف ، ومثاله ما ذكر فى هذا البيت ، والتقدير : ولولا اجتناب الذأم موجود ، فموجود هو الخبر ، وليس قولك : لم يلف مشرب خبر الاجتناب ، لأن المعنى : ليس عليه ، ولو كان خبرا لكان له فيه ذكر ، مظهر أو مقدر ، وفى تعرية من ذلك دليل على أنه ليس بخبر المبتدأ ، ولا بد للمبتدأ من خبر ، وهذا ليس بخبر ، فتعين أن يكون محذوفا ، وحذف أيضا للعلم به ، وهذه يمتنع بها الشيء لوجود غيره ، لأن (لو) معناها : امتناع الشيء لامتناع غيره وامتناع وجود الشيء ، وانتفى بلا الداخلة على لو نافية الامتناع فكانت لولا دالة لذلك على امتناع الشيء لوجود غيره ،

وقال ابن كيسان يرتفع الاسم الذى بعد لولا ، بأنه فاعل لولا كارتفاع الفاعل بفعله ، وقيل يرتفع بفعل محذوف ، تقديره : لولا وجد اجتناب الذأم ، هذه مسألة تحتمل كلاما طويلا ، ليس هذا موضعه ، واجتناب : مصدر مضاف إلى المفعول ، و (لم) حرف يجزم الفعل المضارع ، وإنما عملت فى الفعل لاختصاصها به ، وجزمت لأن الفعل ثقيل فى نفسه ، ولم ناقلة له من زمن إلى غيره ، فيزيد ثقله بذلك فناسب أن تعمل الحذف ، ولأنها أشبهت (إن) الشرطية فى النقل ، فعملت عملها (ويعاش) به صفة لـ (مشرب) أى : مشرب معاش به ، و (لدى) : خبر مبتدأ محذوف ، أى إلا هو لدى ، فحذف المبتدأ للعلم به ، وما كل ، قال بعضهم : هو معطوف على (هو) المقدرة بعد إلا ، ويجوز أن يكون معطوفاً على مشرب .

المبرد :(ذم) وذأم ، وذين ، وذأن ، وقوله : ولولا ... الخ : مبالغة فى مدح نفسه ، وذلك أنه أخبر فى البيتين قبله : إنه يديم مطال الجوع ، ويستف ترب الأرض ، فربما يتوهم متوهم ، أن ذلك لعجزه عما يشبعه ، فدفع ذلك بهذا البيت ، وهذا يسمى عند علماء المعانى بالتتميم ، ومثلوه بقوله تعالى :

﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾ أى مع حبه .

العكبرى : (لولا) : يمتنع بها الشيء لوجود غيره ، وأصلها (لو) و (لا) ، فلما ركبتا حدث لهما معنى ثالث غير الامتناع المفرد وغير النفى ، وتحقيقه أن (لو) يمتنع به الشيء لامتناع غيره ففيها امتناعان ، و (لا) نافية ، والنفى إذا دخل على النفى صار اثباتا .

والاسم الواقع بعد (لولا) هذه : مبتدأ ، وخبره : محذوف عند الجمهور ، وقال بعضهم : هو فاعل (لولا) ، وجعلها تعمل عمل الفعل وقيل : يرتفع بفعل محذوف ، أى : لولا وجد زيد ، وفى المسألة ــ كلام طويل ، لا يحتمله هذا الجزء .

ابن زاكور : يعنى : أن اجتنابه الذم المحقق بحسب دعواه بشهادة لولا ، فإنها

تقتضى وجود شرطها ، وامتناع جوابها لوجوده والشرط هنا : اجتناب الذم ، فهو الذى أرقى همته ، وقمع نهمته ، ومنع من وجدان المشارب ، والمآكل التى يعاش بها عنده ، ولولا ذلك ، أى لو قدر عدم اجتناب الذم ، بعدم المبالاة به : لم يوجد مما ذكر إلا عنده .

عطاء الله : (ولولا اجتناب الذأم) : لو : حرف يدل على امتناع الثانى لامتناع الأول ، كما فى : (لو جئتنى لأكرمتك) على معنى أن الإكرام منتف فى الخارج لانتفاء المجىء ، فإذا ركبت مع لا حدث لهما معنى آخر ، ودلت على انتفاء الثانى لوجود الأول ، وذلك لأن (لو) تدل على امتناع الشرط ، والجزاء معا ، فإذا وليتها لأثبت ما بعدها ، أعنى الشرط ، فصار وجوديا بعد أن كان عدميا ، وبقى الجزاء على حالة الانتفاء لأن لا ينفى بها أكثر من أمر واحد بخلاف (لو) واجتناب مرفوع ، واختلاف فى رافعه ، فذهب الجمهور إلى أنه مبتدأ حذف خبره وجوبا ، وقيل : هو فاعل بلولا إعمالا لها عمل الفعل وقيل : فاعل بفعل محذوف ، و (الذأم) بالذال المعجمة ويقال : ذيم ، وذم ، وذانٌ ، وذين ، وذنّ الكل بمعنى العيب والعار ، (لم يلف) أى : لم يوجد ، (مشرب) أى مشروب ، (يعاش به) أى يعيش به إنسان ، (إلا لدى) أى عندى دون غيرى ، و (مأكل) أى : مأكول يعاش به ، أى إلا لدى ، فحذف من الثانى لدلالة الأول ، وجملة يعاش به : نعت لـ (مشرب) ، و (لدى) : خبر لمبتدأ محذوف تقديره : إلا هو لدى ، ومأكل معطوف على مشرب وقدم المشرب على المأكل ؛ وإن كان الشرب من توابع الأكل لداعى الروى ، يصف نفسه بعلو الهمة فى تحصيل الأرزاق ، والتنزه عن العيب ، والعار ، والمعنى : لولا خشية العيب والعار ؛ لكانت الدنيا كلها فى قبضة يدى ، فلا يساق رزق لمرزوق إلا على يدى ، وبطريق تفضلى وإحسانى عليه ، وتقدير الكلام : امتنع عدم وجود مأكل ، ومشرب يعاش به ؛ إلا لدى ، بأن وجد مأكل ومشرب ، يعاش به لا لدى ، لوجود اجتناب العار والعيب .

٢٤ ــ وَلَكِنَّ نَفْساً مُرَّةً ، لاَ تُقِيمُ بي
عَلَى الذَّأْمِ إلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

الزمخشرى : (لكن) حرف ، معناه الاستدراك ، وكذلك هو هنا ؛ لأنه ذكر بعض صفاته ، ثم استدرك فأضاف إليها شيئاً آخر . ومثله قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أتأتون الذّكران من العالمين ﴾

ثم قال سبحانه وتعالى :

﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾

فلم يُضرب عمّا وصفهم به ، بل أضاف إليه صفة أخرى .

و (مُرّة) صفة لـ (نفساً) . وخبر (لكن) محذوف ، تقديره ((لى)) ، وحُذف لأنه معلوم . و (لا تقيم) يجوز أن يكون صفة لـ (نفسا) أى : أبيَّة ، ويجوز أن يكون حالاً من (نفسا) لكونها موصوفة ، ويجوز أن يكون خبر لكن . و (بى) يجوز أن يكون حالاً ؛ أى لا تقيم مصاحبةً . و (ريثما) بمعنى : قدرما . ومعنى الرَّيْث : الإبطاء . وهو منصوب بـ (تقيم) . و (ما) مصدرية . أى : إلا قدر تحوّلى .

المبرد : .....

العكبرى : (لكنّ) : استدراك ، معناه زيادة صفة على الصفات المتقدمة ، مثل قوله عز وجل :

﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾

ثم قال :

﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾

فلم ينف العيب الأول ، وهو إتيان الذكران من العالمين ، ولكنه أضاف إليه صفة العدوان .

و (مُرةً) : صفه لـ (نفس) ، (ولا تقيم) : خبر (لكن) ، و (بى) : يتعلق بـ (تقيم) . والمعنى : تقيمنى ، فهو مفعول به ويجوز أن يكون حالا ، أى : تقيم وأنا معها ، و (علىّ) : تتعلق بـ (تقيم) أيضا .

والألف فى : الذأم ، مبدلة من ياء ، وأصله : الذيم ، وهو العيب و (ريثما) : منصوب نصب الظرف ، أى قدر ما أتحول ، و (ما) مصدرية .

ابن زاكور : (النفس الحرة) هى الكريمة التى تأنف من الدنايا وتَسْتَسْهل فى جنبها المنايا ، و (الريث) هنا القدر ، و (لكن) هنا للاستدراك المحقق لوجوب اجتناب الذم المانع من ارتكاب ما تضمنه الجواب الذى امتنع لوجوده ، فيتحقق امتناع مضمون الجواب ، وذلك مفهوم من لولا فى البيت الأول ، فيكون هذا تأكيداً لذلك : وبالجملة ، إن هذا من الاستدراك المشتمل على الإثبات ، الذى لم يتوهم نفيه ، لمجرد التأكيد ، وقد يكون بالنفى لما لم يتوهم ثبوته كذلك ومنه قول أُبى ابن سلمى بن ربيعة :

فلو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر

فإن (لو) أفادت امتناع طيران ذى الحافر ، فارتفع توهمه ، فاستدركه بعد يكون للتأكيد : وتقدير البيت : ولكن نفساً كريمة لا تستمر بى على ما أذم به ، إلا مقدار ما أنتقل عنه ، والمعنى أنه لا يقيم عليه لحظة فاستثناء مقدار التحول من مقدار الإقامة ؛ استثناء من غير الجنس أفاد ذلك مبالغة فى عدم الإقامة على الذم ، فالإقامة والتحول أى قدره متغايران ، وقد حصر ما أثبته من الإقامة فى التحول ، الذى هو ضدها بلا تأول ، وذلك محال لا يخطر ببال ، فتكون الإقامة على الذم من المحال ، وهذا هو المسمى فى علم البديع : بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، أى بمدح يشبه الذم ، ومن شواهده قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فاستثناء فلول السيوف من العيب ، كاستثناء التحول من الإقامة فى بيت الشنفرى ، ففلول السيوف مدح أُفرغ فى قالب الذم ، أكد المدح بنفى العيب لتحقيقه أنه لم يوجد من أفراد العيب شيء ، وكذلك التحول عن الذم مدح عظيم مفرغ فى قالب الذم ، حيث استثنى من نفى الإقامة على الذم ، والاستثناء من النفى إثبات ، فيقتضى اثبات الإقامة على الذم وكونها تحولا عنه مؤكد لنفيها ، وبرهان على استغراق النفى لجميع أفراد الإقامة على الذم .

عطاء الله : (ولكن نفساً حرة) أى : أبية ، وهو استدراك يفيد أن اجتناب الذام والتباعد عن العار طبيعة له ، و (نفساً) اسم لكنّ بتشديد النون ، و (حرة) صفة لـ (نفسا) ، (لا تقيم بى على الذأم) أى لا تقيمنى ، ولا تساعدنى عليه ، أو لا تقيم وأنا معها عليه ، بل كلانا يتحول عنه ، فالباء على الأول زائدة فى المفعول به ، أو بمعنى (مع) على الثانى والظرف عليه حال من الضمير فى (تقيم) ، وجملة لا تقيم بى : خبر (لكنَّ) (إلا) استثناء من عموم الأحوال ، المقدر (ريثما أتحول) أى قدر تحولى عن العيب ؛ حين يصيبنى بحيث لا أدوم عليه ، ولا أتخذه مذهبا (فريث) ظرف و (ما) بعدها مصدرية كما تقرر .

٢٥ ــ وَأَطْوِى عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ
خُيُوطَــةُ مَارِىّ تُغَارُ وَ تُفْتَلُ

الزمخشرى : (الخُمص) بالضم : ضمور البطن ، ورجل خمصان الحشا : أى ضامر البطن ، والجمع خماص ، و (الخَمْص) بالفتح : الجوع ، والخمصة الجوعة ، يقال ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها ، والحوايا جمع حوية وهى الأمعاء ، و (الخيوطة) : السلوك ، وهى الخيوط ، و (مارىّ) اسم رجل ، وقيل اسم

للفاتل ، و (تُغَار) : تحكم ، وحبل مغار : أى محكم الفتل ، وحبل شديد الغارة : أى محكم الفتل ، و (أطوى) : معطوف على (أسْتف) و (الحوايا) مفعول أطوى و (على الخمص) يجوز أن يكون فى موضع الحال ، أى جائعا ، والكاف : نعت لمصدر محذوف ، أى : طيا كانطواء خيوطة المارىّ ، و (ما) مصدرية ، والتقدير أطوى فتنطوى مثل انطواء خيوطة مارىّ ، و (التاء) من خيوطة دالة على كثرة الجمع ، كقولهم : (حجار) و (حجارة) .

وأما (تُغار) فحال من خيوطة أى محكمة إن كان مارىّ اسم رجل و (صفة) لخيوطة ، إن كان مارىّ اسما لفاتل أىّ فاتل كان ، وَتُفْتل معطوف على تغار .

المبرد : (الخمص) الضمر ، و (الحوايا) جمع حمية كثنية ، وثنايا وركية وركايا ، وهو ما تحوى فى البطن إذا اجتمع واستدار ، وبعض العرب يقول : حاوية كراوية وروايا ، و (الخيوطة) الخيوط ، وأتى بالهاء للتأنيث إذ كان يعنى الجماعة كقولك : الجوارية وما أشبهه ، و (المارى) : الفاتل ، و (تغار) بحكم فتلها ، يُقال مأرت الشىء إذا أصلحته ، يصف أنه مصلح ، محكم كالحبل ، وأخبرنى فضل اليزيدى ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ الأصمعى ، سأله عن قول أرطأة بن سُهَيَّة المرّى .

ومعـرّس لـعب الكـلال بـه رود الشبـاب كأنـه حبـل

فقال ما معنى كأنه حبل ، قلت أراد الضعيف ، يقول : هو متنّ ، فأنكره علىَّ .

فقلت : فما معناه ؟ فقال : ممرّ .

العكبرى : (الخَمص) : بالفتح الجوع ، وبالضم : الضمر . و (الحوايا) : ما يحوى فى البطن . و (الخيوطة) : الخيوط . و (المارى) : الفاتل . و (تغار) : تفتل وتحكم . و (أطوى) : معطوف على ما تقدم من الجمل . و (الخمص) : مصدر ، اسم مصدر ، و (الحوايا) : مفعول أطوى . و (الكاف) : نعت لمصدر

محذوف . أى طيا كما انطوت . و (ما) : مصدرية ، ومصدر « انطوى » الانطواء ، وليس بمصدر « أطوى » ، وإنما المعنى : أطوى الحوايا ، فتنطوى مثل الخيوطة ، و (التاء) فى الخيوطة تدل على كثرة الجمع ، كقولهم : حجار وحجارة . و (تُفار) : فى موضع رفع نعت لخيوطة ، والأصل : تفتل وتغار ، ولكن الواو لا تدل على الترتيب والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (الحوايا) : الأمعاء التى تحوَّت أى : استدارت ، واحده حوية بوزن غنية ، وحاوية وحاوياء ، و (الخمص) : مصدر ، خمصة الجوع أقهره ، وخمص البطن مثلث الميم أى خلا ، و (الخيوطة) بالتاء كالخيوط والأخياط : جمع خيط ، و (المارى) : كساء صغير له خطوط مرسلة ، وإزار الساق من الصوف المخطط ، و (تغار) : يحكم فتلها ، فالحوايا مفعول طوى أى أشد الأمعاء على جوعها ، فتنطوى كما انطوت خيوط الكساء والإزار المارى فى حال كونها تفتل ، ويحكم فتلها ، وانطواء الخيوط فى حالة الغزل على المغزل فى غاية الإنضام والتداخل ، فيستفاد من تشبيه طى الأمعاء به ؛ شدة جوعها ، وفرط خلائها من الغذاء والرطوبات ، واستيلاء اليبس عليها ، فتضمر ، وتنضم ، ولا كانضمام الخيوط عند إحكام الفتل .

عطاء الله : (وأطوى) : أى أعصب ، والجملة معطوفة على جملة وأستف ترب الأرض (على) الأعضاء (الخمص) : أى الجائعة وهو بضم الخاء المعجمة ، جمع أخمص وخمصاء ، كحمر لأحمر ، وحمراء ويجوز أن يكون بفتح الخاء بمعنى الجوع . (الحوايا) : جمع حوية ، كثنية وثنايا ، وركية وركايا ، وهو ما يحوى على البطن ، ويعصب عليه وبعض العرب يقول حاوية وحوايا ، كراوية وروايا ، و (الحوايا): مفعول أطوى (كما انطوت) : أى كانطواء على أن (ما) مصدرية ، والمشبه به ليس مصدر طوى ، لأنه الطى ، لا الانطواء ، بل مصدر محذوف تقديره : وأطوى على الخمص الحوايا فتنطوى انطواء كما انطوت (خيوطة مارى) و (الخيوطة) :

جمع خيط ، والتاء فيه للمبالغة والكثرة ، كقولهم حجار وحجارة وقيل : الهاء للتأنيث على معنى إرادة الجماعة ، و (المارى) : الحائك (تُغار) : أى تحكم فتل تلك الخيوطة ، و (تفتل) أى : يحصل أصل فتلها وكان الأليق : تفتل وتغار ، لأن إحكام الفتل صفة له ، فتتأخر عنه لكن ساغ ذلك مع الواو التى لا تقتضى ترتيبا بين المتعاطفات ، وإنما ارتكب خلاف الأولى ، لداعى رعاية الروى كما تقدم نظيره ، وجملة (تغار) صفة لخيوطة ، وجملة (تفتل) معطوفة عليها ، والمقصود من هذا وصف نفسه بالقناعة والزهد فيما فى أيدى الناس ، والصبر على الجوع وإن اشتد خشية الوقوع فى المعرة ، وفائدة ربط البطن بالحوايا عند المجاعة أن المعدة حارة بالطبع ، فإذا كان فيها الطعام اشتغلت الحرارة به ، حتى تهضمه وإن كانت خالية عن الطعام اشتغلت بالأعضاء ، فيحصل التألم ، فإذا ربطت البطن ربطا شديداً انحدمت الحرارة ، وضعفت ، فيقل الألم ، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم فى حالة المجاعة يربط على بطنه حتى بالحجارة .

٢٦ ــ وأَغْدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا
أَزَلُّ تَهادَاهُ التَّنائِفُ أَطْحَلُ

الزمخشرى : (الزهيد) : القليل ، يُقال رجل زهيد الأكل : أى قليله ، وواد زهيد إذا كان قليل الأخذ للماء ، و (الأزل) : الخفيف الوركين والسمع (الأزل) هو الأرسح « أى القليل لحم الوركين » ، يتولد من الضبع والذئب وهذه الصفة لازمة له ، كما يقال الضبع العرجاء ، وفى المثل :

« **أسمع من الذئب الأزل** » .

و (التنائف) : جمع تنوفة ، وهى المفازة ، ومعنى (تهاداه) : أنه كلما خرج من تنوفة ، دخل إلى أخرى ، و (الأَطْحَل) : هو الذى لونه بين الغبرة والبياض ، وشراب أطحل : إذا لم يكن صافيا . و (أغدو) : معطوف على ما قبله ، و (على القوت) : خبر أغدو : أى أغدو قليل الزاد ، و (الكاف) : نعت لمصدر

محذوف : أى غدوا كغدو أزل ، ومعنى هذه الكاف التشبيه ، وتقع فى الكلام على أنواع : فى موضع حرف فقط ، وذلك إذا كانت صلة ، تقول : الذى كزيد بكر ، ولو كانت اسما لما استقلت الصفة بها ، وفى موضع اسم فقط ، كقول الشاعر :

أتنهون ولن ينهى ذوى شطط كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل

فهنا هى فاعل ، فيتعين أن تكون اسما مفردا ، وكذلك إذا دخل عليها حرف الجر مثل : « يضحكن عن كالمبرد المنهم » ، وتقع محتملة للأمرين ، كقولك : زيد كعمرو ، وإنما فتحت وكسرت اللام والباء ، لأن الأصل فى الحروف الآحادية الفتح لأنها مبدأها ، والابتداء بالساكن الذى هو الأصل متعذر ، فاضطروا إلى الحركة ، والضرورة لا تدعو إلى تعيين حركة ، وقد اندفعت بأخفها ، وهى الفتح فلا يعدل إلى غيره ، وقد امتازت الكاف بأن وقعت اسما فبعدت عن اللام والباء ، فردت إلى الأصل ، و (ما) فى (كما) مصدرية ، و (أزل) غير منصرف للصفة ، ووزن الفعل ، و (تهاداه) : صفة للأزل : أى متهادى و (أطحل) : نعت للأزل .

المبرد : (وأعدو على القوت الزهيد كما عدا) .. الخ : الزهيد القليل الذى يزهد فيه ، و (الأزل) : الأرسح ، وبه يوصف الدب ، يقال أرسح ، وأرصع ، وأزل بمعنى واحد ، ومن أمثالهم :

(لا أنسى للذئب الأزل الجائع)

وقال بعضهم : قلت لأعرابى : ما الأرسح ؟ فقال : الذئب لا است له ، ووصف رجل فارساً فقال : قاتله الله أقبل بزهرة (لعله بزورة) أسد ، وأدبر بعجز ذئب ، وذلك أنه يحمد من الفارس أن يكون مصدراً ، أشعر ذلك الموضع ، وأن يكون ممسوح الإست كالذئب ، و (التنائف) الأرض القفار ، و (الأطحل) : الذى لونه كلون الطحال ، يقول : أقنع بالقوت الزهيد وأعدو فى طلبه عدو الذئب .

العكبرى : (الزهيد) : القليل ، و (الأزل) : الأرسح ، يوصف به الذئب ،

و (التنائف) الأرضون ، واحدها تنوفة ، و (أطحل) : فى لونه كدرة . (كما) : نعت لمصدر محذوف ، أى : غدوا كغدو الأزل ، و (تهاداه) : نعت الأزل ، و (أزل) : لا ينصرف للوصف ، ووزن الفعل ، و (أطحل) : نعت الأزل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ابن زاكور : (القوت) : ما يمسك الرمق ، و (الزهيد) : القليل الضيق والمرغوب عنه ، بمعنى المزهود فيه المحتقر ، فهذا الذى يناسب قوله : (وأستف ترب الأرض) البيت ، و (الأزل) : الذئب القليل لحم الألية ، وخصه لأن ذلك أشد لوثوبه ، وسرعة سيره ، و (الأكحل) ذو الكُحلة بالضم ، وهو لون بين الغبرة والبياض ، و (التنائف) جمع تنوفة ، وهى : المفازة ، وهل وزن التنوفة فعولة أو تفعلة ؟ خلاف ذكرناه فى « فرائد التبيان فى شرح قلائد العقيان » ، و (تهاداه) أصله : تتهاداه ، بتاءين ، مضارع تهادته ، أى إهداء بعضها إلى البعض ، وهو استعارة ، فخروجه من بعضها إلى ما يليه فى سيره لطلب قوته ، وهذه الاستعارة تسمى : تبعية ، لأنها فى الفعل ، سميت بذلك لكونها بالتبع لمصدر الفعل بمعنى : إن المصدر محل التشبيه الذى انبنت عليه الاستعارة فجرى ذلك أولا فى المصدر ، ثم تبعه فى الفعل : ومعنى البيت : وأسير غدوة مثلا إلى محل القوت المزهود فيه ، فرارا من الذم سيرا حثيثاً ؛ شبيها بسير الذئب القليل لحم العجز المغبر اللون إلى قوته ، فى ذلك الوقت ، فى حال كونه تتهاداه المفاوز ، ويدفعه أولاها إلى ما يليه ، وهكذا . وغدو الذئب فى طلب قوته بالغ الغاية فى الأبعاد والسرعة ، لا سيما ، إذا كان أزل ، فتشبيه غدوه بغدو الذئب لبيان حاله فى الغدو ، فى طلب القوت الذى ينجيه من المقت المحقق ، لشدة اجتنابه من الذم ، فمضمون هذا البيت ، والذى قبله الاحتجاج على ما ادعاه فيما قبلهما من اجتنابه المذمات ، وأنفته من الدنيات ثم أخذ يشرح أحوال الذئب فى سيره إلى القوت ، لتعلم منها حالته فى الطلب لكونها مثلها .

عطاء الله : (وأعدو) أى أجد ، والعدو فى الأصل : شدة السير ، (على القوت

الزهيد) أى الرزق اليسير ، الذى من شأنه أن يزهد فيه ويرغب عنه لقلته . (كما عدا أزل) ، أى عدواً كعدو أزل ، وهو الذئب الجائع ، ممنوع من الصرف للوصف ، ووزن الفعل . (تهاداه) : أى ترامى به (التنائف) وهو بتاء فوقية ، ثم نونين بينهما ألف ، ثم فاء ، (المفاوز) : القفار ، كأنها لشدة سيرها فيها ترميه بقعة منها إلى بقعة أخرى برفعه طورا ، وخفضه طورا آخر ، والجملة صفة لأزل . (أطحل) : أى لونه أحمر يضرب إلى السواد كلون الطحال ، وهى صفة لأزل ومثله فى منع الصرف ، وعلته .

٢٧ ــ غَدَا طَاوِياً يُعارِضُ الرِّيحَ هَافِياً
يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

الزمخشرى : (الطاوى) : الجائع ، وكذلك الطيان ، و (هافيا) : يحتمل أن يراد به الجائع ، يقال رجل هاف ، وسبع هاف ، إذا كان جائعا ، ويحتمل أن يراد به السرعة فى العدو ، يقال : مرّ الصبى ، والذئب يهفو : إذا خف على الأرض ، واشتد عدوه ، و (يخوت) : ينقض ، يقال : خات البازى ، إذا انقض ليأخذ الصيد ، وقيل يخوت : يخطف ، يقال فلان يختات حديث القوم ، ويتخوت إذا أخذ منه ، وتخطفه ، و (الشِّعْب) بكسر الشين : الطريق فى الجبل ، والجمع الشعاب ، وقيل مسايل صغار ، و (أذنابها) : أوآخرها ، و (يعسل) أى يمشى خببا ، يقال : عسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا إذا أعنق وأسرع ــ قال النابغة :

عسلان الذئب أمسى قاربا
برد الليل عليه فنسل

ونسل : أسرع ، و (غدا) يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال والعامل تهاداه ، والضمير فيه ، هو صاحب الحال ، وقد مرادة أى قد غدا ، وإنما قدرت مع الفعل الماضى ، لأن الحال ، وصف هيئة الفاعل أو المفعول به وقت الفعل منه ، أو به ، والماضى غير موجود ، فلا يصح أن يكون حالا ، ولأن الحال إما مقارنة

أو منتظرة ، ولا يصح ذلك فى الماضى ، وقد وضعها تقريب الماضى من الحال ، فإن قيل : قد أجزتم أن يكون الماضى حالا مع قد ، وقد لا تصيره حالا ، فهو معدوم حقيقة ، والفعل المستقبل أيضاً يكون حالا ، وإن كان معدوماً فى الحال ، فالجواب : إن قد تقربه من الحال ، وما كان قريباً من الشىء كان مجاورا له ، والمجاور يعطى حكم المجاور له .

وهذا ظاهر فى عرفهم ، وأما المستقبل وإن كان معدوما فى الحال ، ولكن هو مار إلى الوقوع ، فلقرب وقوعه عُدَّ واقعاً فى الحال ، ألا ترى أنك إذا أوقعت اسم الفاعل موقع المضارع عطفت عليه المضارع تقول : الطائر الذباب فيغضب زيد ، فتعطف يغضب على الطائر نظرا إلى أن أصله يطير ، وليس كذلك الماضى ، فإن عود عينه متعذر ، ويجوز أن يكون (غدا) : صفة لأزل ، أى أزل غاد ، ويجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له من الإعراب ، و (طاويا) : حال من الضمير فى (غدا) : أى دخل فى الغداة طاويا ، و (طاويا) : من طوى المتعدية ، كما تقول : طوى زيد ثوبه ، فيكون التقدير هنا : طاويا أحشاءه على الجوع ، ويقوى هذا المعنى مجىء الاسم منه على فاعل ، والاسم من طوى إذا جاع ، طو مثل عم ، وشج ، ومصدر المتعدية الطى ، أى طوى يطوى طيا ، ومصدر الأخرى الطوى ، أى طوى يطوى طوى ، و (يعارض الريح) يجوز أن يكون صفة لـ (طاويا) وأن يكون حالا من الضمير فى (طاويا) أو من الضمير فى (غدا) ، إن جوز وقوع حالين من اسم واحد ، و (هافيا) حال من الضمير فى (يعارض) ، و (يخوت) : يجوز أن يكون حالا من الضمير فى (هافيا) ، و (بأذناب الشعاب) : ظرف لـ (يخوت) أى : يخوت فى أذناب الشعاب .

المبرد : يقول : (غدا طاويا) : طواه الجوع كأنه طوى معاه عليه ، يقال : رجل طاو وطيان ، والأنثى طاوية و طيا ، والمصدر الطوى ، وهو خمص البطن من أى شىء كان ، و (هافيا) : يذهب يمينا وشمالا من شدة الجوع ، و (يخوت) و (يختات) : يختطف ويختلس ، ويقال (خاتَ) الذئب الشاة واختاتها ، وامتشنها ،

وامتشقها وامتقدها ، كل ذلك إذا اختطفها ، ويروى أن الفرزدق لقى جريرا بالبصرة ، فقال له : ما أشبهك بى : أكانت أمك وردت البصرة ؟ فقال لا ، ولكن وردها أبى ، فاختات فى بنى مجاشع و (الشعاب) : مسايل صغار ، و (أذنابها) أواخرها ، (يعسل) إذا مَرَّ مرّاً سهلا فى استقامة ، من ذلك يقال للرمح عسال ؛ إذا تتابع عند الهز ، ولم يكن كزّاً .

العكبرى : (الطاوى) : الجائع ، و (هافيا) : يذهب يمينا وشمالا من شدة الجوع ، و (يخوت) : يختطف ، و (الشعاب) : مسايل صغار ، و (أذنابها) : أواخرها ، و (يعسل) : يمر مرّاً سهلا . ، و (غدا) يجوز أن يكون مستأنفا لا موضع له ، وأن يكون فى موضع نصب على الحال ، و (قد) معه مقدرة ، وصاحب الحال الضمير فى « تهاداة » ، وهو عامل الحال ، و (طاويا) : حال من الضمير فى (غدا) ، و (طاويا) : يجوز أن يكون من (طوى) المتعدية ، أى : طوى أحشاءه على الجوع ، ولذلك جاء الاسم فيه على فاعل . وليس من قولك : طَوِىَ يَطْوِى طَوَىً إذا جاع ، لأن الاسم (طوٍ) مثل : عَمٍ ، وشَجٍ ، ومصدر الأول : الطى ، ومصدر الثانى : الطوى ، ويقال للمرأة طيانة . و (يعارض) : فى موضع الحال أيضا ، إما من الضمير فى (طاويا) وإن شئت من الضمير فى (غدا) ، على رأى من جعل للاسم الواحد حالين فصاعدا ، و (هافيا) : حال من الضمير فى (يعارض) ، و (يخوت) حال من الضمير فى (هافيا) ، و (بأذناب) : ظرف لـ (يخوت) ، و (الباء) بمعنى (فى) ، و (يعسل) : معطوف على (يخوت) ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (الطاوى) الذى طوى يطوى : أى لم يأكل شيئا متعمداً لذلك ، و (المعارضة) : المباراة ، و (يخوت) بالخاء المعجمة : يسرع ، هنا من خوت البازى والعقاب ، أى : انقضاضهما ، وهو أسرع ما يكون و (أذناب) الشعاب أسافلها ، و (عسلان) الذئب كعسله : خببه فى مشيته ، (فجملة غدا) :

استئنافية ، لا محل لها ـــ لأجل ذلك ـــ من الإعراب ويجب فصلها عن التى قبلها ، المقتضية سؤالا ، يجاب عنه بالثانية ، وبيان ذلك أن قوله (كما غدا) اقتضى أن يقال : كيف غدا ؟ فيقال : (طاويا) ولو تحقق السؤال ، لوجب فصل الجواب عنه ، فكذلك يجب فصل الجواب عما يتضمن ذلك السؤال ، ويسمى الفصل : استئنافا ، كالجملة المستأنف بها والمعنى : غدا الذئب لطلب القوت ، فى حال كونه جائعا ، وهذه الحال لازمة له ، ولذلك يقولون :

« رماه الله بداء الذئب »

أى الجوع ، و (غدا) أيضا . حالة كونه يبارى الريح فى السرعة وفى حال كونه ، يتحدر فى أسافل الشعاب مسرعا كما ينقض البازى ، وفى حال كونه يضطرب فى مشيته من شدة السرعة وواحد (الشعاب) شعبة : وهى مسيل الماء إلى الوادى .

عطاء الله : (غدا) : أى ذلك الأزل (طاويا) : أى صابرا على الجوع كأنه طوى أحشاه على الجوع ، وهو خبر (غدا) إن جعلتها ناقصة ، أو حال من الضمير فى (غدا) إن جعلتها تامة ، وجملة (غدا طاويا) إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وإما حال من الضمير فى (تهاداه) فى البيت قبله على تقدير : قد ، (فطاويا) ههنا اسم فاعل من (طوى) المتعدى كما تقرر ، لا من (طوى) اللازم بمعنى (جاع) ، لأن اسم الفاعل منه (طوى) مثل : عمٍ ، شجٍ ، والأول من باب ضرب ، ومصدره الطى ، والثانى من باب علم ، ومصدره (الطوى) ، (يستعرض الريح) : أى يسير جهة هبوبها وهو أصعب السير لوجود العائق ، وروى يعارض ، و (الريح) مؤنثة ، تقول : هبت الريح إذا ثارت ، وجملة (يستعرض الريح) فى موضع الحال ، إما من الضمير فى (طاويا) ، وإما من الضمير فى (غدا) إن جعلتها تامة ، (هافيا) أى شديد العدو من شدة الجوع ، كأنه يطير ، من هفى الطائر ، إذا طار ، وقيل : من هفى إذا ذهب يمينا وشمالا ، وهو حال من الضمير فى (يستعرض) ، (يخوت) بالخاء المعجمة ، والتاء المثناة فوق أى : يُسمع صوت

القضاضة ، من (خات البازى) إذا انقض على الصيد ليأخذه ، وقيل من (خات الذئب) الشاة : إذا اختلسها ، (بأذناب الشعاب) : أى أواخرها ، و (الشعاب) : مسايل صغار بين الجبال ، و (الباء) ههنا بمعنى (فى) ، وهو ظرف لـ (يخوت) و (يعسل) بالعين والسين المهملتين ، أى : يمر مرّاً سريعاً ، ومنه رمح عسال ، إذا تتابع عند الهز ، فى سهولة ، وجملة (يعسل) معطوفة على جملة (يخوت) .

٢٨ ــ فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ
دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

الزمخشرى : (اللى) المطل والدفع ، قال ذو الرمة :

تطيــلين ليَّــانى وأنت مليَّـــة وأحسن ياذات الوشاح التقاضيا

(وأمَّه) : قصده ، ومعناه : أنه لما طلب القوت فى مكان دفعه القوت عنه ، وتعذر عليه حصوله من ذلك المكان ، وقد يجوز بقوله (لواه القوت) و(النظائر) : الأشباه والأمثال ، و (النُّحَّل) : المهازيل ، يريد أنه لما عز عليه القوت طلبه عند غيره ، فوجد حاله كحاله فى الهزال من الجوع ، و (لما) هى المزيدة عليها (ما) ، وعند التركيب حدث لها معنى لم يكن عند الإفراد ، وهذا أصل فى كل شيئين ينفرد أحدهما ، بمعنى يغاير معنى الآخر عند الانفراد ، فإذا ركبا حصل ؛ أى حدث للمركب معنى لم يكن ، فإذا وليها المستقبل جزمته ، وكانت حرفاً ، وإن تعقبها الماضى كانت ظرفا ، واقتضت جوابا ، كقوله عز من قائل :

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾
﴿ ولما جاء أمرنا وفار التنور ﴾

ونظائره كثيرة فى الكتاب العزيز ، و (لواه) : فى موضع جر بإضافة (لما) إليه ، و (من) : لابتداء غاية المكان ، أى ذلك المكان ابتداء غاية المطل والدفع

منه ، وهى متعلقة (بلواه) ، وأما (حيث) فيكون ظرف مكان ، وظرف زمان ، كقول طرفه بن العبد :

للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه

يريد مدة حياته وهى مبهمة يبينها ما بعدها ، ولتوغلها فى الإبهام لم يقع بعدها مفرد غالبا ، لأن المفرد لا يبينها ، ألا ترى إنك لو قلت : قمت حيث قيام ، أو جلست حيث الجلوس ، لم ينكشف معناها فلذلك أوقعوا بعدها الجملة ، لأن الجملة واضحة بنفسها غير مفتقره إلى موضح ، فأوضحت معنى (حيث) فتقول على هذا : قمت حيث زيد قائم ، وجلست حيث جلس زيد ، وبنيت على الضم فى أجود لغاتها لنقصانها ، لأنها لا تكون جملة توضحها ، فإذا أشبهت الذى ، وحرك آخرها لئلا يلتقى ساكنان ، وضمت لشبهها (بِقَبل وبعد) فى وقوعها على كل الجهات ، وأبعاضها ، فألحقت بهما ، وقيل لما استعملت فى الزمان والمكان عوضت بالضم تنبيها على قوتها فإن حقها الإعراب ، و (أمَّه) : فى موضع جر بإضافته إلى (حيث) وهى هنا ظرف مكان ، و (دعا) : جواب (لما) : وهى الناصب لها ، و (نظائر) : فاعل (أجابته) ، والواحدة (نظيرة) و (نُحَّل) : صفة لـ (نظائر) ، وهى جمع (ناحل) ، والفعل منه (نَحَل) بفتح الحاء ، وفيه لغة بكسرها ، والأولى أفصح ، و (نظائر) : غير منصرفة ، لكونها جمعاً ، ولا نظير له فى الآحاد قائم مقامه .

المبرد : (لواه) : دفعه ، يقال (لويت الرجل عن حاجته ليًّا وليَّانا) إذا صرفته عنها (فأم) قصد ، يقال (أمَّهُ) ، و (ائمّه) بمعنى واحد ، و (النظائر) : جمع نظيرة كعجيبة وعجائب ، وكبيرة وكبائر ، وإنما يعنى السلق ، وهن إناث الخيل ، الواحدة سلقة ، فإذا أراد الذكور لم يجز عندنا ، إلا إذا اضطر الشاعر كما قال الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

ففعائل عندنا من جمع المؤنث ، وإنما جاء فى المذكر فى غير الضرورة أشياء معدودة ليس هذا موضع شرحها ، و (نحل) : ضوامر ، يقال (نَحُل جسم فلان) ، فمن قال (نَحَل) فقد غلط .

العكبرى : (لواه) : دفعه ، و (أمّه) : قصده ، و (نُحَّل) : ضوامر ، يقال : (نَحَلَ جسم فلان) ، ومن قال : (نَحِلَ) : فهو غلط .

(لما) : ظرف زمان له جواب ، وجوابه هو العامل فيه ، وهو هنا (دعا) و (مِنْ) : تتعلق بـ (لواه) ، وهى لا بتداء غاية المكان ، أى صرفه من هذا المكان ، ولواه وما يتعلق به فى موضع جر بإضافة (لما) إليه ، وموضع (أمَّهُ) جَرٌّ بإضافة (حيث) إليه ، و (نظائر) : فاعل أجابته وهو جمع (نظيرة) ، وجمعه فى المؤنث على نظائر ، مثل : كريمة وكرائم و (نُحَّل) : نعت لـ (نظائر) ، واحدهم : (ناحل) ، مثل : صائم وصُوَّم ، والفعل منه : (نَحَل) ، بفتح الحاء لا غير ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ابن زاكور : (لويت فلانا) : مطلته بحقه ، وهو هنا استعارة لعدم وجدان الذئب القوت فى المحل الذى أمه : أى قصده ، ولما لم يجد ذلك عوى من خيبته فى مطلبه ، فأجابته (نظائر) أى : أشباه له فى حاله من الجوع ، ومن طلب القوت على الحال الذى وصف (ناحلة) مهزولة من أجل ذلك .

عطاء الله : (فلما) هو ظرف بمعنى (حين) ؛ ضمن معنى الشرط ، يليه فعل ماض لفظا أو معنى خافض لشرطه ، منصوب بجوابه كإذا ، وقيل هو حرف كان (لواه القوت) أى : مطله ومنعه حصول نفسه ، والضمير فى (لواه) يعود إلى (أَزَل) ، (من حيث أمه) أى : من المكان الذى قصده فيه والظرف متعلق بـ (لوى) ، و (مِنْ) لابتداء الغاية ، و (جملة أمه) فى محل جر بإضافته إلى (حيث) وهذا من الأماكن التى خرجت فيها (حيث) عن الظرفية المكانية ، ومثله

قوله تعالى :

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾

أى المكان الذى يجعله فيه الرسالة من الأنبياء ، وفاعل (أَمَّهُ) : ضمير يعود إلى (أزل) ، ومفعوله ضمير يعود إلى (القوت)، (دعا) أى : صاح ذلك الأزل تأسفا على فقد القوت من المكان الذى قصده فيه ، و (لوى) : فعل الشرط ، وجوابه (دعا) ، (فأجابت) أى : صاحت ثانيا ، مثل ما صاح أولا ، فكان صياحه دعاء لها ، وكان صياحها إجابة له ، (نظائر) : أى ذئاب تماثله فى صفته المشروحة ، و (النظائر) جمع (نظير) على أن يكون صفة لإناث الذئاب ، كعجيبة وعجائب ، لا لذكورهم ، لأن (فعائل) كـ (فواعل) لا يقع جمعا لصفة المذكر إلا فى الضرورة ، (نُحَّل) أى : ضوامر ، جمع (ناحل) ، يقال (فلان ناحل الجسم) أى : منهوكه ، والفعل منه (نَحَل) بالفتح لا غير .

٢٩ ــ مُهَلْهَلَةٌ شِيْبٌ الوُجُوهِ كَأَنَّهاَ
قِدَاحٌ بِكَفَّــىْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَــلُ

الزمخشرى : (مهلهلة) : رقيقة اللحم ، يقال (هلهل النساج الثوب) إذا أرقَّ نسجه ، وخففه ، وشعر (هلهل) أى : رقيق ، وقيل إنما سمى امرؤ القيس بن ربيعة أخو كليب بن وائل مهلهلا لأنه أول من أرقّ الشعر ، و (الهاء) الثانية فيه زائدة ، وكل ذلك تشبيه بالهلال لرقته وضمره ، و (الشيب) جمع (أشيب وشيباء) مأخوذ من (شاب) إذا ابيضَّ ، و (القداح) : جمع : قدح ، وهو السهم قبل أن يراش ، ويركب عليه نصله ، و (الياسر) : المقامر بالأزلام و (الميسر) قمار العرب ، و (تتقلقل) : تتحرك وتضطرب ، والمعنى :

أنه لما دعا أجابته النظائر على هذا الحال ، فلشدة حالها تمشى مضطربة ، و

(مهلهلة) : صفة لـ (نظائر) ، و (شيب) لها نعت والإضافة هنا غير محضة ، وهى من باب الحسن الوجه ، والتقدير شيب وجوهها ، وكأنها يجوز أن يكون صفة أيضا لما قبلها ، و (بكفى ياسر) يجوز أن يكون صفة لـ (قداح) : أى ثابتة له ، ويجوز أن يتعلق بـ (تتقلقل) : أى تتحرك بكفى ياسر ، و (تتقلقل) إن جعلته بالتاء كان نعتا لـ (القداح) ، ويجوز أن يكون حالا من (قداح) لأنها قد وصفت بقوله بـ (كفى) وإن جعلته بالياء كان صفة لـ (ياسر) أى : ياسر مضطرب .

(فصل فى مسألة حسن الوجه)

اعلم حرسك الله من الآفات ، أن هذه المسألة ، وما يتفرع عنها ، أشبهت اسم الفاعل فى معمولها، وليست جارية على الفعل ، ولا معدولة عن الجارى ، ولا كاسم الفاعل فيما له معنى الفعل ، وفى جريانه عليه ، ألا ترى : إنك إذا قلت هذا ضارب زيدا ، فان : (ضارب) فى معنى يضرب وجار عليه ، وليس كذلك حسن الوجه ليس معناه حسن وجهه لا حالا ، ولا مآلا كما كان معنى ضارب يضرب ، ولا هو جار عليه إلا أنه حصل له شبه باسم الفعل من أوجه منها ، إنه يذكر ويؤنث ، تقول : مررت برجل كريم ، وامرأة كريمة ، وصعب وصعبة ويثنى ويجمع ، تقول : مررت برجلين حسنين ، وبرجال حسنين ، وبامرأة حسنة وحسنتين وحسنات كما تقول : بقائم وقائمة ، وقائمات ، وقائمين ، وضارب وضاربة وضاربات وضاربين ، فعمل لذلك ، فكل ما جاز فيه هذا جاز أن يرفع الظاهر والمضمر ، وينصب السببىّ مثاله : زيد حسن وجهه ، وحسن وجهها ، وما لم يحصل له هذا الشبه مما لا يثنى ولا يجمع ، فإنه يرفع المضمر دون المظهر ، وهو خير وشر ، وتنقص هذه الصفات عن اسم الفاعل بأربعة أشياء (منها) :

أن تعمل فى السببىّ دون الأجنبى الذى لا علاقة بينه وبين ما اتصف بها ولا سبب (*) ، وتعمل أيضا فيما فيه ضمير يعود إلى ما اتصف به ، مثال ذلك : مررت

(*) قال ابن عقيل : لا تعمل الصفة المشبهة إلا فى سببى نحو : زيد حسن وجهه ، ولا تعمل فى أجنبى ، فلا تقول : زيد حسن عمراً ، واسم الفاعل يعمل فى السببى والأجنبى نحو : زيد ضارب غلامه ، وضارب عمراً .

برجل حسن وجهه وكريم أبوه ، وشديد بطشه ، فترفع بها على نحو ارتفاع الذى اسم الفاعل به كقولك زيد قائم غلامه فلما حصل لهذه الصفات شبه باسم الفاعل بالرفع ، شبهت به فى النَّصْب فقلت : هذا الرجل الحسن الوجه بنصب الوجه ، كما تقول : هذا الضارب الوجه ، وكذلك فى الجر تقول هذا الحسن الوجه بالجر كما تقول : هذا الضارب الرجل بالجر ، (ومنها) : أنها تعمل فى الحال دون الاستقبال ، (ومنها) أن معمولها لا يتقدم عليها ، (ومنها) عدم جريانها على الأفعال ، وكل ذلك مما يتبين به ضعفها عن اسم الفاعل ، وأما الأوجه التى تجوز فى هذا الباب فتترتب مسائل .

(المسألة الأولى)

مررت برجل حسن الوجه ، ففى هذه المسألة أوجه ثلاثة :

جر على الإضافة وهو أقواها ، لأنه لا يحتاج معه إلى تكلف اضمار ، ولا تشبيه بمفعول وهو أخف من الرفع والنصب ، لأن النصب مشبه بالمفعول وليس مفعولا حقيقة ، لأن حسن لا يتعدى ، والرفع فيه تكلف ، لأنه إما أن يكون محمولا على البدل من الضمير فى حسن بدل البعض من الكل أو مرتفعا بحسن على أنه فاعل ، وتضمر عائدا على الرجل ، يكون رابطا بين الصفة ، والموصوف ، ولا يحتاج فى الإضافة إلى شىء من ذلك ، وعلى هذا الوجه قد أضفت حسن إلى الوجه ، وفى حسن ضمير ، هو فاعل ، وبطل رفع الوجه بحسن بأن الفعل لا يكون له فاعلان ، وكان الوجه أن تقول : مررت برجل حسن وجهه فيكون الوجه مضافا إلى الضمير العائد على الرجل ومعرفاً به ، فلما أسقطت الضمير ، وجئت بالألف واللام فى الوجه ، أبدلت التعريف بالإضافة بالتعريف بالألف واللام .

(الوجه الثانى من وجوه هذه المسألة) مررت برجل حسن الوجه ، تنون الصفة

وتنصب الوجه على أنه مشبه بالمفعول ، وقيل على التمييز ، واحتج سيبويه على النصب ـــ بقول النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ويمسك بعده بذناب عيس أجب الظهر ليس له سنام

فنصب الظهر بأجب ، ولم ينون لأنه غير منصرف ، ويجوز فى يمسك الجزم عطفا على يهلك الثانية ، والرفع على الاستئناف والنصب على الجمع أى : تجتمع لنا هذه الخصال ، (والواو) : واو الجمع .

(الوجه الثالث من وجوه هذه المسألة) : تنوين حسن ، ورفع الوجه ، وفيه مذاهب ثلاثة : أحدها أن الوجه (فاعل) والعائد محذوف ، والتقدير (برجل حسن الوجه منه) وحذفته للعلم به ، كما حذف فى قوله تعالى :

﴿ فإن الجنة هى المأوى ﴾

أى له ، ومثل هذا حذف العائد من الصلة ، ونظائره كثيره ، وعلى هذا يرفع الظهر فى البيت المتقدم ، وقال الفراء : الكلام فى الوجه بدل من الإضافة ، يعنى الهاء ، لأن الأصل (وجهه) ، فاللام بدل من هذه الهاء ، فاستغنى عن تقدير عائد عن الموصوف ، وعليه حمل قوله عز من قائل :

﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾

أى أبوابها ، (أو) منها ، فالألف واللام بدل من الهاء ، ولا تقدر عائدا على الموصوف وكذلك قوله تعالى :

﴿ هى المأوى ﴾

أى : مأواه ، قال : وكذلك قول الشاعر :

ما ولدتنى حية بنت مالك سفاحا ، وما قولى أحاديث كاذب
وإنا نرى أقدامنا فى نعالهم وأنفسنا بين اللحى والحواجب

والتقدير (بين لحاهم وحواجبهم) ، ولا يصح ما ذهب إليه الفراء بقوله : إن الألف واللام بدل من الإضافة ، ولا يستقيم إذ لو كان كذلك لكان الألف واللام فى معنى الأفضل[1] لأن البدل ما كان فى معنى المبدل ، والهاء والألف واللام مختلفتان ، ولأنهما لو كانا بدلا لاستمرتا ، ذلك إذ لا تجد فرقا بين هذا الموضع وغيره ، وليس كذلك ، ألا ترى أنك لو قلت : زيد الغلام حسن ، وأنت تريد الغلام لم يجز ، وأما قوله تعالى :

﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾

فتقديره منها ، وكذلك (فإن الجنة هى المأوى) : أى لهم : وكذلك التقدير فى الشعر (أى بين اللحى والحواجب منهم) قال أبو على : لم يستحسنوا مررت برجل حسن الوجه ، ولا بامرأة حسنة الوجه ، لا حتياجهم إلى تقدير منه أو منها ، إذ الصفة تفتقر إلى مذكور يعود على الموصوف منها ومعنى كلامه : إن الحذف من الصفة مستقبح ، بخلاف الحذف من الصلة لأن الكلام طال بالصلة أو الموصول ، وهما كاسم واحد ، وليس كذلك الموصوف مع الصفة ، لأن الموصوف قد يحذف ويستغنى بالصفة بخلاف الصلة مع الموصول ، وأما (مفتحة لهم الأبواب) فليس على تقدير منها ولا على ما ذهب إليه الفراء ، بل على أن الأبواب بدل من الضمير فى (مفتحة) ، وهذا الكلام فيما إذا كان الوجه منفرداً معرفا بالألف واللام ، فأما إذا كانت الصفة ، والوجه منفردين غير معرفين ، ففيه ثلاثة أوجه (**الوجه الأول**) : وهو : مررت برجل حسن وجه ، حذف التنوين من حسن وجر ما بعده على الإضافة ، قال سيبويه : وادخال الألف واللام على الوجه أولى لأن معناه حسن وجهه ، فكما أن وجهه معرفة ، كان الأحسن هناك أن يكون معرفة ومثله حديث عهد[2] بالوضع ، وكل عربىّ أعنى التنوين فى الوجه ، وإدخال الألف واللام عليه ،

---

(١) قوله فى معنى الأفضل أى : الأعلى فى رتب المعارف ، وذلك لأن أعرفها بعد لفظ الجلاله الضمير ، ثم العلم ، ثم اسم الإشارة ، ثم الموصول ، ثم المحل بأل والمضاف إلى الضمير فى رتبته أو فى رتبة العلم .

(٢) قوله : ومثله حديث عهد : أى جديد الوضع .

والإضافة فى حسن وجهه مثل الإضافة عند إدخال الألف واللام على الوجه ، لأنها لا تفيد تعريفا ، لأنها ليست محضة .

(**الوجه الثانى من وجوه هذه المسألة**) : مررت برجل حسن وجها بتنوين حسن ، ونصب الوجه ، والعائد محذوف وهو الضمير الذى فى الوجه ، الذى تقديره وجهه ، ولم يعوض عن تعريف الإضافة ، تعريف الألف واللام لأنه معلوم إنك لم تُرد إلا وجه المذكور ، ونصبه على التشبيه بالمفعول كما تقول : مررت برجل مادح زيدا ، وقيل على التمييز وهو أولى ، قال الشاعر : « شنباء أنيابا » ، و (الشنب عذوبة الأسنان) وتقديره : (عذبة أنيابا) ، وإنما لم ينون (شنباء) لأنه غير منصرف

(**الوجه الثالث من وجوه هذه المسألة**) :مررت برجل حسن وجه برفع وجه ، وتنوين حسن ووجهه مع بعده من حيث أنه لا عائد فيه ، ولاما يسد مسد العائد أنه بدل من الضمير فى حسن والنكرة قد تبدل من المعرفة .

(المسألة الثانية والثالثة)

إذا كان حسن نكرة والوجه مضافا إلى ضمير الموصوف ، كقولك : مررت برجل حسنٍ وجهه ، ففيه المذاهب الثلاثة الأول جر الوجه ، ونصبه ورفعه فالجر على الإضافة عند سيبويه ، واحتج بقول الشماخ :

أمن دمنتين عرَّس الركب فيهما بحقل الرخامى قد عفا طللاهما
أقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وموضع الشاهد أنه وصف (جارتا صفا) بقوله : (كميتا الأعالى) ثم وصفه بقوله : (جونتا مصطلاهما) ، وقد أضاف (الجونتين) إلى (المصطلى) المضاف إلى ضمير الجارتين ، قال سيبويه : هو مثل حسنة وجهها ، لأن جونتا مصطلاهما قد تكرر فيه الضمير فى المثالين ، وحسنة فيه ضمير ، وفى وجهها أيضا ، وجارتا صفا يريد : اثنتين أسندتا إلى جبل لتثبت القدر عليهما فاسود أسفلهما من النار ، وأكملت أعلامهما ، وهو سواد يخلطه حمرة ، والجون الأسود ، قال الخليل : وصغر

كميت لأنه لم يكمل له حمرة ولا سواد ، قال أبو العباس وجماعة من النحاة : الضمير راجع إلى الأعالى ، والأعالى بمعنى الأعلين ، قالوا : ولفظ الجمع إذا أريد به الاثنان جاز أن يعود الضمير مثنى على المعنى ، قالوا :

ومن ذلك قول عنترة الشاعر :

متى ما تلقنى فردين ترتجف روانف اليتيك وتستطارا

وتستطارا تثنية وحذف النون لأنه معطوف على ترجف ، لأنه مجزوم كما تقول : لم يستمالا ، فرد الضمير فى تستطارا إلى الروانف ، ومعلوم أنه ليس للإنسان إلا رانفتان ، قالوا : وإنما وضع الجمع موضع التثنية للعلم به ومثله ما ذكره أبو عبيدة :

بنيتى غمك لا تنساهما جاريتان زعمت إماهما
مليحتا العينان برحاواهما حسنتا الشعور جعدتاهما

فرد ضمير الجعدتين إلى الشعور ، وإنما هو شعران ، ومن حجتهم أيضا لأنه يفضى إلى إضافة الشىء إلى نفسه ، وما ذكروه غير مستقيم لأن عود الضمير المثنى إلى التثنية أولى من رده إلى الأعالى ، التى هى جمع ، وتأولها بالتثنية تكلف لا حاجة إليه ، والإضافة ههنا فى نية الانفصال ، وليس هذا من إضافة الشىء إلى نفسه ، لأن الحسن للوجه ، والهاء ليست للوجه وإنما هى محصلة للتعريف كتحصيل الألف واللام له ، وأنشد على جوازه أبو حية ، يقول :

على أننى مطروف عينيه كلما تصدى من البيض الحسان قبيل

(فمطروف عينيه) مثل : حسن وجهه ، يقول : إذا رأيت هذا القبيل بكيت كأن عينىّ أصابتهما طرفه ، وأما النصب فعلى التشبيه بالمفعول كنصبك له وفيه الألف واللام ، وحكى عن أبى على أن نصبه على التمييز ، قال : هو بمنزلة حسنة وجهها ، ولا يمنع التعريف من نصبه على التمييز ، لأن التعريف هنا لا يفيد شيئا فهو بمنزلة تعريف الأجناس ؛ كالعسل والماء والتراب ومن شواهد هذا الوجه ما أنشده أبو عمرو

الزاهد :

أنـــعتها أنى مـــن نعـــاتها مـــدارة الأخفـــاف مجمـــراتها
غـــلب الذفـــارى وعفرنيـــاتها كـــوم الـــذرى وادفـــة سراتها

فقوله وادفه سراتها مثل حسنة وجهها ، قاله أبو علىّ ، ومعنى وادفة سراتها أن بطونها قد اندلعت لكثرة شحمها أى دنت لأنها عند سمنها تخرج سراتها ، وخف مجمر أى : صلب ، والعفرنيات شعر العرف ، وذكر الجوهرى أن العفرنيات واحدها : عفرناة ، وهى الناقة القوية ، وأما الرفع فهو أقواها وأسدها لأنه لا حذف معه ، و لا تكلف ، ولأن الوجه الذى هو حسن فى المعنى ، فنسبت ذلك المعنى إليه ورفعته .

(المسألة الرابعة من أصل الباب)

إذا كانت الصفة والوجه معرفين بالألف واللام نحو : مررت بالحسن الوجه ، ففيه أيضا المذاهب الثلاثة : الجر ، والنصب ، والرفع قال سيبويه : ليس فى العربية مضاف دخلت الألف واللام عليه إلا المضاف إلى المعرفة فى هذا الباب نحو قولك : الحسن الوجه ، وإنما كان كذلك لأن الإضافة هنا غير معرفة ، لأنها ليست محضة ، وإنما هى فى تقدير الانفصال ، ولما كان الموصوف معرفا ، ويلزم أن تكون صفته مثله ، و لم تكسبه هذه الإضافة تعريفا ، جاز أن تعرف بالألف واللام ، وهى إضافة لفظية ، وصار بمنزلة قولك : هذا الضارب الرجل فيمن جر بالإضافة ، وأما النصب فعلى التشبيه بالمفعول من قولك : الضارب الرجل فيمن نصب بالضارب ، وقيل التقدير بحسن الوجه ، ثم أدخلت الألف واللام معاقبة للتنوين ، فقلت : بالحسن الوجه بنصب الوجه ، فصار بمنزلة الضارب الرجل بنصب الرجل ، وإذا جررت بالإضافة هنا كان مثل حسن الوجه بالإضافة ، فلما تماثلا فى الجر ، كان الحسن الوجه منصوبا تشبيها بالضارب الرجل ، فإذا جررت بالحسن الوجه جررت على ما حملته على الضارب الرجل فى الجر ، فصار كجر الضارب الرجل وأنشد الحارث بن ظالم فى

النصـــب :

فما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

نصب الرقاب بالشعر ، وتقديره الشعر رقابهم ، ثم نقل الضمير إلى الشعر ونصب الرقاب ، وهكذا فى الحسن الوجه ، تقديره الحسن وجهه ، ثم نقل الضمير إلى الحسن ، ونصب الوجه ، وعلى هذا كل موضع رفعت الاسم بالصفة ، أخليت الصفة عن ضمير لرفعها الظاهر ، فلو ثنيت وجمعت لأفردت الصفة ، وكل موضع نصبت أو جررت ففى الصفة ضمير يظهر دليله فى التثنية ، والجمع مع المذكر والمؤنث ، وأما الرفع فعلى أنه فاعل على ما تقدم .

(المسألة الخامسة من أصل الباب)

إذا كانت الصفة بالألف واللام والوجه معرفا بضمير الموصوف كقولك :

مررت بالرجل الحسن وجهه ، فالرفع والنصب جائزان ، وتوجيههما ظاهر ، قد ذكر فى غير موضع ، وأما الجر فممتنع ، لأن إضافة ما فيه الألف واللام ممتنعة إلا أنها جازت فى هذا الباب ، إذا كان المضاف إليه فيه الألف واللام لما بين التعريفين من المشابهة ، والتعريفان هنا مختلفان .

(المسألة السادسة من أصل الباب)

إذا كانت الصفة معرفة بالألف واللام ، والوجه نكرة نحو :

مررت بالرجل الحسن وجه ، فالرفع والنصب جائزان ، والجر ممتنع ، لأن الاسم لا يكون فى حال واحدة معرفة من كل وجه ، ومنكرا من كل ذلك ، وذلك أن الألف واللام لما دخلت الصفة كانت مؤذنة بتعريفها ، فإذا أضفتها ، إلى وجه ،

وهو نكرة فقد سلبت الاسم تعريفه ، فتحقق الآن أن جملة ما تشتمل عليه هذه المسائل من الوجوه الجائزة ستة عشر وجها و الممتنع وجهان .

المبرد : ويروى (حواها ياسر يتقلقل) ، (المهللة) : الدقيقه الجسم كأنها أهلَّة فى الدقة ، (والمهللة) فى غير هذا الموضع الذين يحيدون عن الحرب ، ويجبنون ، يقال : (هلل الرجل) إذا جبن ، كما قال النكرىّ :

وهم علّوا الرماح فأنهلوها إذا حام المهللة البروق

(والياسر ، واليسر) الذى يضرب بالقداح والبروق الذى يبرق بكلامه ولا فعل عنده .

(١٤٢)

العكبرى : (مهللة) : رقيقة اللحم ، و (الياسر) : الذى يضرب بالقداح (مهللة) : نعت لما قبله ، و (شيب) : كذلك ، فإضافته غير محضة ، فلذلك لا يتعرف بالإضافة ، و (الشيب) : جمع شيباء وأشيب ، مثل : حمر جمع حمراء وأحمر ، و (كأنها) ، وما فى حيزها : صفة ثالثة لما قبلها ، (وبأيدى) : معلقة بصفة محذوفة ، و (قداح) ، ويجوز أن تتعلق بـ (تتقلقل) : أى : تتحرك بكفيه فتتقلقل . ، (وتتقلقل) بالتاء نعت لـ (قداح) ، وبالياء نعت لـ (ياسر) . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ابن زاكور : (المهللة) : التى تشبه الهلال ، وهذا استعمال غريب مخل بفصاحة الكلمة إذ لم يعهد استعمال فعل بالتشديد فى التشبيه ، ونظير (مهللة) هنا(مسرَّج) فى قول العجاج :

(وفاحما ومرسنا مسرجا)

أى كالسيف السريجى فى الدقة والاستواء ، أو كالسراج فى البريق واللمعان و (الشيب) : جمع شيب ، وهو هنا المتغير لون الوجه على سبيل الاستعارة و

(القداح) جمع (قِدح) بالكسر ، وهو (السهم) قبل أن يراش ، و (تقلقل القداح) : تحريكها واضطرابها ، ومن لازم ذلك تصويتها ، و (الياسر) : الذى يجيلها ويفرقها فعله يسر بالفتح ، ييسر بالكسر : والمعنى على تشبيه الذئاب العاوية الضامرة من الجوع بقداح الميسر المصوتة عند اضطرابها فى كف المفيض وهو الياسر ، فقوله : (تتقلقل) لا يتم المعنى بدونه ، و (مهللة) بالرفع من صفات النظائر .

عطاء الله : (مهللة) : أى دقيقة الجسم كأنها أهلة ، و (المهللة) فى غير هذا الموضع الذين يجبنون عن القتال ، ومنه قول كعب بن زهير (رضى الله عنه) فى مدح المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لا يوقع الطعن إلا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

أى جبن وتأخر . (شيب الوجوه) ، ويروى (شيب) كأن وجوهها ، و (شيب) جمع أشيب وشيباء مثل (حمر لأحمر وحمراء) ووجوه الذئاب ترى كأنها (شيب) سيما فى حالة المجاعة ، وإضافة (شيب) إلى (الوجوه) من إضافة الصفة إلى مرفوعها إضافة لفظية ، فلذا صح جعله نعتا لـ (نظائر) ، و (كأنها) أى تلك النظائر فى نحافتها ، وضمرها ، (قداح) : جمع (قِدْح) بكسر القاف ، وإسكان الدال المهملة ، وهو : سهم صغير لا نصل فيه ولا ريش ، ويجمع فى الكثرة على (قداح) ، ويجمع فى القلة على (أقداح) ، وأراد بها قداح الميسر ، (بكفى ياسر) وهو الذى (يضرب بالقداح) ، ويقال له (يسر) أيضا بفتح أوله ، والأول جار على لفظ فعله دون الثانى ، والظرف نعت لـ (قداح) ، ويجوز أن يتعلق بقوله (تتقلقل) أى تضطرب وتتحرك ، و (جملة تتقلقل) نعت لـ (قداح)

٣٠ ــ أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ
مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

الزمخشرى : (الْخَشْرم) : رئيس النحل ، و (الخشرم) : بيت الزنانير ،

و (الخشرم) النحل ، فعلى هذا الوجه ، لا واحد له من لفظه ، و (المبعوث) الذى انبعث فى السير أى : أسرع ، و (حثحث) أى : حض وطلب منه الإسراع و (الدبر) : جماعة النحل ، قال الأصمعى : لا واحد له ، ويجمع على (دبور) ، ويقال للزنانير أيضا (دبر) ، ومنه قيل لعاصم بن ثابت الأنصارى ــ رضى الله عنه ــ حمى الدبر ، وذلك أن المشركين لما قتلوه ، أرادوا أن يمثلوا به ، فسلط الله عليهم الزنابير الكبار ، تأبر الدارع أى تضرب المتدرع بإبرتها فارتدعوا عنه ، حتى أخذه المسلمون فدفنوه ، و (المحابض) ، و (المحابيض) : المشاور ، وهى عيدان مشتار العسل واحدها (محبض) ، و (أرداهن) بمعنى : أنزلهن ، و (سام) : مرتفع عال ، و (معسل) أى طالب العسل ، و (الخشرم) : معطوف على (قداح) ، وعطف (الخشرم) وإن كان معرفة على (قداح) لأن (قداح) قد وصف : إما : (بكفى) أو (بتقلقل) ، وأيضا فإن عطف الجملة على الجملة لا يشترط فيه التساوى فى التعريف والتنكير ، و (المبعوث) : صفة (الخشرم) ، و (حثحث) : حال من الضمير فى (المبعوث) ، وهى حال مقارنة ، وإنما جعل حالا من الضمير فى (المبعوث) ، لأن الضمير معمول (للمبعوث) ، ويجب أن يكون العامل فى الحال العامل فى صاحبها ، و (المبعوث) صالح للعمل ، فإن جعلته حالا من (الخشرم) كان العامل فيها كأنها فى البيت قبله ، و (محابيض) فاعل (حثحث) ، وقيل واحد (محابيض) : محبض ، فلما أشبع الكسرة ، وكان الأصل (محابض) نشأ من كسرة الباء (ياء) ، فقيل (محابيض) ، و (أرداهن) نعت لـ (محابيض) و (سام) فاعل (أرداهن) ، و (معسل) : صفة له .(١٤٤)

المبرد : (الخشرم) رئيس النحل ، سمى به الرجل (خشرما) ، (حثحث) حرك وأزعج ، وهو بمعنى : حث ، وليس بمبنىّ عليه ، ولو كان كذلك لقيل (حثت) ، وهو كقولهم : لآل من اللؤلؤ ، (والدبر) : النحل الواحدة (دبرة) ، و (محابيض) جمع (محبض) وهو : العود يكون مع مشتار العسل يثير به النحل ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه اضطر ، وذلك أنه أراد أن يقول (محابض) ، فأشبع الكسرة فصارت ياء للضرورة .

والآخر : يلزمه ضرورة لأنه يبنيه على (محابض) فصير الجمع (محابيض) كقولك : (مفتاح) و (مفاتيح) والأصل (مفتح) ، و (رداهن) و (أرداهن) واحد مثل : (كرمته) و (أكرمته) ، و (حسبته) و (أحسبته) وما أشبهه وإنما يرجع إلى النحل كأنه (حثحث دبره) الذى (أرداهن) سام معسل فى المعنى ، ولم يضمر التى ، هكذا قرأناه ، ورويته من وجه آخر (أرداهن) يعنى (العيدان) إذا جاء بهن إلى (الكوارة) وهو موضع النحل ، و (السامى) الذى (يسمو) لطلب العسل ، ومن شأن النحل أن يعسل فى الموضع الممتنع الصعب ، و (المحابض) أيضا جمع (محبض) ، وهو (الخشبة) يستخرج بها العسل .

العكبرى : (الخشرم) : رئيس النحل ، و (حثحث) : حرَّك وأزعج ، و (الدَّبْر) : النحل ، و (المحابيض) : جمع (محبض) ، وهو العود مع مشتار العسل ، و (السامى) : الذى يسمو لطلب العسل .

و(الخشرم) : هو معطوف على (القداح) ، وجاز عطف المعرفة على النكرة لوجهين :

أحدهما : أنه أراد (بالخشرم) الجنس إبهاما ، و (قدح) وإن كان نكرة فقد وصف ، فقرب بذلك من المعرفة .

والآخر : أن عطف الجائز ، وإن اختلفا فى التعريف والتنكير .

و (حثحث) : فى موضع الحال من الضمير فى « المبعوث » ، و « محابيض » : فاعل (حثحث) ، وهو جمع (محباض) ، فالياء مبدلة من الألف ، وقيل : الواحد (محبض) ، و (أرداهن) : نعت لـ (محابيض) ، و (سام) : فاعل (أرداهن) ، و (معسل) : نعت له . والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (الخشرم) بالخاء والشين المعجمتين : النحل والزنابير ، واحدته بهاء ، و (المبعوث) : الذى هيج من محله ، و (الدَّبْر) بالفتح (جماعة النحل والزنابير) ، وبكسر الدال من (الدِّبر) أيضا فيهما ، والأليق بالنظر إلى (الدبر) أن يفسر (الخشرم) : بمأوى النحل هنا ، أو بأميرها ، وهما من معانى (الخشرم) أيضا ، و (حثحثة) الدبر : تحريكه بالمحابيض بالضاد المعجمة جمع (محبض) بزنة (مِنْبر) ، وهو عود يشار به العسل ، ويطرد به (الدبر) وإرساء المحابيض إثباتها ، و (السام) : المعسل المرتقى لطلب العسل كالمستعسل ، فـ (الخشرم) معطوف على (قداح) : والمعنى : على تشبيه الذئاب النُّحل فى حالة عوائها (بأمير النحل) الذى حرك دبره بالأعواد المسماه (بالمحابيض) مريد عسلها ، وصوت النحل إذ ذاك متوفر ، متواتر ، وتشبيهها بالنحل (المبعوث) أدل على شدة صوتها من تشبيهها (بالقداح) المضطربة فى كفى (الياسر) .

عطاء الله : (أو الخشرم) هو بالخاء والشين المعجمتين (رئيس النحل) ، و (المبعوث) أى المهاج ، وهو معطوف على (قداح) أى كأنها الخشرم ، (حثحث) أى حث ، وليس بمبنى عليه فى اللفظ ، وإلا لقيل (حثث) لا (حثحث) ، (دَبْره) بفتح الدال وسكون الباء واحده (دبره) ، و (الدبر) : جماعة النحل (محابيض) جمع (محباض) بقلب الألف ياء ، (كمفتاح ومفاتيح) ، و (المحبض) خشبة يستخرج بها العسل من كوته ، وقيل (عود) يكون مع مشتار العسل يثير به النحل ، وجملة (حثحث) حال من الضمير فى المبعوث (أرساهن) أى : أثبتهن ، والجملة : صفة المحابيض ، (سام) أى مرتفع ، وهو فاعل (أرساهن) ، (معسل) أى طالب للعسل وهو نعت لـ (سام) .

٣١ ــ مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها
شُقُوقُ العِصِىِّ كَالِحَاتٍ وَبُسَّلُ

الزمخشرى : (المهرتة) : الواسعة الأشداق ، و (فوه) : مفتوحة الفم ، واحدها

(أفوه) ، و (فوهاء) ، و (الشدق) : جانب الفم ، و (الكلوح) تكشر فى عبوس ، و (بسل) : أى كريهة الوجوه ، (مهرتة) : يجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف ، تقديره هى ، (مهرتة) ، ويجوز أن يكون صفة لـ (النظائر) وكذلك (فوه) ، وكأن ، وما عملت فيه حال من الضمير فى (فوه) لأن معناه واسعات الفم ، ويجوز جعله نعتا لـ (نظائر) ، (كالحات وبسل) نعت أيضا أو خبر مبتدأ محذوف .

المبرد : (المهرتة) المشقوقة الفم شقا واسعا ، و (الفوة) جمع (أفوه ، وفوهاء) ، وهو الواسع الفم ، و (شدوق) جمع : شدق ، إذا أردت الجمع الكثير ، فإذا أردت القليل قلت (أشداق) و (البسل) الكريهة المرأى يقال للرجل الشجاع (باسل) من الكراهية عند القتال ، وأنشدت عن ابن الأعرابى لرجل أكل حنظلا متكرهة فقال :

شر الطعام الحنظل المبسل يبجع منه كبدى وأكسل

(المبسل) : المكره ، وهذا البيت أخذه من علقمة بن عبده ووصف الظليم :

فوه كشق العصا لأبا تبينه أسل ما يسمع الأصوات مصلوم

العكبرى : (مُهَرَّتَةٌ) : مشقوقة الفم ، و (البسل) : الكريهة المرأى والشجاع باسل ، و (مهرتة) نعت لـ (نظائر) أو خبر مبتدأ محذوف أى : هى و (فوه) واحدها (أفوه وفوهاء) ، وكأن وما عملت فيه ، فى موضع نعت أيضا ، ويجوز أن تكون الجملة حالا من الضمير فى (فوه) ، لأن معناه : واسعات الأفواه ، مشبهة شدوقها شقوق العصى ، و (كالحات وبسل): نعتان لـ (فوه) ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (المهَّرتَةُ) : الواسعة الأشداق ، و (الفوه) جمع : (أفوه وفوهاء) : للواسع الفم ، ومن تخرج أسنانه من شفتيه مع طولها ، وصفة ذلك (الفوه) بالتحريك ، و (الكالحات) : المتكسرات فى عبوس ، و (البسل) جمع

(باسل) وهو الكريه المنظر هنا : وصف الذئاب بسعة الأشداق وبروز أنيابها لطولها من شفتيها ، وبالعبوس وكراهة المنظر ، من أجل سعة أفواهها ، حتى أشبهت أشداقها شقوق العصى فى الطول مع التزاق احدى الشفتين بالأخرى .

عطاء الله : (مهرتة) بالتاء الفوقية أى (مشقوقه الفم شقا واسعا) ، وهو نعت لـ (نظائر) أو خبر لمبتدأ محذوف ، ضمير يعود إلى (النظائر) : أى هى مهرتة (فوه) جمع (أفوه) بمعنى : واسع الفم ، فاللفظان متقاربان فى المعنى ، ويجرى فيهما الوجهان الجاريان فيما قبله من الإعراب (كأن شدوقها) أى أفواهها ، وهى جمع (شدق) فى الكثرة ، ويجمع فى القله على (أشداق) (شقوق) جمع (شق) ، (عِصِيّ) بكسر أوليه ، وتشديد ثالثه ، جمع عصى و (شقوق العصى) فى غاية الاتساع ، وجملة (كان وما) عملت فيه نعت أيضا لـ (نظائر) ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (فوه) لأن معناه (واسعات الأفواه) كما مر أى مشبهة شدوقها شقوق العصى ، (كالحات) أى : عابسات ، و (بسل) أى كريهات المنظر ، وهو جمع (باسل) ، كفجر وفاجر ، و (كالحات) : نعت لـ (فوه) و (بسل) معطوف عليه .

٣٢ ــ فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاحِ كَأَنَّها
وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

الزمخشرى : يقال : (أضج القوم إضجاجا) إذا جلبوا وصاحوا ، فإذا جزعوا من شىء وغلبوا قيل ضجوا يضجون ، وسمعت ضجة القوم أى جلبتهم ، فيحتمل أن يريد هنا أنهم ، لما غلبوا على أمرهم حيث تعذر عليهم القوت صاحوا ، ويحتمل أنه لما دعاها وأجابته سمع لها جلبة ، و (البراح) الأرض الواسعة التى لا زرع فيها ولا شجر ، و (النوح) النساء النوائح ، وإنما سمى النوائح بذلك ، لأن بعضهن يقابل بعضا ، و (الثكل) اللاتى فقدن أزواجهن ، وقيل أولادهن ، واحدها ثاكل وثكلى ، و (العلياء) المكان الرفيع ، (فضج) : الضمير فيه لـ (أزل) ، وفى

ضجت لـ (النظائر) ، و (بالبراح) يجوز أن يكون حالا أى حالة إقامتها بالبراح ، ويجوز أن يكون ظرفاً أى فى ذلك الموضع ، (وكأنها وما) عملت فيه حال من الجميع أى مشبهين ، وأما (إياه) فضمير منصوب منفصل ، ولذلك يقع مقدما على العامل فيه ، كقوله عز وجل : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ ، والاسم (إيا) وما بعده من الحروف مثل (الياء والكاف) وغيرهما دالة على الخطاب والتكلم وغيرهما وذلك أن (إياه) إما أن يكون اسما بمجموع حروفه أو لا ، فإن كان اسما بمجموع حروفه ، فهو إما ظاهر أو مضمر ، وليس بظاهر لأن الظاهر لا يختلف لفظه باختلاف المتكلم والغائب والمخاطب ، وإن كان مضمراً فإما أن يكون (إيا) مضمر أو ما بعده اسم مضمر ، وهذا لا يصح لأنه يكون قد دخل مضمر على مضمر لأنه على هذا الوجه يكون مضافاً ومضافا إليه ولا يصح لأن المضمرات لا تضاف لكونها فى أقصى غاية التعريف ، وإن كان الأول مظهراً والثانى مضمراً لم يصح لأن الاسم الظاهر يقوم بنفسه ، و (إيا) لا يقوم بنفسه ويمتنع أن يكون بعده اسم مضمر ، لأن حكم المضمرات أن تكون متصلة وليست متصلة ههنا ، إذ الاتصال يكون بالفعل والاسم الظاهر وكلاهما باطل ، فتعين أن يكون الاسم المضمر (إيا) وما بعده حروف و (إيا) منصوب معطوف على الضمير فى (كأنها) و (نوح) خبر كأن ، ويجوز أن يكون مصدراً وصف به ، والتقدير (نساء نوح) ، كما يقال (صوم وفطر) و (فوق) ظرف مكان : أى كأنها تنوح فى ذلك الموضع ، وعلى قولنا إنه صفة ، يجوز أن يكون ظرفا له ، أى : تنوح فى ذلك الموضع ، و (علياء) غير منصرفة للتأنيث ولزومه لأن المراد به البقعة (وثكل) صفة لنوح .

المبرد : لم يرد له شرح

العكبرى : (البراح) : الأرض الواسعة ، و (التناوح) : التقابل ، و (العلياء) : البقعة ، (فضج) : ضمير الفاعل يعود على (أزل) ، والضمير فى (ضجت) لـ (النظائر) ، وبـ (البراح) : ظرف للفعلين جميعا ، و (إياه) :

منصوب معطوف على (الهاء) فى (كأنها) ، و (نوح) : خبر (كأن) ، وهو جمع (نائح) مثل : (تاجر ، وتجر) ، ويجوز أن يكون مصدرا وصف به ، كقولك : قومٌ صَوْمٌ ، وفطر ونحوه . ويجوز أن يكون ظرفا له ، أى كأنها (تنوح) فى ذلك الموضع . و (ثكل) : نعت لـ (نوح) ، و (كأن) وما عملت فيه : فى موضع نصب على الحال من الضمير فى (ضج وضجت) جميعا ، كما تقول : جاء زيد وعمرو كأنهما أسدان أى : مشبهين للأسدين ، أو مستأسدين أو جَرَّبَيْن .

ابن زاكور : (الضجيج) : صياح الجازع ، والمغلوب ، و (البراح) : الفضاء و (النوح) : جمع نائحة ، و (العلياء) : المكان العالى ، و (الثكل) جمع (ثاكل) ، وهى الفاقد لولدها : يقول : فصاح الذئب صياح محزون ، وصاحت معه (النظائر) النحل فى الفضاء ، فى حال كونها و (إياه) تشبه نساء فاقدات لأولادهن نائحات عليها ، فوق مكان مشرف ، وهذا الضجيج غير دعائه ، وأجابتها لأن ذاك إجابة للصوت من بعيد ، وهذا بعد الاجتماع ، ولذلك رتبه على ما تقدم بالفاء ، التى تقتضى التسبيب .

عطاء الله : (فضج) أى ضجر الأزل (وضجت) أى : النظائر (بالبراح) وهو بفتح الموحدة : المفازة الواسعة ، وهو ظرف للفعلين قبله (كأنها) أى النظائر ، و (إياه) أى الأزل ، وهو منصوب بالعطف على الضمير فى كأنها (نوح) بفتح النون جمع (نائح) ، و (نائحة) مثل : تاجر وتجر ، ويجوز أن يكون مصدراً وصف به للمبالغة كقولك قوم صوم ، وقوم فطر ، و (التناوح) فى الأصل تقابل الأشجار ، قال الأصمعى ومنه سميت النائحة لأنها تقابل صاحبتها ، وجملة كان وما عملت فيه ، فى محل نصب على الحال من الضمير فى ضج وضجت جميعا ، كما تقول جاء زيد وعمرو ، كأنهما أسدان أى مشبهين للأسد أو متأسدين أى جريئين (فوق) ظرف لـ (نوح) أى كأنها وإياه تنوح على (علياء) أى علية مرتفعة تأنيث الأعلى (ثكل) جمع ثكلى ، وهى المرأة الحزينة على فقد ولدها وهو نعت

لـ (نوح) .

٣٣ ــ وَأَغْضَى وَ أَغْضَتْ واتَّسَى واتَّسَتْ بِهِ
مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزتْهُ مُرْمِلُ

الزمخشرى : (الإغضاء) : إدناء الجفون بعضها من بعض ، ومعنى قوله (اتسى ، واتست به) ، أن كلا منهما حاله كحال الآخر ، و (المرمل) الذى نفد زاده ، و (مراميل) جمعه ، و (أغضى) و (أغضت) معطوف على (فضج) ، و (اتسى) بالتشديد : افتعل من (الأسوة) وهى (الاقتداء) والأصل أن يكون مهموزا ، فأبدلوا من الهمزة ياء للسكون ، وكسرت همزة الوصل قبلها ، ثم أبدلوا الياء (تاء) وأدغمت فى تاء الافتعال ، وقد روى بالهمزة فيهما من غير تشديد لأن همزة الوصل حذفت بحرف العطف فعادت الهمزة الأصلية إلى موضعها ، و (مراميل) فاعل (اتست) ، و (عزَّاها) صفة لـ (مراميل) كما قال ، و (عَزَّته) و الأصل فى (مراميل) مرامل ، فأشبع كسرة الميم فنشأت الياء.

المبرد : (المراميل) : جمع (مرملة) ، وهى التى لا قوت لها ، يقال : أرمل الرجل إذا لم يكن له زاد ، والجمع فى الحقيقة (مرامل) ، ولكنه أشبع الكسرة لما اضطر فصارت (ياء) ، وأراد (عزَّاها) مرامل ، وعزته ، يريد أنه لما يئس من الطعام (أغضى) فلم يضج ، وكان إغضاؤه تعزيتها عن فقد القوت ، ويقال (اتسأت) به واتسيت به ، و (ائتسأت) به ، و (ايتسى) و (ائتست) به ، أى : اتست بــه .

العكبرى : (المراميل) : الذين لا أقوات لهم ، و (أغضى ، وأغضت) مثل (فضج وضجت) ، (اتسى) بالتشديد : افتعل ، من (الأسوة) ، وهى (الاقتداء) ، وكان الأصل فيه الهمزة ، فأبدلت الهمزة (ياءً) لسكونها ، وكسره همزة الوصل قبلها ، ثم أبدلت الياء (تاءٌ) ، وأدغمت فى تاء الافتعال ويروى بالهمزة

فيهما من غير تشديد ، وهو أجود من الأول ، لأن همزة الوصل حذفت بحرف العطف ، فعادت الهمزة الأصلية إلى موضعها ، كقولك : وائتمنه ، والذى ائتمن .

و (مراميل) : مفاعيل ، فاعل (اتست) ، وعزاها : نعت لـ (مراميل) ، والتقدير : عزَّاها مرمل ، كما قال ، وعزته (مراميل) ، والأصل : (مرامل) جمع (مُرْمل)، ولكنه أشبع الكسرة ، فنشأت عنها الياء ، والله أعلم .

ابن زاكور : (أغضى) بالغين والضاد المعجمتين أدنى الجفن من الجفن ، وأغضى على الشيء : سكت عنه ، واتسا بالموحدة التحتية قبل المثناة الفوقية ، أنس ، كبسأ بزنة جعل ، وفرح وهو فى الأصل مهموز ، فسهل الهمزة ألفاً هنا ضرورة ، و (المراميل) التى نفد زادها واحدها (مرمل) (فمرامل) : فاعل : اتست ، ومرمل فاعل عَزَّاها ، يقول : فأغضى الذئب ، وأغضت الذئاب معه : أى سكتت بعد صياح مدنية لجفونها ، وأنس هو بها ، وأنست به مقفرات من الطعام صبرها ، مقفر بها مثلها وصبرته هى ، ويصح أن يكون مرامل : خبر مبتدأ محذوف أى هى مرامل ، وهو أولى لسلامته من وضع الظاهر موضع المضمر ، والله سبحانه أعلم وأولى من التقديرين أن يكون منصوبا على الحال من فاعل : اتست ، وهو ضمير الذئاب .

عطاء الله : (وأغضى) أى الأزل (وأغضت) أى (النظائر) أى صبر كل منهما على فقد القوت صبرا جميلا ، بعد كمال الجد فى تحصيله ، وأصل الإغضاء ؛ غمض العين عند حالة الصبر ، سمى به الصبر مجازا من باب تسمية الشيء باسم ما يقارنه ، (واتسى واتست به) بتشديد الموحدة ، يقال : أبسأت به ، وأبسيت أى اقتديت (كبسأت به) ، و (بسيت) ، ويروى ، و (اتسى واتست به) بالتاء المثناة فوق مع التشديد ، والأصل فيه الهمزة فأبدلت ياء) لسكونها ، وانكسار ما قبلها من همزة الوصل ، ثم أبدلت الياء (تاء) وأدغمت فى (تاء) الافتعال ، ويروى بالهمز فى الفعلين من غير تشديد ، وهو أجود مما قبله ، لأن همزة الوصل ، لما حذفت

لحرف العطف عادت الهمزة الأصلية إلى موضعها لزوال المانع (مراميل) جمع : (مُرملة) بضم الميم ، وهى : التى لا زاد معها ، وأراد بها تلك النظائر ، وهو فاعل (اتست) ، (عَزَّاها) أى عزى (الأزل المرمل) تلك (النظائر المراميل) ، أى حملها على الصبر (وعَزَّته) كذلك ، (مرمل) مذكر (مرملة) وتقدم معناها ، فقوله مراميل فاعل (اتست) ، وقوله (مرمل) فاعل (اتسى) ، وقد تنازع (اتسى) ، و (عَزَّاها) فى مرمل ، فكل منهما يطلب فاعلا : والمعنى أن كل واحد من (الأزل) و (النظائر) بعد أن ضج وضجت ؛ أغضى ، وصبر عند فقد القوت ، وكل منهما تأسى بالآخر فى الصبر على فقد القوت ، وكل منهما عَزَّى الآخر ، وحمله على الصبر على فقد القوت بعد كمال الاجتهاد فى تحصيله .

٣٤ ــ شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَوَتْ
وَلَلصَّبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

الزمخشرى : (بعد) هنا مبنىّ لأنها بمنزلة بعض الكلمة ، إذ كان معناها لا يتضح بدون المضاف إليه ، فهى مع المضاف بمنزلة الكلمة الواحدة ، وبنيت على الضم جبرا لها من الوهن الداخل عليها بقطعها عن الإضافة (واللام) فى قوله : و (للصبر) : لام الابتداء ، و (أجمل) خبره ، والشرط معترض ، و (إن) الشرطية إذا تعقبها لم كان الجزم بلم لا بها ، وإن دخلت على لا كان الجزم بها لا بلا ، وإنما كان كذلك ، لأن (لم) عامل يلزمه معموله ، ولا يفرق بينهما بشىء ، وأما (إن) الشرطية ، فالتفرقة بينها وبين معمولها بمعمول معمولها جائز (مثاله) إنْ زيدا تكرم أكرمه ، وتدخل أيضا على الماضى ، فلا تعمل فى لفظه ، ولم تلازم العمل ، وأما (لا) فغير عاملة إذا كانت نافية ، فلذلك أسند العمل إلى (إن) فمن الأول قوله تعالى :

﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾

ومن الثانى قوله تعالى :

﴿ و إلّا تغفر لى وترحمنى ﴾

فالجزم هنا (بإن) وفى الأول (بلم) ، و (الشكو) فاعل (ينفع) .

المبرد : يقول : شكا الذئب إلى الذئاب ، ثم ارعوى بعد الشكوى ، فكف وصبر عن قريب .

العكبرى : و (للصبر) : هو (مبتدأ) ، و (اللام) : لام الابتداء ، و (أجمل) : خبره ، وهو مثل قوله عز وجل :

﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ [الضحى ٤]

و (إن لم) : شرط معترض بين المبتدأ والخبر ، وأكثر ما يقع بعد الجملة ، كقولهم : (أنت ظالم إن فعلت كذا) ، و (لم) حكمها أن ترد لفظ الفعل المستقبل إلى معنى (المضى) ، و إن دخلت عليها (إن) الشرطية بطل الرد وغلبه معنى الشرط ، (كما لو وقع بعد الشرط) لفظ الماضى ، وجواب الشرط معنى الجملة المقدمة ، ومعنى الكلام : (إن لم ينفع الشكو يجمل الصبر) .

وجزم (ينفع) بلم ، لا (بإن) المتقدمة ، لأن (لم) قد ثبت أنها عاملة قبل دخول (إن) بلا خلاف ، ولا يجوز التفريق بينهما ، وبين معمولها ، فهى ألزم له ، و « إن » قد جاز إلغاؤها عن العمل ، ألا ترى إلى قوله تعالى :

﴿ فأما إن كان من المقربين فَرَوْح ..... ﴾ [الواقعة ٨٨ ، ٨٩]

إن الجواب جواب « أما » لا جواب « إن » ، هكذا قال أبو على رحمه الله .

ابن زاكور : (الارعواء) : النزوع عن الجهل ، وحسن الرجوع عنه ، يقول :

(شكا) الذئب للذئاب عند اجتماعهم (ما يجده) من الجوع والخيبة فى الطلب و (شكت) هى له ذلك ، ثم نزع عن ذلك بعد (وكف) ، و (كفت) هى أيضا عن الشكوى صابرة على تلك البلوى ، و (للصبر) أكثر جمالا من الشكوى

إن لم يكن لها نفع ، والمصابرة بين (الصبر) و (الشكو) فى الجمال بحسب اعتقاد الشاكى على ما يقتضيه الطبع وإلا فلا جمال للجزع والشكو بالنسبة للصبر ، حتى يكون الصبر زائداً عليه بعد المشاركة ، نعم قد يكون الجزع فى بعض المواطن هو الجميل دون الصبر ، كفقد الدين ، ومن جاء بالدين خاتم النبيين ، وإمام المرسلين — صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليهم أجمعين ، فإنه كما قال الشاعر حسان بن ثابت رضى الله عنه :

والصبر يحمد فى المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

عطاء الله : (شكى) أى ذلك (الأزل) من الشكوى ، وهى (الضجر) ، وعدم (الصبر) كأنه يشكو إلى الخلق ما أصابه من المكروه (وشكت) كذلك تلك (النظائر) ، (ثم ارعوى) : أى رجع ذلك عن شكواه (بعد) : أى بعد الشكوى ، فكلمة (بعد) مؤكدة لما أفادته كلمة (ثم) من الترتيب (وارعوت) : أى رجعت تلك النظائر (كالأزل) وما قبل ، ثم فهم من قوله (قبل) فضج وضجت ، وما بعدها فهم من قوله (قبل) و (أغضى وأغضت) وإنما أعادهما ليفيد تفضيل إحدى الحالتين على الأخرى ، بقوله (وللصبر) اللام لام القسم (إن لم ينفع الشكو) هو مصدر كالشكوى (أجمل) أى جميل بالقياس إلى الشكوى الغير النافعة ، إذ لا جمال فيها حتى يكون أفعل التفضيل على بابه ، نعم قد يقال على سبيل الحقيقة : إن الصبر أنفع من الشكوى النافعة ، وهى الشكوى إلى ذى مروءة المشار إليها فى قول الشاعر :

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

والأول أعلا المراتب ، والثانى أوسطها ، والثالث أدناها ، و (الصبر) : مبتدأ ، و (أجمل) : خبره ، و (جملة إن لم ينفع الشكو) معترضة بينهما ، وأكثر ما يقع مثل ذلك بعد الجملة ، كقولك : (أنت ظالم إن فعلت) ومن حكم لم أن ترد

الفعل المضارع إلى الماضى ، فإذا دخل عليها إن الشرطية بطل ذلك ، وغلب معنى الشرط المقتضى لاستقباله ، كما لو وقع بعد الشرط لفظ الماضى ، وجواب الشرط معنى الجملة ، و (ينفع) : مجزوم (بلم) لا (بإن) لأن لم قد ثبت عملها قبل دخول إن ، ولا يجوز التفريق بينها وبين معمولها ، فهى ألزم للعمل .

٣٥ ــ وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

الزمخشرى : (فاء) : رجع ، و (بادرات) : مسرعات ، ومن هنا سمى القمر ليلة أربعة عشر بدرا لأنه (يبادر) الشمس بطلوعه و (النكظ) : العجلة : يقال : جاء (ناكظا) أى (مستعجلا) ، و (يكاتم) : يكتم ما عنده إذا لم يبده ، وقيل : (النكظ) : الجوع ، و (مجمل) : أى يعامل صاحبه بالجميل ، (بادرات) : حال ، و (كلها) مبتدأ ، وخبره (مجمل) ، وإنما أفرد الخبر ، وإن كان المبتدأ جمعا لأن لفظ كل مفرد ، ومعناها الجمع ، فأفرد الخبر حملا على لفظ (كل) وقد تقدم الكلام بما يغنى عن إعادته هنا ، وهذا المبتدأ وخبره فى موضع الحال تقديره (مجملة) مع كونها (جائعة) أو (مسرعة) ، وصاحب الحال الضمير فى (فاءت) أو فى (بادرات) ، و (على نكظ) موضعه حال ، أى (ناكظاً) وصاحب الحال الضمير فى (مجمل) أى وكلهم مجمل (مسرعاً) ومن لبيان الجنس ، والجار والمجرور فى موضع جر نعت لـ (نكظ) ، و (ما) هنا يجوز أن تكون بمعنى الذى ، ومصدرية ، ونكرة موصوفة وهى أجود الثلاثة .

المبرد : ويروى (باديات) ، و (النكظ) : الشدة ، والمصدر (النكظ) يقال : (نكظه بشر نكظا) إذا أصابه وهو هنا : الشدة من الجوع وفى موضع آخر (العجلة) .

العكبرى : (النكظ) : شدة الجوع ، (بادرات) : نصب على الحال أى :

(متعجلات) ، (وكلها) : مبتدأ ، و (مجمل) : خبره ، وإفراد (مجملا) حملا على لفظ (كل) كما قال تعالى :

﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [مريم ٩٥]

وقد جاء جمعا ، كقوله :

﴿ وكلٌّ أتَوْه داخرين ﴾ [النمل ٨٧]

وقوله : ﴿ على نكظ ﴾ : فى موضع الحال من الضمير فى (مجمل) ، والعامل فيه (مجمل) تقديره : وكلهم (مجملُ) مشفوقاً عليه ، و(من) نعت لـ (نكظ) أى على شدة كائنة مما يكاتم . و (ما) بمعنى الذى ، أو نكرة موصوفة أو مصدرية ، والله أعلم .

ابن زاكور : (الفيئة) : الرجوع ، و (البادر) الذى بدر غيره إلى الأمر ، سبقه إليه ، وعاجلة ، و (النكظ) بالنون والكاف والظاء ، المشالة محركة الجهد والمشقة هنا و (المكاتمة) الكتم والكتمان : أى (الإخفاء) ، و (الإجمال) التؤدة ، والاعتدال فى الطلب من غير إفراط ، و (بادرات) منصوب على الحال من فاعل (فاءت) ، و (كلها) : مبتدأ ، وخبره (مجمل) بسكون الجيم وكسر الميم وعلى (نكظ) حال من الضمير المستتر فى الخبر وعلى فيه بمعنى مع وما فى مما (يكاتم) موصول اسمى ، و (يكاتم) صلته ، والعائد محذوف ، لأنه منصوب بالفعل وتقدير البيت ، ثم ارعوى وارعوت ، ورجع عوده على بدئه ، ورجعت هى أيضا فى حال كونها سابقات إلى الفيئة ، وكل واحد منها متئد فى طلب القوت معتدل فيه ، ليس معه شىء من الإفراط المؤذن بشدة الحرص مع جهد ومشقة كائن من الذى يخفيه من الجوع الشديد الذى لا يشبه الجوع ، وقد قدمنا المثل الذى يضرب به فى جوع الذئب ، وهو قولهم :

(رماه الله بداء الذئب)

ويقولون أيضا :

(هو كالذئب يخبط بذى بطنه وهو جائع)

وإذا كان الذئب وهو حيوان أعجم من أحقر الحيوانات على ما يكابده من التعب المفرط من الجوع والحاجة الشديدة ، ليس بشديد الحرص على القوت فينبغى للإنسان ، وهو فاهم عاقل أن لا يكون شراً من الذئب فى ذلك .

عطاء الله : (وفاء) : أى رجع ذلك (الأزل) إلى مأواه بعد أن لم يجد قوتا (وفاءت) : أى رجعت تلك النظائر كذلك (بادرات) : أى (سريعات) ويروى (باديات) : أى (ظاهرات) وهو حال من الضمير فى (فاءت) ، (وكلها) : أى كل فريق من فريقى (الأزل) و (النظائر) ؛ على (نكظ) بنون وكاف وظاء مشالة : أى (شدة جوع) ، يقال : (نكظه بشر) : إذا أصابه به ، وقد يطلق (النكظ) على العجلة والسرعة ، وليس مراداً ههنا لفهمه من قوله ﴿ **بادرات** ﴾ وأيضا لا يناسب ما بعده كما لا يخفى (مما يكاتم) أى : يكتم ، ويخفى ، وعبر بصيغة التفاعل مبالغة فى كمال حصول الفعل ، (وما) : إما موصول اسمى أو نكرة موصوفة أو مصدرية : أى من الذى يكاتمه ، أو من شىء يكاتمه أو من مكاتمته وإخفائه ، وعلى كل تقدير ، فالظرف متعلق بقوله (مجمل) أى آت (بصبر جميل) و (كل) : مبتدأ ، و (مجمل) : خبره وأفرده حملا على لفظ كل كما مر ، ثم أخذ يترقى فى وصفه بكمال السرعة وتمام الجد فى تحصيل الرزق ، حيث شبه نفسه أولا فى ذلك بأزل موصوف بما تقدم ، ثم شبهها ثانيا ، فى ذلك بالقطا الموصوف بما يأتى ولا شك ، أن القطا أسرع من (الأزل) بأضعاف فقال :

٣٦ ــ وَتَشْرَبُ أَسْآرِى الْقَطَا الْكُدْرُ بَعْدَمَا
سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

الزمخشرى : (الأسآر) : بقية الشراب فى قعر الإناء ، الواحد (سؤر) ، والمعنى

إنى أرد الماء إذا سايرت القطا فى طلبه فأسبقها إليه لسرعتى ، فترد بعدى فتشرب سؤرى ، و (الْقَرَبْ) : السير إلى الماء ، وبينك وبينه ليلة ، قال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما القرب ؟ قال : سير الليل لورد الغد .

وقال الخليل : القارب طالب الماء ليلا ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً و (الحنو) واحد (الأحناء) ، وهى الجوانب ، و (تتصلصل) تصوت ، (وتشرب) مستأنف لا محل له من الإعراب ، (وبعد) : ظرف لتشرب وما مصدرية : أى بعد سيرها ، وهى بما ضم إليها فى موضع جر ، (وقربا) حال من الضمير فى (سرت) ، و(سرت) العامل فى الحال ، و (أحناؤها) : مبتدأ ، و (تتصلصل) : خبره ، وموضع الجملة : حال من الضمير فى سرت ، ويجوز أن يكون حالا من (القطا) فيكون العامل (تشرب).

المبرد : (الأسآر) : جمع (سؤر) وهو : (البقية) ، يقال : أسأرت فى الإناء إسآراً ، إذا أبقيت فيه بقية ، يقول : أنا أرد الماء قبل القطا وهى أسرع الطير وردا ، فيشرب القطا فضلاتى ، يقال : (سريت) إذا سرت فى أول الليل ، و (أسريت) إذا سرت فى آخره ، وقيل : بل هما لغتان وهو الذى أذهب إليه ، و (القرب) : الورود ، يقال : قربت الماء أقربه قربا إذا وردته ، وليلة القرب : ليلة ورود الماء ، و (الأحناء) : الجوانب ، الواحد (حنو) ، وروايتى (أحشاؤها) وهو أجود عندى ويقال : لليابس : سمعت له صلصلة : أى صوت ليبسه ، فيقال : هذه تتصلصل أجوافها من العطش ليبسها ، ويقال للحمار مصلصل وصلصال ، إذا صفا صوته ، تشبيها بما ذكرت لك .

العكبرى : (الأسآر) : جمع (سؤر) ، وهو البقية فى الإناء ، يقول : أنا أرد الماء قبل (القطا) لسرعتها ، و (الأحناء) : الجوانب ، و (تتصلصل) : تصوت و (تشرب) : مستأنف لا موضع له ، و (الكدر) : جمع أكدر وكدراء ، و (بعد) : ظرف لـ (تشرب) ، و (ما) : مصدرية ، و (قَربا) : حال من

الضمير فى (سرت) ، وهو العامل فيها ، و (أحناؤها) : مبتدأ ، و (تتصلصل) : خبره ، والجملة حال من الضمير فى (سرت) ، وهو العامل فيها ، ويجوز أن تكون حالا من القطا ، ويكون العامل فيها (تشرب) . والله أعلم .

ابن زاكور : (الأسآر) : البقايا واحدها (سؤر) ، و (القطا) كالقطوات جمع (قطاة) : وهى طائر معروف ، وهى ثلاثة أنواع منها الكدر ، و (الكدرة) غبرة فى الألوان ، وقد ذكرنا أنواع القطا ، مفسرة فى شرح قلائد العقيان عند قول المعتمد :

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بى فقلت ومثلى بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلى إلى ما قد هويت أطير

(القَرَب) بالتحريك : سير الليل لورد الغداة ، و (الأحناء) : الأضلاع ، و (التصلصل) : التصويت ، قوله : (وأشرب) معطوف على قوله : (أغدو) والتقدير : وأشرب بقايا الماء الفاضل عن القطا الكدر بعد ورودها ، وهى أسبق الطير وروداً فشربه أسآرها المراد منه سبقه إليه ، وتبكيره وسرعته فى السير إليه ، بحيث لا يسبقه إليه إلا القطا الذى هو أسرع الطير وروداً ، إذ لو سبق غير القطا لكان ما يشربه أسآر الغير ، لأن السؤر يضاف إلى الشارب الآخر ، فتبين مما قررنا به شرب أسآر القطا ، إنه كناية أريد بها لازم معناه من السرعة والسبق إليه مع المعنى أيضا ، وهو سبق القطا إياه إلى الورود ، أى يشرب بعد شرب القطا بعد سراها : أى القطا قَرَبا : أى سيرها الليل لتصبح الماء فى حالة تصويت أحنائها فى طيرانها إلى الماء فقوله (بعد ما سرت) : ظرف لما دل عليه سؤر القطا من شربها ، والتقدير : وأشرب الفاضل عن شرب القطا الكائن ذلك الشرب ، بعد سرى القطا : أى : سراها قَرَب ، فقوله (قَرَبا) منصوب على المفعولية المطلقة ، لأن القرب ، نوع من السرى باعتبار الحامل عليه ، ووقع فى هذا البيت تصحيف فيما بيدى من نسخ القصيدة فكتب (وتشرب) بالتاء الموهمة أن الفعل للذئاب ،

مع أنه له ، وذلك يقتضى أن يكتب بالهمزة . ، ويدل لهذا قوله : (البيت بعده ..)

عطاء الله : (وتشرب أسآرى) : جمع (سؤر) ، وهو ما بقى بعد شرب الحيوان يقال (أسأرت) فى الإناء ، إذا أبقيت فيه بعد شربك منه بقية ، (القطا) اسم لجنس من الطير ، واحده (قطاة) ، (الكدر) : جمع أكدر وكدراء أى (المتغبرة) بلون التراب ، و (القطا) : فاعل تشرب ، و (أسآر) مفعوله بتقديم المفعول ، وتأخير الفاعل ، و (الكدر) بالنصب نعت لأسآر (بعد ما سرت) أى : (سارت ليلا) لطلب الماء ، والظرف متعلق بـ (تشرب) ، (قَربا) هو بفتح أوليه : ورود الماء ، يقال : قربت الماء أقربه قربا ، إذا وردته و (ليلة الْقَرَب) : ليلة ورود الماء ، وهو : إما مفعول له ، والعامل فيه (سرت) ، أو حال من (القطا) ، والعامل فيه (تشرب) ، (أحشاؤها) : جمع (حشى) ، وهو : ما احتوت عليه البطن ؛ كالأمعاء والقلب والكبد والطحال ويروى (أحناؤها) : جمع (حنو) : أى (جوانبها) ، (تتصلصل) : أى تصوت ليبسها من شدة العطش ، ومنه (الصلصال) : للفخار ، لأنه يصوت ليبسه ويقال : (حمار صلصال) إذا صفا صوته ، تشبيها له بما ذكر ، و (أحشاؤها) مبتدأ ، وجملة (تتصلصل) خبره ، وجملة المبتدأ والخبر حال من الضمير فى (سرت) ويجوز جعلها حالا من الضمير فى (قَربا) إن جعلتها حالا .

٣٧ ــ هَمَمْتُ وَهَمَّتْ ، وابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ
وَشَمَّر مِنِّى فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ[1]

الزمخشرى : يقال (أسدل) ثوبه أى : (أرخاه) ، وبهذا المعنى استعمله الشاعر هنا ، أى : أرخت جناحها ، فذهب جريها ، بمعنى (خف) أى : خف من

---

(١) قوله (وشمر) منى فيه من محسنات البديع التجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة مثله إشارة لكماله فى الصفة كقولهم: لى من فلان صديق حميمٌ ، وشمر فى أمره خف .

التقدم ، و (الفارط) : المتقدم ، ومنه قوله عليه السلام :

«أنا فَرَطُكم »

أى : أنا متقدمكم ، لأصلح لكم ، والمعنى : إنى والقطا تسابقنا إلى الماء غير أنى سبقتها ، و (المتمهل) فى أمره : من يأتيه على تؤده ، (هممت ، وهمت) : حكاية حال ، لا موضع له ، والضمير فى (همت) للقطا ، و (مِنِّى) نعت لـ (فارط) وهو نكرة ، فلما تقدم كان حالا ، والأفعال بعد (همت) معطوفة عليه .

المبرد : (أسدلت) : كفت من العدو ، هكذا قال ، وحفظى (وقصرت) : يريد : أن القطا عجزت عن العدو ، ولم تكلّ ، و (الفارط) : المتقدم ، و (فارط القوم فى السفر) هو الذى يتقدم ليصلح الموضع ، الذى يقصدونه ، والجمع (فراط) ، وكل متقدم فهو (فارط) ، وإنما ضرب (الإسدال) مثلا .

العكبرى : (أسدلت) : كفت من العدو ، و (فارط القوم) : المتقدم ليصلح لهم (هَمَّت) : الضمير للقطا ، يعنى أنى وإياها قصدنا الورد ، إلا أنى سبقتها إليه وما بعدها من الأفعال معطوف على الأول ، و (مِنِّى) : نعت لـ (فارط) ، قدم فصار حالا ، و (متمهل) : نعت لـ (فارط) ، والله أعلم .

ابن زاكور : فإنه صريح[1] فى أنه أدركها عند المنهل قبل ورودها ، (فابتدر) كل منهما إليه : أى عاجل كل منهما الآخر إلى الورود بعد الهم به الكائن من كل منهما ، فأسدلت هى أى (أرخت أجنحتها) لترد الماء بعد الابتدار ، وشمر منه هو جد (فارط) أى سابق : متقدم على الواردين إلى الماء وهو نفس ذلك (الفارط) انتزع من نفسه (فارطا) مبالغة فى كونه هو (فارطا) تنبيها على كمال صفة (الفروط) فيه ، وبلوغها الغاية ، حتى ساغ له أن ينتزع منها شخصا موصوفا بمثل تلك الصفة ، وهذا الانتزاع يسمى (تجريداً) فى عرف أهل البديع ، والمفيد له هنا من فهى

---

(١) هذا الكلام تكملة لشرح البيت السابق .

تجريدية ، ولا ينحصر ذلك فيها ، بل قد يكون بالباء.التجريدية ، كقولهم :

لقيت بفلان أسداً وبحراً مثلا ، وقد يكون بغير ما ذكر ، وهو كثير ، و (المتمهل) المتئد ؛ الذى يمشى على مهل ، وهذا يدل على تشاركهما فى الشرب ، واتحادهما فى زمانه ، فلم تسبقه ، فلم يرد سؤرها حينئذ إلا أن يقال (شرب السؤر) لا يدل على تقدم المسئر ، فإنه قد يتحقق مع الاصطحاب ، فإن كلا من المصطلحين فى الشرب مبق (سؤراً) : أى (بقية) ، فعودهما للشرب بعد عود (السؤر) أى عود كل منهما عود لسؤر الآخر ، فهو شارب سؤرها ، وهى شاربة سؤره وقد يقال : يتمخض له شرب السؤر فى زمان الاصطحاب أيضا ، لقصر زمان شربها ، وطول زمان شربه ، فيتأخر عنها ، وإن لم يتقدم عليها ، على أن قوله بعد صريح فى تقدمه عليها .

عطاء الله : (هممت) أى : عزمت على ترك المسير إلى الورود (وهمت) أى (القطا) بذلك أيضا لعجز عرض لكل واحد منا لطول المسافة (وابتدرنا) أى : انتدب كل واحد منا إلى المسير بعد ذلك لداعى شدة العطش ، و (أسدلت) : أى أرخت القطا أجنحتها ، وتراخت عنى فى المسير لكمال عجزها بعد ابتدارنا له (وشمر) أى أسرع واجتهد (منى فارط) : أى متقدم إلى الورود ، وفارط القوم فى السفر ، ويقال له (فَرط) أيضا من يتقدمهم ليصلح لهم المواضع التى يعدونها ويهيأها لهم (متمهل) أى مُتَرَوٍّ فى طلب الورود ، وآخذ فى السير إليه على بصيره ، وما بعد (هممت) من الأفعال معطوفة عليه و (فارط) فاعل (شمر) ، و (منى) حال منه ، و (متمهل) نعت لـ (فارط) وفى قوله (شمر منى) فارط : تجريد ، وهو أن ينتزع من شخص ذى صفة شخص آخر موصوف بتلك الصفة لكمالها فيه ، وههنا قد انتزع من نفسه (فارطا) يتقدمه إلى الورود ، ثم التجريد قد يقع بمن كما هنا ، وقد يقع بفى ، كما فى قوله تعالى :

﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾

وقد يقع بغير ذلك ، وتفصيل ذلك فى فن البيان ، والمعنى أن كلا (منى) ، ومن (القطا) قصر فى السير إلى الورود غير أنى كنت أسبق إليه منها .

٣٨ ــ فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْىَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ يُبَاشِرُهُ مِنْها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

الزمخشرى : (تكبو) تسقط ، و (العقر) : مقام الساقى من الحوض ، يكون فيه ماء يتساقط من الماء عند أخذه من الحوض ، و (الذقن) ما تحت حلقومها ، وحلوقها ، قوله ، وهى مبتدأ ، وخبره (تكبو) ، وموضع هذه الجملة حال من الضمير فى (عنها) : أى وليت عنها (متساقطة) وقيل حال من (التاء) فى (وليت) ، وجوز ذلك ربط الجملة بالواو ، ولولا الواو لكانت الجملة أجنبية من التاء لعدم ضمير يعود على التاء من الجملة ، ولعقره يتعلق ، أى تسقط إلى عقر الحوض ، ويباشره بذقونها ، وحواصلها ، لتأخذ فضلة من ماء والضمير فى (يباشره) عائد إلى (عقر) الحوض ، و (يباشره) حال من الضمير فى (تكبو) : أى تكبو مباشرة بذقونها ، وحواصلها ، ومنها صفة (ذقون) ، قدم فصار حالا ، و (حوصل) معطوف على (ذقون) .

المبرد : (تكبو) : تتساقط من الضعف ، و (العقر) : مقام الساقى من الحوض (والذقون) جمع (ذقن) فى الكثرة ، وفى القلة (الأذقان) ، و (حوصل) جمع (حوصلة) كجندل وجندلة ، يقول : وردت ، وصدرت ، والقطا تكرع بعدما أصدرت ، وكنت أسرع منها .

العكبرى : (تكبو) : تتساقط ، و (العقر) : مقام الساقى من الحوض . و (هى) : مبتدأ ، و (تكبو) : خبره ، والجملة حال من التاء فى (وليت) والواو فى (وهى) ، واو الحال ، ولولا (هى) لكانت الجملة أجنبية ، لا ضمير فيها يعود على التاء ، و (لعقره) : يتعلق بـ (يكبو) ، ويعنى : تكبو القطا إلى عقر

الحوض . أى تقرب منه ، و (يباشره) : حال من الضمير فى (تكبو) : أى واضعة ذقونها عليه ، (ومنها) : نعت (للذقون) قدم فصار حالا ، و (حوصل) واحدتها (حوصلة) مثل : جندل ، وجندلة والله أعلم .

ابن زاكور : إلا أن يريد بقوله (فوليت عنها) لتشرب قبله ، ويريد بذلك ، أنه لم يزاحمها ، ولم ينفرها مع قدرته على ذلك عملا على ما تقتضيه مكارم الأخلاق ، وهى الأليق بالمقام ، لأنه فى سياق الافتخار والتمدح بمحاسن الخلال ، وهذا كله بناء على أن ما سبق إلى الوهم أن اللفظ أشرب بصيغة مضارع المتكلم ، وبعد كتبى ما تقدم ، تبين لى أن اللفظ (وتشرب أسآرى) بالتاء فى (تشرب) ، وفاعله (القطا) ، و (أسآرى) مفعول به ، وعليه فلا يحتاج إلى تأويل والله أعلم .

قوله (تكبو لعقره) أى : تنكب على وجهها فى عقر البئر ، أى مقام الشاربة من الحوض أو مؤخره ، ومصدر (تكبو) : الكبو ، بالفتح والسكون ، و (الكُبُوّ) بالضمات وتشديد الواو . و (الذقون) جمع : ذقن بالتحريك ، وهو مجتمع اللحيين من أسفلهما ، وقد تكسر قافه ، وباعتبار ذلك جمعه على مفعول وجمعه باعتبار التحريك أذقان ، و (الحوصل) كالحوصلة ، والحوصلا ، قال فى القاموس أسفل البطن إلى العانة من كل شىء ا هـ ، و (حوصلة الطير) معلومة تجمع على (حواصل) : المعنى أنه أدبر عنها ، وتركها منكبة على أذقانها فى محل قيام الشاربة من الحوض أو مؤخره ومباشرة له بأذقانها وحواصلها ، وجملتا قوله (تكبو لعقره وتباشره) منصوبان على الحال من الضمير المجرور بعن أو الثانية حال من فاعل (تكبو) وعلى كل من (التقديرين) فالجملة الثانية مفسرة للأولى ، لأن (الكبو) : الانكباب على الوجه ، ولا يتصور بدون مباشرة الأذقان والحواصل الأرض .

عطاء الله : (فوليت عنها) أى القطا بعد ورودى وقبل ورودها (وهى تكبو) أى (تتساقط) ، (لعقره) : أى الحوض المعلوم من السياق كما فى قوله تعالى :

﴿ حتى توارت ﴾

أى الشمس (بالحجاب) ، واللام بمعنى إلى أو عند أى : تتساقط إلى ما يقرب من عقره ، و (العقر) : مقام الساق من الحوض ، وقيل مؤخر الحوض ، (يناشره) بالنون ، أى ينشر عليه ، ويروى يباشره ، أى يتصل به (منها) أى من القطا (ذقون) جمع ذقن بفتح أوليه ، وهو من الحيوان موضع اللحية من الإنسان (وحَوْصَلُ) اسم جنس واحده حوصلة كجندل وجندلة وهى موضع الطعام والشراب من الطائر بمنزلة البطن من الإنسان ، (وعنها) متعلق (بوليت) وجملة (وهى تكبو) إما حال من الضمير فى (وليت) والرابط الواو فقط ، وإما حال من الضمير فى (عنها) والرابط الواو والضمير معا و (العقره) متعلق بـ (تكبو) ، وجملة (يناشره منها ذقون وحوصل) حال من الضمير فى (تكبو) (ومنها) حال من (ذقون وحوصل) ويسوغ مجيء الحال من النكرة إن تقدم الحال عليها ، والضمائر فى (منها وعنها) وهى ترجع إلى (القطا) ومعنى البيت : إنى صدرت قبل صدورها كما وردت قبل ورودها .

٣٩ ــ كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْه وَحَوْلَه
أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ

الزمخشرى : (وغاها) : أصواتها ، ومنه قيل للحرب (وغى) لما فيها من الأصوات والجلبة ، و (حجرتيه) : جوانبه ، و (الأضاميم) جمع (اضمامه) وهم القوم ينضم بعضهم إلى بعض فى السفر ، و (سفر) أى قوم سفر مثل صاحب وصحب ، و (نُزَّل) أى إذا نزل هؤلاء سمع لهم وقت نزولهم جلبة ، فكذلك هذه القطا فى وقت كبوها تسمع لها جلبة ، وصوتا (كأن وما عملت فيه) موضعها ، حال من الضمير فى (تكبو) أى مشبهة وحجرتية ، نصب على الظرفية من وغاها أى : كأن تصويتها فى ذلك الموضع ، وموضعه حال ، والعامل فيها كأن ، لأن (كأن) يعمل فى الحال قال الشاعر :

كأنه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتئد

(وحوله) معطوف على حجرتيه ، وهو ظرف أيضا ، و (أضاميم) خبر (كأن) والمعنى أصوات أضاميم ، وهذا التقدير لابد منه من جهة أن الأصوات التى هى (وغاها) لا تشبه (بالأضاميم) وإنما تشبه الأصوات بالأصوات ومن سفر صفة لأضاميم ، و (نُزَّل) نعت أيضا .

المبرد : (وغاها ووعاها ووحاها) واحد ، وهو (أصواتها) ، و (حجرتاه) : ناحيتاه و (أضاميم) جمع إضمامه ، وهم القوم ينضم بعضهم إلى بعض فى السفر ، والإضمامة فى الأصل (الإضبارة) (والسفر) : المسافرون ، ويروى من سفلى القبائل ، يريد من مؤخرتهم .

العكبرى : (حجرتاه) : ناحيتاه ، و (أضاميم) : قوم ينضم بعضهم إلى بعض فى السفر .

(حجرتيه) : منصوب على الظرف ، والعامل فيه (وغاها) : أى (كأن وغاها) كائنا فى حجرتيه ، وموضعه حال ، والعامل فى الحال (كأن) كما قال :

كأنه خارجا

والبيت معروف .

وحوله ظرف أيضا ، و (أضاميم) : خبر كأن ، والتقدير : كأن أصواتها أصوات أضاميم ، لابد من هذا التقدير ، لأن (وغاها) ــ بالغين والعين ــ أصواتها ، والأصوات لا تشبه بالجماعة ، بل بأصوات الجماعة ، و (من) نعت لأضاميم ، و (نُزَّل) : نعت أيضا ، والله أعلم .

ابن زاكور : (الوغا) الصوت ، و (الحُجْرة) بضم الحاء ، وسكون الجيم ما يمسك الماء من شفة الحوض هنا ، والجال بالجيم جانب البئر ، وناحيتها كالجول بالضم ، و (الأضاميم) جمع : إضمامة بكسر الهمزة ، وهى الجماعة من الناس ،

فوزن (أضاميم) إذاً فعاليل ، و (السفر) جماعة المسافرين : يقول : كأن أصوات القطا الواردة الكائنة فى الموضعين اللذين يمسكان ماء الحوض المخرج من قعره ، وفى جانبه وناحيته لغط جماعات كائنة من مسافرى قبائل شتى فى وقت النزول ، ووجه الشبه الاختلاط والاختلاف ، وعدم التبيين مع التواتر قوله (حجرتيه) منصوب على الظرفية المكانية ، و (جاله) معطوف عليه ، و (أضاميم) على حذف مضاف ، أى (صوت أضاميم) ، و (نُزَّل) من سفر القبائل نعت لـ (أضاميم) ، وفى اعتبار الوصف الدال على الحدث اعتبار (زمان حدوثه) فلذلك ما قلت فى التقدير وقت النزول .

عطاء الله : (كأن) أداة تشبيه ، (وغاها) بالواو والغين المعجمة ، ويقال (وحاها) بواو وحاء مهملة : أى أصواتها فى العلو والكثرة (حجرتيه) أى فى ناحيتى الحوض ، و (حوله) : أى فى جميع جوانبه ، (أضاميم) جمع أضامة ، وهم القوم ينضم بعضهم إلى بعض فى السفر ، أى كأن أصواتها أصوات أضاميم على حذف المضاف ، لأنه إنما تشبه أصواتها بأصوات (الأضاميم) ، (من سفر القبائل) (السفر) : اسم جمع لـ (سافر) بمعنى (مسافر) ، كركب لـ (راكب) ، والقبائل جمع (قبيلة) ، وهم طائفة من العرب يجمعهم أصل واحد كهزيل ، وتميم ، والأسباط فى العجم ، كالقبائل فى العرب ، ويروى (سفر القبائل) باللام أى : (مؤخرهم) (نُزَّل) : أى مقيمون ، جمع (نازل) بالنون كفاجر وفجر ، وخصَّهم بالنزول لأن الأصوات ، إنما تعلو ، وتكثر حالة النزول ، لداعى الحط أو الترحال (وحجرتيه) منصوب على الظرفية ، والظرف متعلق بمحذوف حال من (وغاها) والعامل فيه (كأن) لما فيها من معنى التشبيه ، والحال كالظرف ، يكفيه رائحة الفعل ، أى كأن (وغاها) كائنا فى جانبيه ، وقوله (وحوله) معطوف عليه وإعرابه كإعرابه ، و (من سفر القبائل) : نعت لـ (أضاميم) وكذلك (نُزَّل) .

٤٠ ــ تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا
كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

الزمخشرى : (توافين) أى تتأمن (وشتى) : متفرقة ، أى : من مواضع متفرقة ، و (الذود) من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له من لفظه ، وجمعها الكثير (أذواد) ، و (الأصاريم) جمع (صرمة) وهى القطعة من الإبل نحو الثلاثين والمنهل : (المورد) ، وهو عين ماء ترده الإبل فى المرعى ، والمنازل التى فى المفاوز على طرق المسافرين ، تسمى (مناهل) لأن فيها ماء (توافين) كلام مستأنف لا موضع له من الإعراب ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (تكبو) أى متوافية ، و (من شتى) متعلق بـ (توافين) (ومن) زائدة والتقدير توافين مفترقين أو مختلفين ، والضمير فى إليه للحوض ، والكاف فى قوله (كما) نعت لـ (مصدر محذوف) أى (ضما) ، وما فى (كما) مصدرية أى كضم المنهل (الأصاريم) .

المبرد : (الشتى) الطرق المختلفة ، وهو مأخوذ من التشتت ، وهو التفرق و (الأذواد) جمع (ذود) ، وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل ، و (الأصاريم) جمع (إصرام) الواحد (صرم) وهو القطعة من الإبل و (المنهل) : الماء شبه القطا بكثرة الناس فى الورود .

العكبرى : (الشتى) : الطرق المختلفة ، (والأذواد) : جمعُ ذَوْدٍ ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ، والأصاريم : القطع من الإبل ، و (المنهل) : الماء . شبه القطا بكثرة الناس فى الورد .

(توافين) : يعنى (القطا) ، وهو مستأنف لا موضع له ، و (من شتى) : تتعلق بـ (توافين) ، والتقدير : من طرق شتى ، ويجوز على قول الأخفش أن تكون (من) زائدة ، لأنه يجيز زيادة (من) فى الواجب ، فيكون (شتى) : حالا ، والهاء فى (إليه) للحوض ، وكذلك ضمير الفاعل فى (ضمها) ، والكاف : نعت لمصدر محذوف وما (مصدرية) ، والتقدير (ضمها) مثل ضم المنهل لـ (الأصاريم) ، والله أعلم .

ابن زاكور : (توافوا) تتامُّوا ، و (الأذواد) بإعجام الأولى وإهمال الثانية جمع

(ذود) بالفتح وفى كونه (جمعا) لا واحداً له أو واحداً خلاف ، و (الذود) ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو إلى الخمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع أولا يكون إلا من الإناث أقوال ، و (الأصاريم) جمع (أصرام) جمع (صرم) بالكسر وهو الجماعة ، و (المنهل) : الغدير ، يقول : انتهين ؛ يعنى (القطا) إلى البئر مجتمعين عنده ، فحازها كما حاز منهل إبلا كثيرة ، لأحياء كثيرة ، وقوله من شتى أى من جهات متفرقة متعددة ، والمراد كثرة القطا ، الواردة عند البئر ككثرة الأذواد الموصوفة عند المنهل .

عطاء الله : (فوافين) : أى أتين والضمير لـ (القطا) ، (من شتى) أى : من جهات متفرقة جمع شتيت (إليه) أى : إلى الحوض ، (فضمها) : أى جمع ذلك الحوض تلك القطا ، والمعنى : اجتمعت من أجل وروده ، فإسناد الفعل مجاز عقلى من باب إسناد الفعل إلى السبب (كما ضم أذواد) جمع (ذود) وهو ما بين الثلاثة والعشر من الإبل (الأصاريم) جمع (أصرام) ، وأصرام جمع (صِرْم) بكسر الصاد المهملة (القطعة من الإبل) ، (منهل) بفتح الميم وإسكان النون ، وفتح الهاء عين ماء تورد ، وجملة (وافين) مستأنفة ، والكاف أسمية ، وهو صفة لمصدر محذوف (وما) مصدرية ، والمعنى ، فضم ذلك الحوض تلك القطا ضما ، مثل ضم (المنهل) أذواد الأصاريم .

٤١ ــ فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

الزمخشرى : (العب) شرب الماء من غير مص ، و (عشاشا) : أى على عجلة ، وأنشدت محمودة الكلابية :

ومــا أنسى مقالتــه غشاشا لنا والليل قد طـرد النهارا
وصاتك بالعهـود وقـد رأينـا غراب البين أوكب ثم طـارا

(أوكب) : تهيأ للطيران ، و (أحاظة) : قبيلة من اليمن ، وقيل من الأزد ، و (مجفل) : أى أسرع ، وقيل إنه (المنزعج) ، (فعبت) : معطوف على ما قبله

و (غشاشا) حال من الضمير فى (عبت) ، وهى حال مقارنة ، أى عبت مستعجلة ، ويجوز أن يكون مفعولا لـ (عبت) : أى شربت قليلا ، وموضع (مرت) حال من الضمير فى (عبت) وهذه حال مقدرة : أى آيلا أمرها إلى المرور ، وكأنها وما عملت فيه حال من الضمير فى (مرت) أى مرت مشبهة ركبا ، (ومع الصبح) ظرف والعامل فيه (مرت) أو معنى كأن ، ويجوز أن يعمل فيه (مجفل) : أى ركب مجفل مع الصبح ، والتقدير : أجفل وقت الصبح ، و (ركب) خبر كأن ، و (من أحاظة) نعت له ، و (مجفل) نعت له أيضا .

المبرد : (عبت) : من عبَّ يعبُّ : إذا شرب الماء فصبه صبا فى الحلق وفى الحديث :

« مُصُّوا الماءَ مَصًّا ، ولا تَعُبُّوه . فإنَّ الكُبّادَ مِنَ العَبِّ »

(عبت) : تابعت الشرب كأنها تصبه فى أجوافها ، و (الغشاش) الشىء القليل يريد أنها تابعت الشرب ، فذاك منها قليل ، و (أحاظة) فيما ذكر أحمد بن يحيى (قبيلة من الأزد) وقال لى غيره هى (قبيلة من اليمن) ولم أسمع باسمها ، إلا فى هذا الشعر ، و (المجفل) : المسرع ، و (الركب) ركبان الإبل خاصة دون غيرها ، وقال بعضهم (غشاشا) : على عجلة و (العب) : الجرع ، يقول : وردت على عجلة ثم صدرت فى بقايا الظلمة فى الفجر .

العكبرى : (غَبَّ) : بعد الشرب ، و (الغشاش) : القليل ، و (أحاطة) قبيلة من الأزد ، وقيل (من اليمن) ، و (المجفل) : المسرع (غشاشا) فيه وجهان : أحدهما أنه مفعول (غبت) ، أى صبت القطاة فى جوفها شيئا قليلا من الماء ، والثانى هو حال : أى غبت (مستعجلة) وكأن وما عملت فيه حال من الضمير فى (مرت) ، و (مع الصبح) : ظرف لـ (مرت) ، ويجوز أن يعمل فيها معنى (كأن) ، ومن (أحاظة) نعت له ، وكذلك مجفل ، والله أعلم .

ابن زاكور : (العب) : الجرع ، و (الغشاش) بالغين المعجمة مكسورة ، وشينين

معجمتين بينهما ألف : الشراب القليل أو العجل ، أو غير المروى ، و (الركب) : جماعة راكبى الإبل واحدهم راكب ، و (أحاظة) بضم الهمزة ، والواو المضمومة أيضا بعدها حاء مهملة مفتوحة ، فألف فظاء مشالة : مدينة باليمن ، وأرض ينسب إليها مخلاف ، و (المجفل) : المنهزم ، يقول : فجرعت جرعاً قليلا ، أو على عجل ، أو غير مروى ، ثم أدبرت راجعة إلى مفاحصها فى حال كونها يشبهها عند الصبح ركب منهزم كائن من (أحاظة) : المعنى أنها أدبرت راجعة مسرعة فى الطيران إسراع الركب المنهزم ، والغرض من تشبيهها بالركب المجفل ، بيان حالها فى توليتها ورجوعها لا بيان مقدار الحال الذى هو السرعة ، حتى يقال : إن مقدار الطيران فوق مقدار العدو فى السرعة .

عطاء الله : (فعبَّت) : أى شربت القطا بكثرة كأنها تصب فى حلوقها صباً ، وفى الحديث :

« مُصُّوا المَاءَ ولا تَعُبُّوه عَبًّا ، فإنَّ الكُبَادَ مِنَ العَبِّ »

وقيل (العب) : المتابعة فى الشرب ، كأنها تصبه فى أجوافها ، والمعنيان ، متقاربان ، (غشاشا) : أى شيئا قليلا بالنسبة لما يقتضيه حالها وإن كان شربها كثيرا فى نفسه فلا منافاة ، وقيل (غشاشا) أى على عجلة وهو ظاهر ، و (الْعَبُّ) : الجرع ، و (غشاشا) على الأول مفعول به وعلى الثانى حال من الضمير فى (عبت) ، (ثم مرت) : أى صدرت القطا عن الورود (كأنها) أى تلك القطا (مع الصبح) : أى طلوع الفجر ، (ركب) اسم جمع لـ (راكب) وهو خاص براكب الإبل (من أحاظة) ، وهو بضم الهمزة ، ثم حاء مهملة ثم ظاء مشالة : قبيلة من الأزد ، قال محمد بن يزيد ، ولم أسمع باسمها إلا فى الشعر ، وهذه القبيلة مشهورة بسرعة السير ، (مجفل) : أى مسرع ، وجملة كان و ما عملت فيه حال من الضمير فى مرت ، أو من الضمير فى (غشاش) على إرادة المعنى الثانى ، وقوله مع الصبح متعلق بمرت : يريد أنها وردت على عجل ، وصدرت مع الفجر فى بقايا من ظلمة الليل .

٤٢ ــ وَآلَفُ وَجْهَ ٱلأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا
بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

الزمخشرى : (الأهدأ) : الشديد الثبات ، و (تنبيه) أى : ترفعه وتبعده يقال : نباعنى : أى تباعد ، و (السناسن) : حروف فقار الظهر وهى مغارز رؤوس الأضلاع ، و (قُحَّلُ) : أى جافة يابسة ، و (المنقحل) : الرجل اليابس الجلد ، السيىء الحال ، والمعنى : إنى قد ألفت وجه الأرض مع ما أنا فيه من الجهد ، وسوء الحال ، وألزم قوتى على هذه الحالة ، و (آلف) : مستأنف لا موضع له ، وهو حكاية حاله ، وليس المراد إنى سأفعل هذا فى المستقبل ، فقد لا يحصل بذلك مدح ، إذ ليس بلازم ، و (وجه الأرض) مفعول به ، وليس ظرفا بل كما تقول : ألفت الخير ، و (عند) فيها لغات ثلاث أفصحها عِنْد بكسر العين وسكون النون ، وهى ظرف للزمان والمكان ، وهى هنا ظرف زمان ، والتقدير : زمان افتراشها ، و (افتراشها) مصدر مضاف إلى المفعول تقديره (افتراشى) إياها ، كقولك : عجبت من أكل الخبز زيد ، أى من أكل زيد الخبز ، ومنه قوله تعالى :

﴿ لا يَسْأَمِ الإِنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾

أى من دعائه الخير ، و (أهدأ) صفة لـ (محذوف) : أى بمنكب ثابت ، وموضع بـ (أهدأ) حال : تقديره : أنام مستلقيا أو ملقيا منكبّى ، وصاحب الحال الضمير فى (آلف) ، و (أهدأ) لا ينصرف لوزن الفعل ، و الصفة ، و (تنبيه) نعت لـ (أهدأ) : أى مرتفع ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى و (أهدأ) .

المبرد : (تنبيه) : تنميه (بأهدأ) : يريد بمنكب أهدأ : يريد فيه جنأ وقيل (الأهدأ) الشديد الثبات فى المكان ، يعنى (جنبه) ، و (تنئيه) تجفيه ، وترفعه من الأرض ، ويروى وتنبيه من (نبا ــ ينبو) عن الشىء إذا جفا عنه ، ويروى (تثنيه) أى تكفه من لزوم الأرض (والسناسن) : حروف فقار الظهر وهى مغارز رؤوس الأضلاع و (قُحَّل) جمع (قاحل) ، وهو : اليابس ، يقال : قحل جلده إذا جف .

العكبرى : (الأهدأ) : الشديد الثبات ، و (تنبيه) : تجفيه وترفعه و (السناسن) : مغارز الأضلاع ، و (قُحَّل) : يابس جاف .

و(آلف) : مستأنف لا موضع له ، و (وجه الأرض) : مفعول (آلف) وليس بظرف ، بل هو كقولك : ألفت زيداً ، (وآلف) : حكاية حال ، وليس المراد به الاستقبال ، بل معناه : هذا شأنى فى نومى ، وعند ظرف زمان ، أى عند وقت افتراشى إياها ، والمصدر مضاف إلى المفعول كما فى قوله عز وجل :

﴿ لا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِـــن دُعَـــاءِ الخَيْـــرِ ﴾ [فصلت : ٤٩]

أى من دعائه الخير . وقوله (بأهدأ) : أى بمنكب (أهدأ) فحذف الموصوف ، وموضع الجار والمجرور : حال من الضمير فى (آلف) ، تقديره : أنام ملقيا منكبى ، و (تنبيه) : نعت لـ (أهدأ) و (أهدأ) : لا ينصرف ، للوصف ووزن الفعل ، والله أعلم .

ابن زاكور : (آلف) بالفتح مضارع (ألفته) كعلمته ؛ حصلت بينى وبينه ألفة أى ملائمة ، و (افتراش الأرض) : اتخاذها فراشا ، بأن يضطجع عليها من غير حائل بينهما و (الأهدأ) بالهمز : اسم الذى هدىء كفرح ، أى انحنى ، يقال : أهدأه الكبر ، و (تنثيه) مضارع (أنأته) أى : أبعدته ويروى (تثنيه) ، و (السناسن) جمع (سنسن) ، و (سنسنة) بالكسر فيها : حروف فقار الظهر هنا ، و (القحَّل) جمع : قاحل : وهو اليابس ، وصف نفسه بالارتياض بالمقاسات للمشتقات ، حتى ألفها ، فلم يجد لها كبير ألم بعد ، فأخبر عن نفسه أنه يفترش الأرض فيضطجع عليها بمنكب منحن من الكبر ، أو من مقاسات الأهوال والشدائد ، أبعدت ذلك الأهداء عن الأرض حروف فقار الظهر اليابسة من الكبر ، فلا يجد لقساوة الأرض ألماً عندما يفترشها ليبس ما يباشرها من أضلاعه ، وفقاره التى أبعدت عن الأرض ، ما يحس بها من منكبه قوله : عند افتراشها ، فيه إضافة المصدر إلى المفعول به ، و (بأهدأ) : متعلق بافتراش ، و (تنثيه) نعت لـ (أهدأ) ، وتقدير

البيت : وآلف وجه الأرض : أى لا أتألم به عند افتراشى إياها ، أى : اضطجاعى عليها بمنكب أو جنب منحن مبعد عن الأرض بأضلاع يابسة ، وقوله : وآلف معطوف على قوله : وأغدو ، كقوله : وأشرب ، وكذا قوله :

وأعدل منحوضاً ، كأن فصوصه كعابٌ دحاها لاعبٌ فهى مُثَّلُ

عطاء الله : (وآلف) : من ألف الشيء اعتاده وأحبه (وجه الأرض) هو مفعول (آلف) كما تقول : ألفت زيداً (عند افتراشها) أى وقت افتراشى إياها ، على أن (عِنْد) ظرف زمان لمكان ، وإن كان الغالب مجيئها ظرف مكان ، وإن المصدر مضاف للمفعول بعد طى الفاعل : يقال : افترش الشيء إذا جعله فراشا ، وقوله : وآلف من باب حكاية الحال الماضية ، أى وألفت ، فنزل الأمر الواقع فى الماضى منزلة الواقع فى الحال ، يشاهده السامعون ، ويقضون منه العجب ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

وإنما يفعل ذلك لما فيه غرابة أو فظاعة ، فلا تقول : هو الذباب يطير ، مكان طار حكاية للحال الماضية إذ لا غرابة فى ذلك ولا فظاعة ، فإن قلت المضارع فى الآية السابقة على أصله من الاستقبال لأن هذه الحالة ، إنما هى فى القيامة ، قلت : نزلت الرؤية الواقعة فى المستقبل منزلة الماضى فى تحقق الوقوع ، فعبر بلو ، وإذ تم نزل الماضى منزلة الحال استحضارا للصورة (بأهدأ) أى بمنكب (أهدأ) : أى منحن أو شديد ، يقال به (هدأ) إذا كان فيه انحناء أو شدة ، والظرف حال من الضمير فى (آلف) : والتقدير : وآلف وجه الأرض : حال كونى ملقيا بمنكبى (تثنيه) بثاء مثلثة ، ثم نون مثناه تَحْتيَّة أى ترفعه عن الأرض ، ويروى (تثييه) بيائين تحتيتين بعد المثلثة أى تكفه عن لزوم الأرض (سناسن) جمع سنسن ، وهو بكسر السينين المهملتين مغارز الأضلاع ، وهو فاعل (تثنيه) ، والجملة نعت لـ (أهدأ) ، (قُحَّل) بضم القاف ، وفتح الحاء المهملة ، وتشديدها أى : يابسات ، وهو جمع (قاحل) : نعت لـ (سناسن) : يريد أنه حين ينام ، يفترش الأرض

ويلقى منكبه ، وأن مغارز أضلاعه ترفعه عن الأرض ، وتكفه عن لزومها لقلة لحمه ، والقصد من هذا وصف جسمه بالنحافة ونفسه بعدم الرفاهة .

٤٣ ــ وَأَعْدِلُ مَنْحُوصاً كَأَنَّ فُصُوصَهُ
كِعَابٌ دَحَاهَا لاَعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

الزمخشرى : (أعدل) : أى : أتوسد ذراعاً أو أسوى تحت رأسى ذراعاً ، والمنحوض الذى قد ذهب لحمه ، والفعل منه (نُحِضَ) على ما لم يسم فاعله فهو منحوض ، يريد أتوسد ذراعاً قد ذهب لحمه ، وفصوصه منتهى العظم عند المفصل من كل جانب ، و (دحاها) : بسطها ، (ومُثَّل) : منتصبة ، و (أعدل) معطوف على (آلف) وهى حكاية حاله كما سبق فى (آلف) ، و (منحوضا) مفعول (أعدل) : أى (أتوسد) ذراعاً قليل اللحم ، وكأن وما عملت فيه : حال من الضمير فى (منحوضا) ويجوز جعله نعتا لـ (منحوضا) ، و (دحاها) نعت لـ (كعاب) ، (فهى مُثَّلُ) : مبتدأ و خبر لا موضع له ، لأن الفاء تمنع من ذلك .

المبرد : (المنحوض) : القليل اللحم ، يقول : أعدل ذراعاً منحوضا أى قليلا لحمه ، فأتوسده ، و (فصوصه) فواصل عظامه ، الواحد (فص) ، و (دحاها) : بسطها ، شبهها فى قلة لحمها وظهورها بكعاب ، ضرب بها مثلت أى انتصبت ، وإنما يريد بهذا كله ، أنه قليل اللحم ، ضعيف ، معصوب له عظام شديدة القصب .

العكبرى : (المنحوض) : القليل اللحم ، (وفصوصه) : مفاصل عظامه (ودحاها) : بسطها ، وَمُثَّلُ : انتصبت .

(أعدل) : فعل مستقبل ، يحكى به حاله ، كما ذكرنا فى (آلف) ، و (منحوضا) : مفعوله ، أى ذراعاً قليل اللحم ، أى أتوسده عند النوم (وكأن)

وما عملت فيه نعت لـ (منحوض) ، و (دحاها) : نعت لـ (كعاب) (فهى مثل) : جملة لا موضع لها ، لأن : الفاء يستأنف ما بعدها والله أعلم .

ابن زاكور : (أعدل) بالكسر : مضارع (عدلته) بالفتح ، أى : أقمته و (المنحوض) : المهزول ، أو موصوفة محذوفة أى : (ذراعاً منحوضا) و (الفصوص) : جمع فص ، وهو ملتقى كل عظمين ، و (الكعاب) : جمع (كعب) ، وهو عظم ناشز ، فى كل من جانبى القدم ، و (دحو الكعاب) : الرمى بها ، لأن فى ذلك بسطا لها الذى هو معنى (الدحو) ، و (المُثَّل) جمع (ماثل) : أى منتصب ، يقول : وأنصب ذراعاً مهزولا تشبه مواصل عظامه (كعابا) رمى بها على الأرض شخص لاعب بها فهى ، لأجل ذلك منتصبة ، قائمة ، فالغرض من التشبيه هنا بيان مقدار هزال الذراع ، فإنه أفاد أن ذلك فى الغاية وإنما يعدل (المنحوض) ليتوسده : والمعنى : أنه يفترش الأرض ، ويتوسد ذراعه المهزول ، كما قال غيره :

يارب سار بات ما توسدا إلا ذراع العنس أو عظم اليدا

عطاء الله : (وأعدل) : أى أنصب ، وهو معطوف على (آلف) قصد به أيضا حكاية الحال الماضية (منحوضا) أى ذراعاً قليل اللحم ، فأتوسده من : نحضه المرض إذا نهك جسمه ، (كأن فصوصه) أى (مفاصل عظامه) ، (كعاب) : جمع كعب ، وهو ما يلعب به من العظام (دحاها) : أى بسطها ، (لاعب فهى) : أى تلك الكعاب (مُثَّل) : أى منتصبات : جمع (ماثل) ، شبه تلك الفصوص ، فى ضمرها وقلة لحمها بكعاب ، ضرب بها ، فمثلت : انتصبت : يريد من هذا : أن له عظاماً قليلة اللحم ، شديدة العصب ، قوية جداً ، و (منحوضا) : مفعول (أعدل) ، (وكأن) وما عملت فيه : نعت لـ (منحوصا) وجملة (دحاها لاعب) : نعت لـ (كعاب) ، وجملة (فهى مُثَّل) : مستأنفة لأن الفاء يستأنف ما بعدها فلا محل لها من الاعراب .

٤٤ ــ فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ
لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

الزمخشرى : (تبتئس) : تحزن وتكره ، قال حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنــه :

ما يقسم اللهأقبل غير مبتــئس منه وأقعد كريما خـالى البــال

و (أم قسطل) : الحرب ، سميت بذلك لأن الحرب تثير القسطل ، وهو الغبار ، وتولده ، فلذلك نسبت إليه الغبطة حسن الحال ، والفعل منه غبطته أغبطه غبطا ، إذا تمنيت مثل حاله من غير أن تريد زوالها قال الشاعر :

وبينما المرء فى الأحياء مغتبــط إذا هو الرِّمس تعفوه الأعاصيرُ

أى (مغبوط) فى الأحياء : والمعنى : إن حزنت الحرب لمفارقة الشنفرى لها الآن فطالما اغتبطت به قبل ، (الباء) للسببية ، أى بسبب فراق الشنفرى ، وجواب الشرط (لما) ، (ولما) هذه : جواب قسم محذوف ، وتقديره ، والله لما اغتبطت ، والشرط موطىء للقسم ، وفى الحقيقة القسم المقدر مع جوابه : جواب الشرط ، كقولك : إن جاء زيد والله لأكرمنَّه ، والذى يقع من هذا النمط ، موطئا للقسم ، يأتى باللام غالبا ، وكأنه لما حذف القسم وموضوعه لتأكيد ما يخبر به أتى باللام فى الشرط للتأكيد عوضا من الحذف ، ومنه قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنَ رَّبِكَ ﴾ ﴿ وَلَئِنْ أَمَرتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ مَعَكَ ﴾

وقد جاء بغير لام ، قال تعالى :

﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ ﴾

وما فى (لما) يجوز أن تكون مصدرية ، أى لاغتباطها ، ويجوز أن تكون بمعنى الذى : أى الذى اغتبطت به ، وعلى كلا الوجهين (ما) : مبتدأ ، وأطول خبره ،

وإذا كانت بمعنى الذى كان العائد محذوفاً ، تقديره للذى اغتبطت به من الشنفرى أو بسبب الشنفرى ، و (قبل) مبنية لما تقدم .

المبرد : (القسطل) : الغبار : إنما يريد بأمّ قسطل : (الحرب) و (تبتئس) : تلقى بؤسا من فراقه .

العكبرى : (تبتئس) : تلقى بؤسا من فراقه ، والقسطل : الغبار ، وأم قسطل : الحرب ، (ولما اغتبطت) : هو جواب قسم محذوف ، و (ما) بمعنى الذى : وهو مبتدأ ، (أطول) : خبره ، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية ، فعلى الأولى : تقديره ، للذى اغتبطت به من الشنفرى ، وعلى الثانى : لاغتباطها بالشنفرى ، وجواب القسم أغنى عن جواب الشرط ، والشرط موطىء للقسم ، أكثر ما يأتى باللام ، كقوله عز وجل :

﴿ ولئِن مَّسَتْهُمْ نَفْحَة مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ ﴾ [الأنبياء : ٤٦]

وهو كثير ، وقد جاء بغير لام ، قال الله عز وجل :

﴿ وإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ .. ﴾ [المائدة : ٧٣]

ابن زاكور : (ابتأس) : حزن ، والشنفرى واسمه (عمرو بن براق الأزدى) ، و (أم قسطل) بالسين والصاد أيضا كنية (الداهية) وأى داهية أعظم من الحرب ، ومن الحرب يتولد الغبار ، وهو (القسطل) ، والاغتباط : السرور ، يقول : إنه مسعر حَرْبٍ ومنجد للدواهى على قتل الأبطال ، فإن مات ابتأست منه الدواهى ، والحروب وحزنت عليه ، كما كانت تسر به ، على أن زمان اغتباطه أطول وقوله هذا تعزيه لها ، والتعزية فى الحقيقة لنفسه : المعنى أنه إن قدر موته وابتأس منه ما ذكر به ، فلم يكن ذلك إلا بعد أن أمات كثيراً وأوقد نيران الحروب ، زمانا طويلا ، وفى ذلك اغتباط الدواهى ، وسرورها ، فلم يفته شيء تُحَبُّ لأجله الحياة إذ ذاك غاية ما كان يطلبون الحياة له كما قال قطرى بن الفجاءة :

فإن أمت حتف أنفى لا أمت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمِدُ
ولم أقل لم أساقِ الموتَ شاربُه فى كأسه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

عطاء الله : (فإن تبتئس) أى : تلق بؤسا وشدة (بالشنفرى) أى بسبب فراقه ، على أن (الباء) للسببية ، والمضاف محذوف ، وأراد نفسه ، لأن الشنفرى ، اسم للشاعر ، ففيه التفات على رأى السكاكى (أم قسطل) أى الحرب ، وهو فاعل (تبتئس) والقسطل (الغبار) كنيت بذلك لاشتمالها على ما تثيره الخيل من العجاج ، وقيل المراد من أم قسطل (المرأة الفقيرة) كأنه ليس عندها إلا التراب ، كما في قوله تعالى :

﴿ أو مسكينا ذا متربة ﴾

أى ملصق يده بالتراب ؛ كناية عن فقدها للمال ، ويقال للرجل : أغبر ، وللمرأة : غبراء بهذا المعنى ، (لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول) لَماَ بفتح اللام ، وتخفيف الميم واللام جواب قسم محذوف ، وما إما مصدرية (مبتدأ) وأطول (خبره) أو موصول مبتدأ ، وأطول : خبره ، والعائد محذوف ، و (اغتبطت) فعل مبنى للفاعل من الاغتباط ، وهو التبجح بالحالة الحسنة ، والتقدير على الأول ، والله لاغتباطها بالشنفرى أطول ، وعلى الثانى ، والله للذى اغتبطت به من أجل الشنفرى أطول ، وقوله (قبل) : أى قبل أن تبتئس ، فحذف المضاف إليه ، ونوى بثبوت معناه ، فبنى (قبلُ) على الضم ، وهو إحدى حالات أربع لها ولأخواتها ، قوله : (أطول) أى أوسع زمنا والظرفان من قوله بالشنفرى وقبل متعلقان بـ (اغتبطت) وحذف جواب الشرط لدلالته جواب القسم عليه ، وأكثر ما يصدر جواب القسم المحذوف باللام ، كما هنا وكما فى قوله تعالى :

﴿ ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين ﴾

والبيت يتضمن وصفه بالشجاعة على إرادة المعنى الأول من (أم قسطل) ووصفه بالكرم على تقدير إرادة المعنى الثانى منه ، والأول مبنى على تنزيل الحرب منزلة

العاقل ، بحيث تلقى بؤسا بفراقه ، واغتباطا بوجوده حيث يقع فيها من آثار الشجاعة من القتل والضرب والهزم ما لا يقع من غيره فى غيرها .

٤٥ ــ طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ
عَقِيرَتُــهُ لأَيِّهــا حُــمَّ أَوَّلُ

الزمخشرى : (الطريد) : المبعد ، و (تياسرن لحمه) : مأخوذ من (يسر القوم الجزور) : إذا اجترزوها ، واقتسموها . و (عقيرته) لحمه ، ومن يقال للرجل الشريف : عقيرة ؛ إذا قتل ، والمعنى أن الجنايات أبعدته ، فليت شعرى بأيها تؤخذ نفسه أولا ، (طريد) : خبر مبتدأ محذوف تقديره : الشنفرى ، و (تياسرن) صفة لـ (جنايات) : أى مقتسمة ، و (عقيرته) : مبتدأ ، و (لأيها) : الخبر ، ويجوز أن يكون لأيها معمول (حُمَّ) ، والمجموع خبر المبتدأ ، ويجوز أن يكون (حُمَّ) حالا من أى ، والعامل وما يتعلق به ، أى والعائد ، وهى الهاء : ضمير (الجنايات) ، والضمير فى (حُمَّ) أيضا عائد إلى (الجنايات) ، ولم يؤنث حملا على لفظ أى لأنها بمنزلة البعض أى بعض الجنايات ، وأما أول فمبنى على الضم وموضعه نصب ، أى لأيها قدرت أو عجلت أول شىء وبنيت على الضم لقطعها عن الإضافة (كقبل وبعد) .

المبرد : (تياسرن) : اقتسمن لحمه ، كأنهن ضربن عليه بالميسر وهى (القداح) ، و (الياسر) ، و (اليسر) : الضارب بالقداح ، و (عقيرته) : نفسه ، وجثته اللتان يعقران متى ظفر به .

العكبرى : (تياسرن) : اقتسمن لحمه ، و (عقيرته) : نفسه (طريد) : يعنى الشنفرى ، و (تياسرن) : نعت لـ (جنايات) و (عقيرته) :

٤٧ ــ وإلف همومٍ ، ما تزال تعوده
عياداً ، كحمى الربع أو هِى أثقل

الزمخشرى : (الرِّبع) فى الحمى : أن تأخذ يوماً وتدع يومين ، ثم تجىء فى اليوم الرابع . والمعنى : أن الهموم تعتادنى كما تعتاد الحمى الربع . و (إلف) معطوف على (طريد جنايات) . و (ما تزال تعوده) صفة لهموم : أى ملازمة العَوْدِ إليه . وقيل ، بكونه صفة ألف ، وحَسَّنَ ذلك عود الضمير فى (تعوده) إليه . و (عياد) منصوب على المصدر ــ كما تقول : قام قياما ، وصام صياماً . وقيل : مصدر غير جارٍ ، لأن مصدر (عاد يعود) عَوْدُ . وقال شيخنا محب الدين ــ قدّس الله روحه : الأجود أن يكون اسماً للمصدر ، وليس بمصدر ، ويعمل عمل المصدر كما عمل العطاء عمل الإعطاء ، فعلى هذا يكون مضافاً إلى المفعول وهو (الحَمِىّ)[1] ، و (الرِّبع) الفاعل . وقوله : (أو هى أثقل) يعنى : أن الهموم عنده أعظم شأنا من الحمى الربع .

المبرد : (حُمَّى الربع) أن تأخذ المرء يوماً وتدعه يومين . يقول : تعتاده الهموم كما تعتاد حمى الربع المحموم

العكبرى : (الحَمِىّ) المحموم . يقول : يعتادنى الهمّ كحمَّى الرّبع . و (إلف) معطوف على (طريد جنايات) . و (ماتزال) وما عملت فيه نعت لـ (إلف) ، ويجوز أن تكون نعتاً لـ (هموم) ؛ وإنما ساغ الوجهان لأن الضميرين يعود أحدهما على (إلف) ، والآخر على (هموم) ، فلذلك ساغ الوجهان . و (عياد) مصدر على غير قياس ؛ لأن مصدر (يعود) عَوْدٌ . ويجوز أن يكون مصدراً مثل : يقوم قياماً ويصوم صياماً ، والأحسن أن يُجعل اسماً للمصدر ، ويعمل عمله ، وهو مضاف إلى المفعول وهو : (الحَمِىّ) ، ووزنه (فعيل) ، والفاعل : (الربع) . وقوله : (أو هى أثقل) يعنى الهموم أثقل عنده من حمى الربع . والله أعلم .

---

(١) هنا يراجع كلام العكبرى ويصحح هذا عليه .

ابن زاكور : (الحمّى) فعيل بمعنى مفعول . وهو الذى أصابته الحُمّى . و (الربع) ــ بالكسر ــ هنا : الحُمّى التى تخلى عن صاحبها يومين ثم تغشاه بعدهما[1] فيكون يومها رابعا ليومها قبله . و (الحَمِيّ) مجرور بإضافة (عِياد) إليه ، وهو مصدر : عاد المريض يعوده . و (الربعُ) بالرفع : فاعل المصدر ، ورُوى بنصب الحمّى وجَرّ الرِّبع[2] بإضافة المصدر المفصول من المضاف إليه بالمفعول ؛ فيكون نظير قول الله سبحانه :

﴿ قتل أولادِهم شركائهم ﴾

بنصب : أولادهم بـ (قَتْل) ، وجر شركائهم بإضافته .

ومعنى البيت : هو طريد جنايات ، وموالف هموم ، لا تغيب عنه غيبة انقطاع ، فهى تتردد إليه كما تتردد حمى الربع إلى المحموم ، بل الهموم أكثر ثقلا من الحمى المذكورة .

عطاء الله : (وإلف هموم) جمع (هَمّ) : وهو ما يزعج النفس وتعلقها ــ أى : معتادها فكأنها ألفته وأحبته أو ألفها وأحبّها ــ على أنّ (فِعْلاً)[3] بمعنى مفعول ــ أو بمعنى فاعل . (ما تزال) هذه الهموم (تعوده) أى تَرِد عليه المرّة بعد الأخرى ــ كما يعاد المريض (عياداً) هو اسم مصدر لعاد ، والمصدر العَوْدُ . ويجوز أن يكون مصدراً مثل : القيام والصيام (كحمى الربع) الكاف : اسمية صفة لمصدر محذوف ؛ أى : عياد مثل عياد حمّى الربع و (الحمى) مرض يورث البدن سخونة أو برودة منشؤه تعفّن الأخلاط ، و (حُمّى الرّبع) هى التى تأتى يوماً وتقلع يومين وتأتى

---

(١) فى المطبوعة (بعدها) .

(٢) وهذا الوجه يدل على جواز الفصل بين المتضايفين وهو رأى الكوفيين ، وله شواهد .

(٣) هذا هو الصواب ، وفى المطبوعة (فاعلاً) . وليس له معنى ، لأن المراد (الفاً) على وزن (يفعل) فإن كانت بمعنى فاعل كان لم بمعنى الأول . وإن كانت (مفعول) كان الثانى .

فى الرابع . وخصّها بالذكر لكثرة دورها ، وبُطْىء انتقالها ، بخلاف حُمّى الوِرْدِ والغِبّ ، (أو هى) أى : بل تلك الهموم (أثقل) أى أشد عنده من حُمّى الرّبع ، فـ (أو) للإضراب ــ كما فى قوله تعالى :

﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾

ــ أى : بل يزيدون .

وقوله : (وإلف هموم) معطوف على (طريد جنايات) وجملة (ما تزال تعوده) نعت لـ (إلف) ، أو لـ (هموم) ــ لاشتمالها على ضمير كل منها ، و (عياداً) مفعول مطلق مبين للنوع لوصفه بما بعده .

٤٨ ــ إذا وردت أصدرتُها ، ثم إنها
تثوب فتأتى من تُحَيْتُ ومن عَلُ

الزمخشرى : (وردت) بمعنى حضرت ، والورد : خلاف الصدر ، و (أصدرتها) : إذا رددتها . و (تثوب) ترجع . والمعنى : أنها إذا عاودتنى ــ يعنى الهموم ــ رددتها ، ثم تأتى من كل جهاتى لكثرتها فلا أستطيع ردّها .

و(إذا) ظرف ، والعامل فيها : جوابها ــ وهو[1] أصدرتها . وموضع (وردت) جر بالإضافة . والضمير فى (وردت) و (أصدرتها) للهموم . وإنما كُسِرَت (إنَّ) بعد (ثم) لأن الكلام الأول تم ، ثم استأنف كلاماً آخر ، وكل موضع وقعت فيه (إنّ) وكان مستأنفاً كسرتها ؛ فمن ذلك قوله ــ عز من قائل :

﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾

و (تثوب) خبر إن ، والفعل بعده معطوف عليه ، و (تُحَيْت) تصغير (تحت) ، وانما صغره لأن مراده أنها قريبة منى ، لاتبعد إذا أصدرتها . و (عَلُ)

---

(١) فى النسخه : وهى ــ والصواب ما أثبتناه .

ظرف أيضا ، لأن المعنى : (تأتى من أسفل وأعلى) . و (عُل) مأخوذ من العلوّ ، يستعمل على وجوه :

(عَلِ) بكسر اللام ــ أى من مكان عال ، قال امرؤ القيس :

..... **كجلمود صخر حطه السيل من عَلِ**

و (عَلَ) بفتح اللام . قال أبو النجم :

باتت تنوش الحوض نوشاً مِن عَلاَ

و (عُل) ــ بضم اللام ــ قال الشاعر :

فى كنــاس ظاهــر يستــره من عُل الشفا هدابُ الفَنَنْ

و(من) لابتداء غاية الإتيان . أى : ابتداء الإتيان من هذا الموضع .

المبرد : .....

العكبرى : الضمير فى (وردت) للهموم ، وكذلك الضمير فى (أصدرتها) و (إذا) شرط . والعامل فيه جوابه ، وهو (أصدرتها) ، و (إن) بعد (ثم) مكسورة لأنها جملة مستأنفة ، مثل قوله عز وجل ــ :

﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ﴾ [المؤمنون : ١٥]

و (تحيت) تصغير (تحت) ، ويراد بالتصغير فى مثل ذلك قرب المسافة ، و (من) تتعلق بـ (تأتى) ، وكلا الظرفين مبنى على الضم ، لأنهما قُطعا عن الإضافة ، والأصل : « من تحته ومن أعلاه » . و (عُل) محذوفة اللام ، لأنها من العلو . والله أعلم .

ابن زاكور : (الورود) الحضور بعد الغيبة ، و (الإصدار) الرد . يقول :

إذا حضرتنى الهموم رددتها ، أى فرجتها عن نفسى وهونت أمرها علىّ ، ثم إنها

تثوب ــ بالمثلثة ــ أى تعود وترجع أعظم مما أصدرتها ، فتأتى من أسفل ومن فوق .

عطاء الله : (إذا وردت) أى أتت تلك الهموم علىّ كما ترد الماشية الماء ، فيه : أن ورودها عليه اضطرارى . (أصدرتها) : أى أبعدتها ، كما تصدر الماشية عن الماء ، وفيه أن إصدارها باختياره . (ثم إنها) أى الهموم بعد إصدارها لا تستمر على البعد بل (تثوب) أى ترجع (تأتى) إلىّ (من تحيت) أى من تحتى ــ على حذف مضاف [إليه][1] ، ونية ثبوت معناه .

والتصغير ههنا لتقريب المسافة المكانية كـ (آتيك بُعَيْد العصر) لتقريب المسافة الزمانية . و (من عُل) أى من فوق ، ففعل به ما فعل بالظرف قبله . والمراد أنها تأتيه من كل جانبه ــ تسمية للكل باسم البعض ، أو اكتفى بذكره عن ذكر الباقى من الكل . و (إن) بعد (ثم) مكسورة لأنها جملة مستأنفة ــ كما فى قوله تعالى .

﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ .

والظرفان يتعلقان « بتأتى » ، و (عَلُ) محذوفة اللام ؛ لأنها من العلُوّ . وهذا البيت كالتأكيد لمعنى البيت قبله .

٤٩ ــ فإمَّا تَرَيْنى كابنة الرمل ضاحيا
على رقــة أحفى ولا أتنعــل

الزمخشرى : (ابنة الرمل) قيل : هى الحية . وقيل : هى الوحشية . و (ضاحياً) بارزاً ومنه قوله ، صلى الله عليه وآله وسلم :

« اضح لمن أحرمت له »

تقول : ضحيت للشمس ضحاء (ممدود) ــ إذا برزت ، وضحيت بفتح

---

(١) فى الأصل = « على حذف مضاف » ، وهذه زيادة اقتضاها السياق ، لأن المحذوف هنا هو المضاف إليه وهو (ياء المتكلم) التى تعود على الشنفرى .

الحاء ــ مثله . و (على رقة) يعنى رقة حال . (إمّا) : إن الشرطية زيدت عليها (ما) ولا تمنع عملها ــ كما لم تمنعه (لا) ، لأنها إنما جاءت للتوكيد . و (ترينى) من رؤية العين ، وهو مجزوم بإن الشرطية ، وقد جاء مثل هذا فى الكتاب العزيز كثير بنونٍ مشدّدة للتأكيد ، فتكون النون كذلك ، ولم نره فى القرآن إلا على ذلك ، ومنه قوله سبحانه :

﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ ، ﴿ فإما ترِينّ من البشر أحداً ﴾ .

والنون فى « ترينى » نون الوقاية ، وليست نون الضمير ، وحذفت النون بالجازم . و (كابنة الرمل) حال من المفعول فى (ترينى) ــ وهو[1] الياء ــ أى « ترينى مشبها ابنة الرمل » . و (ضاحيا) حال أيضاً من الياء فى (ترينى) . و (على رقة) حال أيضا من الضمير فى (ضاحيا) ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (أحْفَى)[2] ، و (لا أتنعل) توكيد قوله (أحفى) ، إذ من المعلوم أن من كان حافيا كان غير متنعِّل .

المبرَّد : (ابنة الرمل) البقرة الوحشية . (ضاحيا) بارزا للقرّ والحر ــ كهذه الوحشية . ويقال : هى الحية . ويقال : هى بقرة . (على رقة حال) وهزال . و (نبات الرمل) الحيّات وما أشبهها من ساكنى الرمل . ويروى (أتسربل) .

العكبرى : (ابنة الرمل) البقرة الوحشية . (ضاحيا) بارزا للقر والحَرِّ ، (رقة) يريد رقة الحال .

(فإما ترينى) : إن الشرطية زيدت عليها ما للتوكيد . و(ترى) مجزوم بها . وأكثر ما يأتى هذا اللفظ مؤكدا بالنون ، كقوله عز وجل :

﴿ فإما ترين من البشر أحداً ﴾ [مريم :٢٦]

---

(١) فى الأصل : وهى .

(٢) ويجوز أيضا أن يكون حالا من الضمير الفاعل فى (ترينى) ، كأنه قال : (ترينى فقيراً) .

و لم يقع فى القرآن إلا كذلك ؛ لأن زيادة (ما) للتوكيد يقتضى أن يكون الفعل مؤكدا . و (ترى) من رؤية العين و (نى) النون للوقاية وليست من الضمير ، والياء ضمير المفعول . و (كابنة) فى موضع نصب على الحال ــ أى : « ترينى مشبها ابنة الرمل » . و (ضاحيا) حال من الضمير فى (أحفى) ، و (لا أتنعل) معطوف على (أحفى) ــ وغرضه به توكيد الحفا فى كل حال .

ابن زاكور : (ابنة الرمل) البقرة الوحشية . و (الضاحى) البارز للشمس . و (الرقة) خلاف الغلظة ، و (الرقة) فى القَدَمِ أن يدق أسفله حتى يؤلمه المشى ــ ويسمى ذلك « حَفَا » بالقصر ــ مصدر : حَفِى الحيوانُ ــ بالكسر ــ بذلك المعنى . وأما المشى بلا فعل فحفاء ــ بالمد ــ وهو أيضا مصدر حفى بالكسر . و « وأحفى » مضارعه أى أمشى بغير نعل . و (التنعُّل) تكلف لبس النّعال ، يقول مخاطباً لمؤنث :

فإن ترينى مثل البقرة أو الظبية فى حال كونى بارزاً للشمس ، وفى حال كونى أمشى بغير نعل ــ مع رقة فى قدمى يؤلمنى المشى بسببها ، ولا أتكلف مع ذلك لبس النّعال ، وجواب الشرط فى قوله :

فإنى لولى الصبر ، أجتاب بزه على مثل قلب السمع ، والحزم أنعل

ابن عطاء : (فإمّا ترِيْنى) النون للوقاية . والياء مفعول به . والفاعل : ضمير المؤنثة ــ كأنه يخاطب محبوبته . و (إنْ) شرطية زيدت عليها (ما) للتأكيد . والفعل مجزوم بـ (إن) ، وأكثر ما يأتى هذا الفعل مؤكداً بالنون ، خلاف ما هنا ــ كقوله تعالى :

﴿ فإما ترين من البشر أحداً فقولى : إنى نذرت للرحمن صوماً ﴾

بل لم يقع فى القرآن إلا كذالك ، لأن الأنسب لزيادة (ما) أن يكون الفعل مؤكداً لتكون للتأكيد والمبالغة فى التقوية . (كابنة الرمل) أى : مشبهاً لها ، فهو

حال من الياء فى (ترينى) . و (ابنة الرمل) قبل هى الحية ، وقبل : البقرة الوحشية . وقيل : بذات الرمل هى الحّيات وما أشبهها من سواكن الرمل . (ضاحيا) أى بارزا للحر والقر ، وهو حال من الياء أيضا ومن الضمير فى كابنة الرمل .[1] (على دقة) أى هزال . والظرف[2] حال من الياء ــ أيضا ــ أو من الضمير فى كابنة الرمل[1]، أو من الضمير فى (ضاحيا) ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير فى الفعل من قوله (أحفى) أى أمشى حافيا لا نعل برجلى . فقوله : (ولا أتنعل) ــ أى لا ألبسنَّ نعلا برجلى ــ توكيد . ويروى « ولا أتسربل » ــ أى لا ألبس سربالاً ، يصف نفسه بالحفا والعُرى ، وعليه فالعطف مغاير ، والمقصود من قوله (ضاحيا) إلى آخر البيت بيان وجه الشبه بينه وبين ابنة الرمل . أى مثلها للبروز للحر والقر ، والكون على رقة وحفا ، أو مع عُرى .

وجواب الشرط هو مدخول الفاء فى أول البيت الذى يليه ، ففى هذا البيت التضمين . وقد تقدم معناه فى بعض سوابقه .

٥٠ ــ فإنى لمولى الصبر ، أجتاب بزه
على مثل قلب السمع والحزم انعل

الزمخشرى : (مولى الصبر) وليّه ، يريد : أنا القائم به . وكل من قام بأمر أحد أو وليَه فهو وليّه . و (الصبر) حبس النفس عن الجزع ، وقد صبر فلان عند المصيبة ، وصبرَته = حبسته . وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى رجل أمسك رجلا وقتله آخر :

« اقتلوا القاتل واصبروا الصابر »

---

(١) لا تعلم ضميراً فى كابنة الرمل ، وإنما الضمير المستتر يكون فى الأفعال ومشتقاتها ، وليس (ابنة الرمل) فعلا ولا من المشتقات فليُتأمّل .

(٢) مصطلح (الظرف) هنا يقصد به الجار والمجرور .

أى احبسوا الذى حبسه للموت حتى يموت .

و (أجتاب) ألبس ، و (البزّ) من الثياب أمتعة البزاز ــ يريد :

« انى وليه ، ألبس ثوبه »

و(السمع) سبع مركب ، وهو ولد الذئب من الضبع . وفى المثل : « أَسْمَعُ مِن سمع » . قال الشاعر :

تَراهُ حَدِيدَ الطَّرْفِ أَبلجَ وَاضِحاً أَغَرَّ ، طَوِيلَ البَاعِ ، أَسْمَعَ من سِمْعِ

و (الحزم) ضبط الرجل أمره ، وأخذه بالثقة . وقد (حزُم) الرجل ــ بالضم ــ حزامة ، فهو حازم . والمعنى :

إنى القائم بالصبر أتصرف فيه ــ كما أريد ــ ، وأحتذى الحزم ، فإنى ملك هذه الأشياء ، وقاهر لها . والفاء جواب الشرط ، وهو (إما) فى البيت قبله . و (لمولى) خبر إن . و (أجتاب) يجوز أن يكون فى موضع رفع خبر ثان لـ (إنى) ، والأجود أن يكون حالاً من الضمير فى (مولى) ، و (على مثل) حال ، وصاحبه الضمير فى (أجتاب) ، و (الحزم) مفعول (أفعل) .

المبرد : ويروى (أفعل)[1] .

(مولى الصبر) وليه . و (أجتاب) أقطع . وهذا مَثَل ضربه . و (السمع) ولد الذئب من الضبع ، والعشيارة : ولد الضبع من الذئب .

العكبرى : (مولى الصبر) وليّه . و (أجتاب) أقطع . و (السِّمع) ولد الذئب من الضُّبع . (فإنّى) الفاء جواب الشرط . و (أجتاب) يجوز أن يكون فى موضع رفع خبر آخر ، وأن يكون حالاً من الضمير فى (مولى) ــ أى : ملازم الصبر مجتاباً ، وهو من (جبت القميص) إذا قطعته لتلبسه . و (على مثل) حال أى أجتاب الصبر شديد النفس . و (الحزم) مفعول (أفعل) .

---

(١) يقصد أن (أنعل) يروى (أفعل) .

ابن زاكور : (مولى الصبر) وليّه وحليفه ، واجتياب البَزّ ــ أى السلاح هنا ــ لبسه ، كاجتياب القميص . و (السمع) ــ بالكسر والعين المهملة ولد الذئب من الضبع ، وهو أخبث حيوان ، يضرب به المثل فى شدة العدو ، وفى شدة السّمع فيقولون : « أسمع من سِمْع » و « من السمع الأزل » ، ومن الأدل قول الشنفرى هذا فى مرثية خاله تأبط شرا :

مسبل فى الحى أحوى رفل وإذا يغزو فسِمْع أَزِلُ

و (الحزم) الضبط والأخذ فى الأمور بالأحوط ، وهو منصوب مفعول مقدم بأفعل . مضارع (فعل)[1] . والمعنى : « إن ترينى كما ذكر فإنى لحليف الصبر ــ أى ملازمه ــ فى حال كونى ألبس سلاحه على قلب مماثل لقلب ولد الذئب الذى أمه ضبع ، وناهيك بقوته وجرأته ، وأفعل الحزم فى الأمور وأحتاط فيها ، فلا تفريط عندى ولا إضاعة .

عطاء الله : (فإنى لمولى الصبر) أى : وليّه الحقيق به . و (الصبر) توطين النفس على المشاق ، وعدم الجزع عند إصابة المكروه ، وهو من الأوصاف الحميدة ، والخصال المجيدة ، (أجتاب) من : جُبت القميص : قطعته ، (بَزّه) بفتح الباء الموحده أى مفاوزه (علَى) قلب (مثل قلب السّمع) أى ولد الذئب من الضبع ، يضرب به المثل فى الجلادة وقوة القلب ، وذلك هو وجه الشبه . وأما ولد الضبع من الذئب فهو (عشيارة)[2] والظرف حال من الضمير فى (أجتاب) أى : أجتاب الصبر حال كونى شديد النفس . و (الحزم) أى الاحتياط فى الأمور ، (أفعل) أى أبنى أفعالى على الحزم والاحتياط . فالحزم ــ بالنصب ــ مفعول (أفعل) قُدِّم عليه .

---

(١) فى المطبوعة (فعلة) ، فإن كانت هاء اللفظة مفعولا به فهو جائز على بُعْدٍ والأحسن ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : عسبارة ــ بالسين والباء ــ ونظنه تصحيفا .

٥١ ــ وأُعْدِم أحيانا وأغنى ، وإنما
ينال الغنى ذو البُعدة المتبذل

الزمخشرى : (العَدَم) بفتح العين والدال ــ الفقر ، وكذلك هو بضم العين وسكون الدال ، و (أُعدم) افتقر ، و (أحيانا) جمع حين ، والحين يطلق على الوقت ، قال خويلد :

كابِى الزَّماد عظيمُ القَدْرِ جَفْنَتُهُ حِينَ الشِّتاءِ كَحَوْضِ المِنْهَل اللَّقِفِ

و (الحين) أيضا ــ المدة ، ومنه قوله تعالى :

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾

و (البِعدة) بضم الباء وكسرها : اسم للبُعد ــ كما يقال : بيننا بُعدة من الأرض ــ والقرابة[1] ، قال الأعشى :

فَلاَ تَنْأ مِنْ ذِى بِعْدَةٍ أَن تُقَرَّبَه

و (المتبذل) الذى لا يصون نفسه ، و (أُعْدِمُ) ماضيه (أَعْدَمَ) . و (أُعْدِم) فعل لازم : أى أصبر ذا عُدْمٍ ــ كما يقال : أجرب الرجل ــ إذا صار ذا جرب ، و (عَدِم) مُتَعَدٍّ . وهذا عكس القاعدة ، وهو أن يكون (أفعل) متعديا و (فعل) لازماً . و (أحيانا) ظرف ، والعامل فيه : (وأعدم) .

المبرّد : يقال : عدُم الرجل يعدم ، وأَعْدَم يُعْدِم بمعنى ، و (أغنى) أستغنى . و (البعدة) فى الهمة . يقول : من كان ببعد الهمة ناله ما طلب . يروى بكسر الباء وضمها .

العكبرى : (أُعدم) ماضيه (أَعدم) وهو هنا لازم ــ أى أصبر واعُدْم . مثل

---

(١) يقصد أن لفظ (بعده) مشترك بين القرب والبعد فهو من المتضاد اللفظى .

قولهم : أجربَ الرجل ــ أى صار ذا إبل جَرْبَى . وعَدِم متعدٍ وهذا من غريب هذا الباب . وذاك أن (فعل) هنا متعدٍ و (أفعل) لازم . و (أحيانا) جمع قلة ، وهو ظرف لـ (أعدم) . والله أعلم .

ابن زاكور : (الإعدام) الافتقار . و (أَغْنَى) ــ بالفتح ــ مضارع (غَنِى) بمعنى (أستغنى) . و (البُعدة) ــ بالضم ــ كالرّحلة[1] : السّفره . و (المتبذّل) الذى يتكلف ابتذال نفسه ، أى امتهانها . يقول :

أفعل الحزم ، وأفتقر أزمنة ، وأستغنى كذلك ، وما يدرك الغنى إلا صاحـ

الذى يتكلف امتهان نفسه بالاغتراب عن الأهل ، وقطع المفاوز والقفار ، وفى هذا : الحث على استعمال الأسفار ، والتحذير من ملازمة القرار ، فإنه عين الافتقار .

عطاء الله : (وأُعدم) أى أفتقر . والعُدْم ضد الوجد ، وهو من « أعدم الرجل » إذا صار ذا عُدم كأجرب الرجل ــ إذا صارت إبله جربَى . و (عَدم) متعدّ ، وهذا من النادر ؛ إذ الغالب فى (أفعل) التعدية ، وفى (فعل) اللزوم ، ونظيره كببته فأكَبَّ . وقيل : أعدم الرجل وعدم ــ بمعنى واحد ، وعلى هذا فعدم تارة تستعمل لازما ، وتارة متعديا ، (أحيانا) أى فى أوقات قليلة ، جمع (حين) ، وهو ظرف لأعدم ، (وأغنى) فى أوقات كثيرة (وإنما) هى أداة حصر يليها المحصور ثم المحصور فيه ، فما بعدها بمنزلة ما قبل « إلا » وما بعده بمنزلة ما بعد « إلا » . واختلفوا فيها ، فقيل : تفيد الحصر بالمنطوق ، وقيل : بالمفهوم (ينال الغنى) أى كثرة المال (ذو البعدة) بضم الباء الموحدة ــ أى : صاحب[2] الهمة العليّة . يريد : أن من كان عالى الهمة نال ما طلب . و (البعدة) روى بكسر الباء على أنه اسم للحالة التى هو فيها ، وروى بضمها على أنه مصدر للمرة (المتبذل) أى

---

(١) قوله بالضم ــ كالرّحلة : يوجه على المعنى ــ يعنى كالرحلة فى المعنى ، لأن اللفظ لا يستقيم مع الضم .

(٢) فى المطبوعة . صاحبة .

الذى بذل نفسه للأسفار طلباً للغنى . والمعنى :

إنى أفتقر فى أوقات قليلة لكرمى ، وأستغنى فى أوقات كثيرة لعلو همتى .

٥٢ ــ فلا جزع من خلَّة متكشف
ولا مَرِح تحت الغنى أتخيل

الزمخشرى : (الجزع) نقيض الصبر ، وقد جزع من الشىء بكسر الزاى ، و (الخَلَّة) الحاجة والفقر ، و (المتكشف) الذى يظهر فقره وحاجته للناس . و (المَرح) شدة الفرح والنشاط ، وقد مَرِح ــ بالكسر ــ فهو (مَرِحٌ) و (التخيّل) التكبّر . والمعنى : لا أجزع عند حاجتى ، ولا أتكبر عند غنائى .

(جزع) خبر مبتدأ محذوف . التقدير : فلا أنا جزع . (من خلة) متعلق بـ (جزع) أى : فلا أجزع من خلة . (متكشف) مثل جزع ، وكذلك (مرح) ، و (تحت) ظرف لمرح ، وإن شئت كان ظرفا لأتخيل .

المبرد : (المتكشف) الذى يكشف فقره للناس . و (المتخيل) الذى يختال بغناه .

العكبرى : (المتكشف) الذى يكشف فقره للناس . و (المتخيل) المختال بغناه .

(فلا جزع) أى : فلا أنا جزع ، وكذلك متكشف . (من) تتعلق بـ (جزع) . (ولا مرح) أى : ولا أنا مرح . (تحت الغنى) ظرف لمرح . أو لأتخيل . والله أعلم .

ابن زاكور : (الجزع) بزنة فَرِح : الذى جَزِع ــ بالكسر ــ أى ذهب صبره ، والمصدر : الجزَع ــ بالتحريك . و (الخَلَّة) بفتح الخاء المعجمة : الحاجة أو الفقر ، و (المتكشف) المظهر الحاجة ، و (المتخيل) المظهر الخيلاء . قوله : (جزع) خبر مبتدأ محذوف . أى : فلا أنا فاقد الصبر من أجل أحتياج عرض لى ، مظهر لاحتياجى ، ولا أنا مرح ــ أى ذو مَرَح ــ بالتحريك ــ أى بَطَر ، وهو

الخروج على ما تقتضيه النّعم من الشكر عليها لعدم احتمال النفس لذلك ، فقوله : (تحت الغنى أتخيل) منصوب على الحال من المرح ، والمعنى : لست بمرح فى حال كونى مختالاً تحت الغنى ــ أى لأجله . وهذا معنى مطروق جداً ، وحاصله أن الدهر يومان ، يوم له ويوم عليه ، فإن كان عليه لم يضجر ، وإن كان له لم يبطر لاعتياده لكل من نعيمه وبؤسه ، وسعته وضيقه ، وشدته ورخائه ، فهو مهذب مجرب كالجزيل المحكك ، والعذيق المُرَجَّب .

عطاء الله : (فلا) أنا (جزع) ــ بكسر الزاى ــ أى متضجر فاقد للصبر ، (من) أجل عروض (خلة) أى فاقة (متكشف) أى مُطلع الناس على خلّتى ومظهر لهم خفىّ أمرى ، (ولا مرح) بكسر الراء ــ أى معجب بنفسى (تحت الغنى) أى فى حالة حصوله ، وهو ظرف لمرح (أتخيّل) أتيه على الناس وأتكبّر وفى الحديث :

« إن الله يبغض الشيخ الزانى والفقير المختال »

يريد ألا تزعجه الضراء ولا تستخفه السراء ، بل حالة الفقر عنده كحالة الغنى فى العفة والثبات والوقار . ولعمرى إن هذه لحالة الكُمَّل من الرجال .

٥٣ ــ ولا تَزْدَهى الأَجْهالُ حِلْمِى ، ولا أُرَى سَؤولاً بأعقَابِ الأَقاوِيلِ أُنْمِلُ

الزمخشرى : (تزدهى) تستخف ، و (الأجهال) واحدها : جَهْل . وجمع فعل على أفعال قليل لا يكاد يستعمل . والقياس أجَهُل ، وجُهُول . والنملة : النميمة .

ورجل نَمِلُ : نمّام . و (أنمل) أى أنُم . قال الكميت :

ولا أزعج الكَلِمَ المُزعجات للأقربين ولا أنمُل

و (لاتزدهى) جملة معطوفة على الجمل المتقدمة ، و (حلمى) مفعول مضاف إلى ياء المتكلم ، فيكون مبنيًّا ، وعلة بنائه أنه صار تابعا للياء ؛ إذ لا يكون ما قبلها

إلا مكسوراً ، فإذن صار تابعا فى البناء . وقيل : بُنى لأنه خالف تطائره من المضافات ، لأن شيئا منها لا يتبع غيره ، و (سؤولا) حال . والرؤية من رؤية العين ، والقائم مقام الفاعل « لأُرى » الضميرُ فيه تقديره أنا ،[1]، وهو المفعول ، و (بأعقاب الأقاويل) يتعلق بـ (أنمل) ، وأنمل : صفة[2]لـ (سؤولاً) ، ويجوز أن يكون (أنمل) حالاً من الضمير فى (سؤولا) ، وهى حال مقدرة .

المبرد : (تزدهى) تستخف ، و (الأجهال) جمع « جهل » لغة شاذة ، بل جمع « جهل » : جُهُول . وهى اللغة المستعملة (بأعقاب) بمآخير (أُنمل) أتُم ، يقال : « فلان نملة » إذا كان نماماً ، والنَّملة والنُّمله .

العكبرى : (تزدهى) تستخف . (الأجهال) جمع (جَهْل) ، و (أنمل) أنُمّ . و (النَّملة) بفتح النون وضمها ــ النميمة .

و (الأجهال) جمع قلة ، والجُهول : جمع كثرة . مثل : فَلس وفُلُوس .

وجمع القلة هنا شاذ ؛ لأن عين الكلمة ساكنة ، وهو حرف صحيح ، ونظيره : زَنْد و أَزْناد ، وفَرْخ وأفراخ .

و (سؤولا) حال ، والباء فى (بأعقاب) تتعلق بـ (أنمل) . أى : لا أنُمّ . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ابن زاكور : (الحِلْم) الأناة ، و ازدهاؤه : استخفافه . و (الأجهال) جمع جَهل ، و (أُرى) مبنى لما لم يُسَمَّ فاعله . أى : لا أُوجَد ولا أُلْفَى سؤولا ، و (السؤول) الذى يكثر السؤال ، و (الأقاويل) جمع قول ، و (أنمُل) ــ بالضم ــ مضارع : نَمَل بالفتح . ثم يقول :

لا تستخف الأجهال على حلمى ولا تحرك سكونى ، ولا يلفانى أحد مكثرا لسؤال

---

(١) يعنى أن نائب الفاعل للفعل (أُرى) هو ضمير مستتر تقديره (أنا) .

(٢) يعنى جملة : أنمل ــ الفعل والفاعل ــ صفة .

الناس فى حال كونى أنم بأعقاب الأقاويل ـــ يعنى أواخرها . أى أنقلهما إلى الخير على جهة الإفساد بينى وبين من نسبت له ، وسميت هذه الأقاويل أعقاباً لتأخرها عن الاعتبار ، والاعتداد بها عند ذوى الهمم . والله أعلم .

أو لأن الذى يُحفظ ويُنقل هو آخر ما يقال ، فباء (بأعقاب) متعلق بـ (أنمل) . على ما قدرنا .

عطاء الله : (ولا تزدهى) أى تستخف ، يقال : ازدهى الرجل ـــ إذا خفَّ عقله من كبر أو كثرة مال (الأجهال) جمع جَهْل ، والجهل : الحمق ، والمراد : أربابها . وجمعه كذلك لغة شاذّة ، والقياس فى جمعه جُهولٌ ـــ بضم أوّله ؛ كـ (ضرب) و ضُرُوب ، وقال بعضهم : هو جمع جاهل ، (حلمى) ـــ بكسر الحاء المهملة . أى عقلى ، ويجمع على أحلام . أى : لا تستخفنى الأَجْهال لكمال عقلى ، على معنى أنه يأخذ بقضية[1] عقله السليم ، ولا يعتبر بأقوال سفهاء الأحلام ـــ على خلاف . (ولا أرى) بضم الهمزة وفتح الراء ـــ مبنيّا للمجهول ـــ أى لا أُبصر ولا أُعْلَمُ (سؤولا) أى كثير السؤال أى : لا يكون منى سؤال أصلاً ، ولاكثرته ، فالنفى للقيد والمقيد جميعا[2] ـــ كما فى قوله تعالى :

﴿ **وما رَبُّك بظلاّم للعبيد** ﴾ .

وقد أوضحنا ذلك فى رسالتنا « القول الشافى فى بيان القيد والنافى » . وهو[3] حال من الضمير فى (أُرى) على التقدير الأول ، ومفعول ثانٍ لأُرى ـــ على التقدير الثانى ، (بأعقاب الأقاويل) أى أطراف الأحاديث ـــ كما رُوى كذلك ، والظرف متعلق بقوله : (أنمل) أى : أنم ، والنميمة : نقل كلام الغير إلى الغير ـــ

---

(١) بقضية هنا يعنى : بقضاء .

(٢) تفسر موضحة من مسائل الرازى فى هذه الآية .

(٣) يشير إلى سئولاً .

على وجه الفساد[1].

وهى صفة ذميمة جاء الشرع بتحريمها ، بل نظمها فى سلك الكبائر ، ففى الحديث :

« لا يدخل الجنة قتات[2] »

أى نمام .

يقال : رجل نُملة ــ بضم النون ــ أى : نمام . والنَّملة بضم النون وفتحها ــ النميمة .

٥٤ ــ وليلةِ نَحْسٍ يَصْطلى القَوْسَ رَبُّها وأَقْطُعَه اللاتِّى بِها يَتَنَبَّلُ

الزمخشرى : (النحس) ضد السعد ، و (النحس) البرد . وله[3] أراد ههنا . و (الاصطلاء) أن تقاسى حد النار وشدتها ، يقال : اصطليتُ بالنار ، ونصلَّيْتُ بها ، قال أبو زبيد :

وقد تصليت حَرّ حربهم كما تصلّى المقرور من قرس

والقرس : البرد . و (ربها) صاحبها . و (الأقطع) جمع قطع ، وهو نصل قصير عريض السهم . يريد أنه يصطلى القوس والسهام لشدة البرد . و (يتنبّل) أى يرمى بها .

(وليلة نحس) الواو : واو رُبَّ . ورُبّ بعدها مضمرة والجار بها دون الواو ،

---

(١) قيد بوجه الفساد لأن نقل الأخبار السارة ، والوسائط الحميدة والكلم الطيب ليس من هذا القبيل بل هو ذريعة إنماء الوُدّ وزيادة الصلات . وهو محمود فى الشرع .

(٢) فى الأصل : فتانة ، وهو تحريف قطعا ، والتصويب من المصادر .

(٣) كذا والأفضل : وإياه .

لأن الواو للعطف وهى غير مختصة بموضع ، بل تكون فى الأسماء والأفعال والحروف ، ومالا يختص لا يعمل إلا إذا كان نائبا غير مختص لا يظهر معه قولا واحداً ، مثل (واو القسم) فإنها لا تدخل على الباء أصْلاً ، ولذلك لم تعمل حروف العطف لأن العامل يظهر معها ، و (الواو) تدخل على (رُبّ) ــ مع أنها عاطفة ، و (يصطلى) نعت لليلة ــ أى مصطلى فيها ، و (أقطعَه) معطوف على القوس ، و (اللاتى) صفة لأقطعُ ، و (بها) يتعلق بـ (يتنْبل) .

المبرد : ويروى (وأقدحه)[1] ، (النحس) البرد هاهنا . وإذا اصطلى الأعرابى قوسه فليس وراء ذلك فى الشدة شىء . و (الأقطع) جمع قطع ــ وهو السهم القصير العريض النصل . و (يتنبّل) يختار لرميه . وأنشد الأصمعى لذى الأصبع :

قــوَّمَ أفواقهــا وترّضهــا أنبـل عـدوان كلهـا صَنَعـا

العكبرى : (وليلة نحس) مجرورة بـ (رُبّ) مضمرة ، وقيل : جَرُّه بالواو . و (يصطلى) نعت لليلة . و (أقطُعَه) جمع قِطْع ــ وهو جمع قِلة ، وجمع الكثرة (قُطوع) . و (بها) يتعلق بـ (يتنبَّل) .

ابن زاكور : (النحس) هنا : الشؤم والشدة . و (الاصطلاء) التسَخُّن بالنار . واصطلاء القوس : اصطلاء النار التى أوقدت بالقوس ، و (الأقطُع) جمع قِطع وهو هنا السّهْم ، و (التنبل) تكلف الرمى بالنَّبل ، ولا واحد للنبل من لفظه ، وقيل : واحده نَبْلة . والتقدير :

ورب ليلة شؤم وشدة برد موصوفة بما ذكر من الاصطلاء بالنار الموقدة بأعواد القوس التى لا غنى لصاحبها عنها لعدم ما يوقد به النار ــ سواها ، وسوى سهامها التى يتكلف الرمى بها نبالاً .

---

(١) يعنى (وأقدحه اللاتى بها يتنَّبل) .

ويصح ــ وهو الأوْلى إن شاء الله ــ أن يكون معنى يتنبّل : يصير نبيلا صاحب نُبل ــ بالضم ــ أى : ذكاء وحذق . ولا شك أن إجادة الرمى بالقوس من أمثل ما يدخل به الإنسان فى زمرة النبلاء ، كالفروسية[1]، والسباحة .

قوله : (وليلة) مخفوض بـ (رب) المقدرة بعد الواو ، ومع ذلك فهو مرفوع بالابتداء ؛ لأن (رب) حرف زائد يدخل على المبتدأ . وجملة (يصطلى) صفة « ليلة » ، وخبر المبتدأ فى قوله :

دعست على غطش وبغش وصحبتى سعارٌ وإرزيز ووجر وأفكل

عطاء الله : (وليلة نحس) أى برد . والمضاف مجرور بـ (رُبّ) مضمرة ، وقيل بالواو . (يصطلى) أى يتدثّر . (القوس) هى آله يرمى بها السهام ، وهو مفعول يصطلى . (ربها) أى صاحبها وهو فاعل . (واقطعه) جمع قِطع : سهم عريض النصل ، وهو معطوف على القوس . والضمير للرب ، والجملة نعت لـ (ليلة) . (اللاتى بها) ــ أى بتلك الأقطع ، والظرف متعلق بقوله (يتنبّل) . أى : يختارها للرمية ، وإذا اصطلى الأعرابى قوسه وسهامه فليس وراء ذلك فى الشدة شىء . وجملة : (يتنبل) خبر عن « اللاتى »[2]، وجملة المبتدأ والخبر صفة لأقطُعه . و (رُبّ) متعلق بـ (دعستُ) فى البيت بعده ، ففى هذا البيت التضمين ، وقد مَرّ الكلام عليه .

٥٥ ــ دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ ، وصُحْبَتى
سُعارٌ ، وارزيزٌ ، وَوَجْرٌ ، وأَفْكُل

الزمخشرى : (الدَّعْس) الطعن والوطء . و (الغطش) الظلمة . و (البغش) المطر الخفيف ، وهو فوق « الطّشّ » . و (السُّعار) بالضم ــ حر النار وشدة الجوع ، ومراده : حر عظيم من شدة الجوع ، يشبه حر النار . و (الإرزيز) البرد ،

---

(١) فى الأصل : الفروسة .

(٢) هذا منه إعراب غريب لجملة الصلة . فتأمّل .

و (الوجر) الخوف . وقد رُوِى : « ورِجز » ، وقيل : هو الخوف أيضا . و (الأفكُل) الرّعدة ــ على وزن أفعل .

(دعستُ) جواب « رُبَّ »[1] فى البيت قبله ، وموضع (وليلة نَحْسٍ) نَصْبٌ بـ (دعستُ) . أى : دعست بليلة نحس . ويجوز أن يكون (دعست) صفة لليلة ، أى : مدعوس فيها . ويكون العامل فى (رُبّ) محذوفاً ، وتقديره « تَعَمَّدتُ الدعس فى ليلة نحس » ، و (على غطش) : موضعه حال . أى داخلا فى ظلمة ومطر ، و (صُحْبتى) مبتدأ ، و (سعار) خبره ، والجملة حال . أى : مستصحباً . وصاحب الحال الضمير فى (دعست) .

المبرد : (دعستُ) دستُ يقول : سريت على هذه الحال . و (الغطش) الظلمة من قوله تعالى :

﴿ وأغطش ليلها ﴾

قال الأعشى :

ويهماء بالليل غطش الفلاة يؤرقنى صوت قبادها .

و (البغش) المطر الخفيف ، وأرض مبغوشة : أى ممطورة ، والسّعار حَرٌّ يجده الإنسان فى جوفه من شدة الجوع والبرد . و (إرزيز) إفعيل من أحد شيئين :

من الارتزاز : أى الثبوت ، يريد أنه يجمد فى مكانه من شدة البرد .

أو يكون من الرزّ : وهو صوت أحشائه من الشّدة .

و (الوجر) الخوف . يقال : أنا أوجر من ذلك ، ووجِرٌ من ذاك أى أخاف . و (الأفكل) الرعدة .

---

(١) قوله : جواب رُبّ لعله يقصد أنها خبر للمبتدأ المخفوض لفظاً بـ (رب) . أما أن يكون لـ (رب) عند النحاة جواب كجواب الشرط فلا نعرفه ، أو أن يكون لها خبر لنواسخ عندهم فلا نعرفه أيضا .

العكبرى : (دعستُ) دفعتُ . و (الغطش) الظُّلمة ، و (البغش) المطر الخفيف . و (سعار) هو الحرّ فى جوف الإنسان من شدة الجوع والبرد . و (إرزيز) إفعيل من الارتزاز ، أى الثبوت ، و (الوجر) الخوف ، و (الافكل) الرعدة .

(دعست) هو جواب « ربّ » مقدرة فى قوله : وليلة نحس ، وبـ (دعست) كان موضع (ليلة نحس) نصباً كما تقول : « بزيد مررت » . ويجوز أن يكون دعست نعتا لـ (ليلة) ، والعائد محذوف . أى : دعست فيها ، ويكون ما يتعلق به (رُبّ) محذوفا . أى : « وليلة نحس فعلت فيها كذا وكذا تعمدت أو قصدتُ » . وقوله (على غطش) هو فى موضع الحال . أى : دعست راكب ظلمة أو مساء . و (صحبتى) مبتدأ ، وما بعده الخبر . والجملة حال من التاء فى (دعست) والله أعلم .

ابن زاكور : (الدعسُ) هنا شدة الوطُ ، و (الغطش) بالغين المعجمة : الظلام ، و (البغش) بالغين والشين المعجمتين بعد الموحدة التحتية المطر الخفيف . و (الصحبة) ــ بالضم ــ الصحابة ، الواحد صاحب . و (السّعار) بالضم ــ حر الجوع ــ هنا ، و (الإرزيز) بكسر الهمزة فراء ساكنة فزاءين بينهما ياء : تكمش من البرد . و (الوَجَر) بفتح الجيم بين الواو والراء ــ الوَجَل ــ و (الأفكُل) بفتح الهمزة وسكون الفاء : الرعدة من خوف أو برد أو نحوه . يقول :

ورب ليلة نحس سريت فيها واطئا الأرض بشدة ــ مع ظلام ومطر ، وصحابتى ــ أى الملازمون لى فى سُراى : جوع شديد وبرد شديد ، وخوف ورعدة منه ، ومن البرد .

مجملة (وصحبتى) فى محل نصب على الحال من الفاعل . و (على) فى (على غطش) بمعنى (مع) .

عطاء الله : (دعست) أى دفعت بشدة وإسراع ، وسرت كذلك للإغارة على

أعدائى . (على غَطش) وهو بفتح الغين المعجمة وإسكان الطاء المهملة ، وشين معجمة ــ الظلمة ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وأغطش ليلها ﴾

والظرف . حال من الضمير فى (دعست) ، والمعنى : سِرْتُ راكب ظلمة أو ممسياً متلبساً بالظلام . و (بغش) هو بفتح الموحدة ، واسكان الغين المعجمة ، وشين معجمة : المطر الخفيف ، ومنه : أرض مبغوشة إذا كانت ممطورة . (وصحبتى) أى أصحابى ، (سعار) بضم السين المهملة وعين وراء مهملتين بينهما ألف : حرٌّ يجده الإنسان فى جوفه من شدة الحر أو البرد . (وإرزيز) بكسر الهمزة وإسكان الراء وكسر الزّاى وإسكان المثناه التحتيَّة هو إما من الارتزاز ، وهو الثبوت وطول القعود ، يريد أنه يجمد فى مكانه من شدة البرد . وإما من الرِّزّ ــ براء مكسورة مشدّدة وزاي مشدّدة أيضا ــ وهو صوت أحشائه من الشدة . (ووجْر) وهو بواو مفتوحة ثم جيم ساكنة ثم راء : شدة الخوف ، يقال : وجر فلان من فلان ــ إذا خافه خوفاً شديداً . (وأفْكَل) : بهمزة مفتوحة ثم فاء ساكنة ثم كاف مفتوحة ثم لام : الرعدة الشديدة . و(صحبتى) مبتدأ . وما بعده خبر ، والجملة حال من فاعل (دعست) . والمعنى :

انى أسير للإغارة على أعدائى بسرعة وشدة حال ، لا يردُّنى رادٌّ ، ولا يصدُّنى عنه صادّ ــ يصف نفسه بكمال الشجاعة ونهاية الصبر ، وتمام علوالهمة .

٥٦ ــ فأيَّمتُ نِسواناً ، وأيْتَمتُ إِلْدَةً
وعُدْتُ كما أبْدَأْتُ ، واللَّيْلُ أَلْيَلُ

الزمخشرى : (الأيّم) من لا زوج له من الرجال والنساء . أى : تركتهنَّ[1] بلا أزواج . و (اليُتْم) الانفراد ، وهو فى الناس من قِبَل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم . أى : تركت الأولاد بلا آباء . و (إِلدة) عبارة عن الأولاد . و (أليَل)

(١) فى الأصل : تركتهم ، ونظنه لا يستقيم مع (نسوانا) .

أى مظلم .

(الفاء) عاطفة على (دعست) ، و (إلدة) همزتها بدل من (الواو) ، لأنها من الولد والولادة . والكاف فى (كما) صفة لمصدر محذوف تقديره ، « وعُدْتُ عَوْداً مُشْبِها » ، و (ما) مصدرية ، أى : كإبدائى . و (الليل أليل) وهى حال ، وصاحب الحال الضمير فى (عُدْتُ) أى : عُدْتُ مُلْيِلاً ، وجاء بـ (أليل) للمبالغة .

المبرِّد : (أيمت) جعلتهن أيامى بلا أزواج ، و (الأيّم) التى لا زوج لها ؛ يقال : فلانة بيّنة الأَيمة والأُيوم ، و (اليُتْم) فى الناس من الآباء ، وفى البهائم من قِبَل الأمهات ــ هذا قول الأصمعى ، ويقال : (وِلدة) و (إلدة) ــ بهمزة الواو لمَّا انكسرت ــ كما قالوا فى (وجْوه) (إجوة) و (إقت) فى (وِقت) وكذلك يفعل بها إذا انكسرت أو انضمت من غير إعراب ، فهذا مطّرد فيها . و (أبدأت) ابتدأت . يقال : من أين أبدأ الركب ــ ووضح وأوضح وطرأ ودره ــ أى من أين ابتدأ وطلع . و (أَلْيَل) ثابت الظلمة مستحكمها . يقال : نهار أنهر ، وشهر أشهر ودهر أدهر ــ إذا كَمُل .

العكبرى : (أيْمتُ) أى جعلتهن أيامى بلا أزواج ، و (إلدَة) وولدة ــ بمعنى . و (الليل أليل) ثابت الظلمة .

الهمزة فى (إلدة) بدل من الواو ؛ لأنه من الولد والولادة . وإبدال الواو المكسورة همزة غير مطّرد . وأما إبدالها من الهمزة المضمومة ضما لازماً فجائز مطّرِد . والكاف فى (كما) نعت لمصدر محذوف ــ و (ما) مصدرية ــ أى : عَوداً كإبدائى . و (الليل أليل) جملة حالية من التاء فى (عدت) و (أليل) أفعل للمبالغة من الليل .

عطاء الله : (فأيَّمْتُ نِسْوَاناً) أى : أرملتهن بقتل أزواجهن ، والمرأة الأيّم هى

التى لا زوج لها . يقال : فلانة أيّم[1] .. وهو معطوف على (دعست) ومفرّع عليه . و (أيتمت إلدة) أى أولاداً صغاراً بقتل آبائهم . و (إُلدة) بكسر الهمزة وضمها أصلها (وُلِده) بضم الواو أو كسرها قُلبت واوها همزة (وعدت) أى رجعت (كما أبدأت) أى ذهبت ، لم يعرض لى شيء من المكروهات .

و (الكاف) اسمية صفة لمصدر محذوف ، و (ما) مصدرية : أى : عُدْتُ عَوْداً مثل إبدائى (والليل أليَل) أى ثابت الظلمة مستحكمها ، لم يشُبْهُ شيء من ضياء الصباح . والجملة حال من التاء فى (عُدْتُ) والمعنى : عُدْتُ ليلاً كما ذهبتُ لَيْلاً . وهذه الحال فى الحقيقة مبينة لوجه الشبه . والعرب إذا أرادت وصف الشيء بالتمام فى معناه اشتقت من اسمه اسماً آخر وشفعته به ، فيقولون « ليل أَلْيَل » ، و « نهار أنْهر » ، و « شهر أشهر » ، و « دهر أدهر » ، و « ظل ظليل » وغير ذلك .

٥٧ ــ وأصبح عنى بالغميصاء جالساً
فريقان : مسئول وآخر يسأل .

الزمخشرى : (الغميصاء) موضع بنَجْد ، و (الجَلْس) اسم لنجد ، يقال : جلس الرجل إذا أتى نجداً فهو جالس ، كما يقال : أتْهَمَ ــ إذا أتى تهامة . وقال الشاعر :

قل للفرزدق ــ والسفاهة كاسمها إنْ كنت تارك ما أمرتك فاجلسِ

(أصبح) تستعمل ناقصة : فيحتمل أنه أخبر عن الفريقين بأنهما دخلا فى الصباح فى هذه الحال ، و (فريقان) العامل ، و (جالساً) حال ، و (بالغميصاء) حال من الضمير فى (جالساً) أى أصبح جالساً وهو بالغميصاء .

والوجه الآخر : أن تكون ناقصة ، و (فريقان) اسمها ، و (جالساً) خبرها . والواجب أن يطابق الخبر الاسم فى التثنية والجمع ، ولكن اكتفى بالواحد عن الاثنين ، وقد جاء ذلك ، فمنه قول الشاعر :

---

(١) فى الأصل : أيِّمة . ولا نظن له وجهاً هنا .

وكأنّ فى العيْنين حَبَّ قُرُنْفل أو سنبلاً كحُلت به فانهلَّتِ

فأفرد (كحلت) وهو يريد (كحلتا) ، وكذلك (فانهلت) أى (فانهلّتا) وكذلك قول الآخر :

لمن زحلوفة زلّ به العينان تنهل

أى (تنهلانّ) . ففَعَل فيه كما تقدم .

وأما (عنّى) فالعامل فيها فعل محذوف يفسره (يسأل) تقديره : أصبح يسأل عنى فريقان . والداعى إلى هذا التقدير أنّ (يسأل) و (مسئول) صفة « لفريقان » . فلو أعمل واحداً منهما فى (عنى) لأعملت الصفة فيما قبلها ، ولا تعمل فيما قبلها لأنها نازلة منزلة الصلة مع الموصول ، وكما أن الصلة لا تعمل فى الموصول ولا فيما قبله فكذلك الصفة ؛ لأن ما فى حيّز الصفة كالصلة . والصفة مع الموصوف بمنزلة الاسم الواحد ويجوز أن يكون عنى صفة لـ (جالس) أى بعيداً مجاوزاً لى ، فلمّا قدّم صار حالاً ، ويجوز على هذا أن يكون متعلقا بـ (جالساً) ، و (بالغميصاء) ظرف ، العامل فيه (جالساً) أى جالساً فى الغميصاء ، ولا يعمل فيه ما هو صفة لـ (فريقان) لما ذكرنا قبل ، ويجوز أن يكون خبر أصبح (فريقان) أى مستقرين بالغميصاء ، فعلى هذا يكون (جالساً) حالاً من ضمير الاستقرار ، ولم تُثَنَّ الحال لما ذكرنا من الاكتفاء بالواحد عن التثنية ويجوز أن يكون حالاً من (فريقان) لأنه ــ وإن كان نكرة ــ فقد وُصف .

ويجوز أن يكون (جالساً) صفة للفريقان ، وإنما أفرد لما تقدم فلما قدم (جالساً) نصب على الحال .

و (مسئول) خبر لمبتدأ محذوف ، أى : أحدهما مسئول والآخر يسأل .

قال شيخنا محب الدين ــ أثابه الله الجنة :

الجيّد أن يُقَدَّر ههنا مبتدأ . و (مسئول) و (آخر يسأل) خبره ، ويكون التقدير (هما) .

وعند الأخفش أن الظرف يعمل الرفع فى الاسم الذى بعده كما يعمله الفعل فى الفاعل . سواء اعتمد على ما قبله أو لم يعتمد ــ ألا أنه إذا اعتمد كان موضع اتفاق . وههنا وافق الأخفش على أن الظرف ، وهو (بالغميصاء) لا يكون رافعاً لـ (فريقان) ، لأن أصبح يقتضى اسما مرفوعاً وخبراً منصوباً ، فإذا رفعت فريقان وتعرّى (أصبح) عن معمول ، وهو خرق القاعدة ، فلذلك وافق هنا .

المبرد : (الغميصاء) موضع . و (جالس) أتى الجَلْسَ ، وهى نجد ، يقال (جلس) إذا أتى الجلس ــ أى « نَجْداً » . وأنشد الأصمعى :

إذا أم سرباح عدت فى ظعائنٍ جوالس نجد ظلت العين تدمعُ

العكبرى : (أصبح) : هى الناقصة ، وسمها : فريقان ، و (جالسا) : خبرها مقدماً على اسمها ، ولم يثنّه أكتفاء بأحد الشيئين عن صاحبه كما قال الآخر :

وكأن فى العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ أو سنبلا كحلت به فانهلَّتِ

يريد : كحلتا . وقال الآخر :

لمن زُحْلُوفــــــــــةٌ زلَّ بها العينــــــان تَنْهــــــلُّ

يريد : تنهلان ، وزحلوقة : بالقاف ، والفاء .

و (مسؤول) : خبر مبتدأ محذوف ، أى : أحدهما مسؤول ، وآخر يسأل : معطوف عليه ، والجيّد أن يكون المبتدأ : هما فريق : مسؤول ، وآخر سائل والمعطوف عليه خبر المبتدأ ، والجملة صفة لـ (فريقين) ، فأما (عنى) ، فلا يتعلق بـ (مسؤول) ولا بـ (يسأل) لأن الصفة لا تعمل فيما قبلها ، وإنما يتعلق بمحذوف يفسره : مسؤول ، أو : يسأل ، كقوله عز وجل :

﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف ٢٠]

أى كانوا يزهدون فيه ، وقدر ذلك لئلا تقدم الصلة على الموصول .

وأما : (بالغميصاء) فظرف لـ (جالس) ، ولا يتعلق بـ (مسؤول) ، ولا

بـ (يسأل) لأنه صفة على ما تقدم ، ويجوز أن يكون : بالغميصاء ، خبر : أصبح ، و (جالسا) : حالا من الضمير فى الظرف ، وإنما جاز ذلك لأن الغميصاء موضع من نجد ، فلزمها اسم الجنس ، والآتى إليها جالس ، والإفراد على ما تقدم ، ويجوز أن يكون (جالساً) فى الأصل صفة لـ (فريقين) ، فلما قدم صار حالا ، والخبر بالغميصاء ، على ذكرنا ، والعامل فى الحال على هذا الوجه : أصبح ، لأنه العامل فى صاحب الحال .

وللأخفش فى عمل الظروف قول ينفرد به ، وذلك قولك : زيد فى الدار ، فـ (زيد) عنده يرتفع بالظرف ، كما يرتفع بالفعل ، وإن لم يعتمد على ما قبله ، فإن اعتمد جاز عند الجميع . فعلى قول الأخفش لا يجوز أن يرتفع (فريقان) بالظرف الذى هو (بالغميصاء) ، لأن : أصبح ، يقتضى مرفوعاً ، ومنصوبا ، وإذا جعلت الظرف كالفعل فى العمل ، لم يبق أصبح معمول ، وهذا موضع اتفاق ، والله أعلم .

ابن زاكور : (الغميصاء) بالغين المعجمة مصغرا ممدودا : موضع أوقع فيه خالد ابن الوليد ــ رضى الله عنه ــ ببنى جذيمة ، إثر فتح مكة ، (وفريقان) : تثنية فريق ، بمعنى مفارق لغيره ، وهو اسم أصبح ، و (جالساً) خبرها ، وأفرده ولم يقل جالسين ليطابق (فريقان) لفظا ، لأن (فريقان) فى معنى جمع مختلف (ومسؤول) : خبر مبتدأ محذوف ، أى : فريق مسئول والآخر يسأل ، وهذا تفصيل الإجمال (فريقان) ، وأهل المعانى والبديع يسمون مثل هذا المثنى المفسر باسمين على أثره فى آخر الكلام : توشيعا ، وهو فى اللغة لف القطن المندوف ، ووجهه أن المثنى ، وهو لفظ واحد لما كان معناه متعددا ، كان كلف القطن بعد ندفه ، و (عن) فى (عنى) معناها : التقليل ، وليست متعلقة بمسئول وسائل ، حتى يكون المعنى : فريق مسئول عنى ، وفريق سائل عنى ، لأن المسئول عنه مبهم ، غير معين بدليل السياق ، وتعلقه به يقتضى أن يكون صورة سؤالهم هكذا ، فعن الشنفرى أو الشنفرى فعل هذا ، وما أشبه ذلك ، ولا يلزم من كون الجلوس فى الغميصاء لأجله أن يكون معينا عندهم ، حتى يقال ، هذا أيضا لازم فى جعلها

للتعليل ، لأنا نقول قوله ، أى لأجلى معناه أن الجلوس سبب فعلته هو ، وسراه فى نفس الأمر ، ولم يعلموا به ، ولم يطلعوا على ما فى نفس الأمر من ذلك ، فجلسوا مستكشفين على ما كان : ومعنى البيت : وأصبح لأجل فعلتى المنكرة فى (الغميصاء) جمع مختلف (جالسا) بعضهم مسئول ، وبعضهم يسأله ، ورؤية ما تكرهه قوله :

فقالوا لقد هَرَّت بليل كِلابُنا فقلنا أذئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ

عطاء الله : (وأصبح عَنِّى بالغميصاء) بالغين المعجمة ، والصاد المهملة مصغراً : اسم موضع من (نجد) . (جالسا) أى آتيا الجلس بفتح الجيم ، وإسكان اللام ، لـ (نجد) يقال جلس فلان إذا أتى الجلس (فريقان) من الناس أحدهما ممن له خبرة بى (مسئول) عنى (وآخر) ممن ليس كذلك (يسأل) عنى فـ (فريقان) : اسم أصبح ، وجالسا خبرها ، وقيد بالصباح ، لأن السؤال المذكور . إنما يقع غالبا فى النهار أو أراد معنى صار فلا يتقيد بوقت من ليل أو نهار ، و (عنى) متعلق بمحذوف ، يفسره مسئول ويسأل على طريق التنازع ، وليس (جالسا) معمولا لـ (مسئول) ، و (يسأل) المذكورين ، لأنه صفه لـ (فريقان) ، والصفة لا تتقدم على الموصوف ، فكذلك معمولها كقوله تعالى :

﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾

أى كانوا زاهدين فيه من الزاهدين ، وقدر ذلك لئلا يلزم تقديم معمول الصفة على الموصوف ، و (بالغميصاء) متعلق بـ (جالس) لا (يسأل ، ومسئول) لما تقدم ، ويجوز أن يكون بالغميصاء خبر أصبح ، و (جالسا) حال من الضمير فيه ، حالا لازمة ، لأن الغميصاء كما تقدم موضع من نجد ، فالكائن فيه كاين بنجد لزوما ، وإفراد (جالسا) على التقديرين : من إقامة المفرد مقام المثنى كما قال الآخر .

وكأنّ فى العينين حب قرنفل أو سنبلا كحلت به فانهلت

مكان كحلتا به فانهلتا ، كما أقيم المثنى مقام المفرد فى قول الآخر :

فإن تزجرانى يا بن عفان أنزجر وإن تدعانى أحم عرضا ممنعا

مكان فإن تزجرنى ، وخرج على ذلك بعضهم كقول[1] امرىء القيس

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل .....

مكان قف ، وقيل الألف للتثنية ، وقيل بدل من نون التوكيد الخفيفة ، ولا يجوز أن يكون (فريقان) فاعلا بالظرف ، أعنى (بالغميصاء) ، لا عند من يشترط الاعتماد ، ولا عند غيره ، لأن أصبح فعل ناقص يقتضى اسما له وخبرا ، فإذا جعل (فريقان) فاعلا بالظرف لم يبق اسم لـ (أصبح) وامتناع هذا موضع اتفاق والمعنى لأنه لكثرة جناياته ، أصبح الناس يتناشدون عنه ، ويسأل بعضهم بعضاء بالغميصاء من نجد طلبا للثأر .

٥٨ ــ فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلاَبُنَا
فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ

الزمخشرى : هرير الكلب : صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد ، وهرَّ الكلب يهر هريرا ، قال الشاعر يصف شدة البرد :

إذا كبد النجم السماء بشتوة على حين هر الكلب والثلج خاشف

والخشفة : الحس والحركة ، وخشف الثلج وذلك فى شدة البرد تسمع خشفه عند المشى عليه ، ونصب حين لأنه جعل على فضلة زائدة ، والعس : الطواف بالليل ، وعس الكلب إذا ظاف فطلب ، والفرعل ولد الضبع ، وفى المثل أغزل من فرعل ، وهو من الغزل والمراودة ، والفاء فى فقالوا رابطة لما بعدها بما قبلها ، واللام فى (لقد) : جواب قسم محذوف أى والله (لقد) ، (بليل) ظرف لـ (هرت) ،

---

(١) فى الأصل قول ، والأنسب ما ذكرناه .

ويجوز جعله حالا من كلابنا ، وموضع هذه الجملة ، وما يتعلق بها نصب بـ (قالوا) ، لأنه المفعول ، وهى جملة محكية ، و (أذئب) يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى (العاس) ، وعس على هذا صفة ذئب أى : عاس : ويجوز أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره عس ، أى عس ذئب ، ومتى كان الاسم مرفوعاً وحكم بأنه فاعل لفعل محذوف ، كان الفعل واقعاً بعد الاسم المفسر للفعل المحذوف من جنس المفسر ، و (عس) الذى بعد ذئب لا موضع له ، وهو المحذوف و (أم) هى المعادلة همزة الاستفهام متصلة ، لأنه يصح أن تقدر بأيهما فيقال : أيهما عس ، كما إذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ، أى أيهما عندك ، وإنما كان كذلك ، لأن أيهما اسم مفرد ، فإذا كان خبرها متحدا جاز لا أن يكون مختلفا بجر ، كما إذا قلت : أزيد فى الدار أم عمرو فى السوق ، لأنه لا يصح تقدير أيهما عندك ، وقيل بل هى منقطعة ، لأن كل واحد من الاسمين ، وهما ذئب ، وفرعل ، قد اختص بخبر أسند إليه ، وما بعد فقلنا نصب به لأنه محكى[1] .

المبرد : (عس) : طاف ودار ومنه سمى العسس عسا ، والفرعل ولد الضبع ، والأنثى فرعلة ، والجمع فراعل ، يقول : دعست عليهم فنبحت كلابهم ، فتوهموه ذئبا .

العكبرى : عَسَّ : طاف ، والفرعُل : ولد الضبع ، والأنثى فرعلة .

لقد هرت : جواب قسم محذوف ، وموضع الجملة المحكية بعد القول نصب بـ : قال ، أى : ذكروا هذا الكلام . وبليل : يتعلق بـ « هرت » ، وقوله : أذئب هو مرفوع بفعل محذوف يفسره قوله : عَسَّ ، ولما كان موجوداً بعد الاسم قدر ما قبله من جنسه ، وعلى هذا لا يكون لـ : عس ، موضع من الإعراب لأنه يفسر ما لا موضع له .

---

(١) قوله محَكىّ يعنى واقع حكاية عن القول فيكون فى معنى المفرد فلذلك صح نصبه بالقول .

و (أم) هنا هى المنقطعة ، لأن كل واحد من الاسمين له خبر يخصه ، وموضع الجملتين نصب بـ : قلنا ، لأنهما محكيتان .

ابن زاكور : معناه ما قدمناه من جلوسهم للتحدث ، والاستخبار عما كان سبب سراه ، وحكايتهم ما ظنوه سببا لهرير الكلاب ، عند سماعه ، فقالوا جميعا أو من قاله : لقد هرت كلابنا فى الليل هريرا مرداً ، لم نعلم سببه ، فقلنا جميعا بمعنى أن بعضهم ، قاله لبعض ، فالفاعل السائل ، والمفعول له المسئول : أذئب عس أم سرى طالبا ، أم عس فرعل ، وهو ولد الضبع ، وهذا حكاية لقولهم عند سماعهم الهرير ، وهو صوت دون نباح لبرد أو غيره ، بحسب اعتقادهم ، وهو أن سببه أحد أمرين : عس الذئب أو الفرعل من غير قطع بأحدهما .

عطاء الله : (فقالوا) معطوف على محذوف معطوف على دعست ، تقديره : دعست عليهم ، فنبحت كلابهم ، فقالوا (لقد هرت) اللام للقسم أى : والله لقد نبحت (بليل) أى فيه (كلابنا) جمع كلب ، وهو حيوان يتخذ للحراسة ونحوها ، (فقلنا) هو من جملة مقول القول السابق ، أى فذكرنا هذا الكلام ، وفهمنا بهذا الحديث ، (أذئب عس) أى طاف ، ومنه سمى العس عسسا لطوفانه بالليل (أم عس فرعل) هو بالراء ، والعين المهملة ولد الضبع من الضبعان ، والأنثى فرعلة ، والجمع فراعل ، أى هرت الكلاب من أجل ذلك ، واعلم أن السؤال بالهمز ، و (أم) كما هنا ، إنما يكون ممن اعتقد وقوع أحد أمرين ، وشك فى تعيينه ، فيسأل كذلك طالبا للتعيين ، فيجاب إما به إن كان مصيبا فى اعتقاد وقوع أحد الأمرين ، وإما بنفيهما جميعا إن كان مخطئا فيه ، ومن الثانى قوله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ لذى اليدين لما سأله : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ :

« **كل ذلك لم يكن** »

أى لم يقع شيء من القصر أو النسيان ، تخطئة له فى اعتقاده وقوع أحد الأمرين .

ومن ثم قال له ذو اليدين بعد ذلك ، بل بعض ذلك قد كان مناقضا للسلب

الكلى بالإيجاب الجزئى ، ثم قال ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ لأصحابه :

« أحق ما قال ذو اليدين » ؟

فقالوا : نعم ، فقام وأتى بركعتين أخريين ، بانيا على ما تقدم ، وسجد للسهو وسلم ، ولا يلزم حينئذ مطابقته قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك لم يكن للواقع ، لأن المراد كل ذلك لم يكن فى ظنى ، واعتقادى ، وهذا خبر مطابق للواقع ، وقد حققنا ذلك أكمل تحقيق فى رسالتنا كشف الرين عن حديث ذى اليدين وهذا بخلاف السؤال بالهمزة ، تقول : أزيد عندك أو عمرو ، فإنه إنما يكون ممن تردد بين وقوع أحد الأمرين ، وعدم وقوع شيء منهما ، فالجواب إما بنفى وقوعهما أو باثبات وقوع أحدهما من غير تعيين بلا تخطئة للسائل أصلا ، ولو قال فى الجواب : زيد عندى بالتعيين ، كان الجواب خطأ ، لأن السائل لم يسأل عن ذلك ، فلا يتلقى به ، فاعرف ذلك الفرق ، فإنه مما دق على أفهام ، وخفى على أقوام ، والباء فى (بليل) تتعلق بهرت ، وقول (أذئب) مرفوع بفعل محذوف يفسره عس ، فلا موضع لـ (عس) المذكور من الإعراب ، لأن مفسره المحذوف كذلك ، (وأم) ههنا منفصلة ، ويقال لها منقطعة أيضا وهى التى يليها جملة ، سميت بذلك لانفصال ما بعدها عما قبلها ، وانقطاعه عنه بخلاف المتصلة فهى التى يليها مفرد ، نحو أزيد عندك أم عمرو ، وسميت بذلك لاتصال ما بعدها بما قبلها ، وارتباطه به ، وموضع الجملتين النصب بـ (قلنا) لأنهما محكيتان به .

(تنبيه)

الاستفهام من الله لا يكون إلا للتقرير ، أو للتوبيخ ، ولا يكون للاستعلام إلا على طريق الحكاية عن الغير ، لأنه تعالى عالم بكل شيء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

٥٩ ــ فَلَمْ تَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ
فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ

الزمخشرى : (النبأة) صوت ، أى : ما كان إلا صوت ثم نامت ، لأن التهويم هوالنوم ، يقال : هومت أى : نامت ، (ريع) أى : أفزع و (الأجدل) : الضفر ، والمعنى : إنه لم يوجد من الكلاب إلا صوت فزال نومى ، كما يزول نوم القطاة ، والأجدل ، بأدنى حركة أو صوت ، ولم جازمة لـ (يك) ، والأصل يكون ، فحذفت حركة النون بالجازم ، فلما سكنت النون ، حذفت الواو لسكونها ، وسكون النون بعدها ، وكان حذف الواو أولى ، لأنه حرف علة ، ثم حذفت النون لكثرة الاستعمال لهذه الكلمة ، ولا يقاس عليه مثل يمون ويهون ، ويصون ونظائره لكثرة الاستعمال لـ (كان) ، و (كان) هنا تامة لأنها بمعنى الوجدان ، ونبأة فاعلها وإلا غير عاملة هنا فى اللفظ ، وإنما أثرت فى المعنى ، لأنها نفت النفى المتقدم و (ثم) عاطفة للجملة التى بعدها على الجملة التى قبلها ، وليست عاطفة لـ (هومت) على نفس يكن ، لأنه يؤدى إلى نفى التهويم ، ومراد الشاعر اثباته . و (قطاة) خبر مبتدأ ــ أى : أهذه قطاة ؟ و (ريع) صفة لقطاة ، أى : مروعة . وقيل : (قطاة) مبتدأ ، و (ريع) خبره ، وفيه بُعد ، لكون المبتدأ نكرة ، ولم يقو بشىء كالمواضع التى يبتدأ بالنكرات فيها . وترك التأنيث فى (ربع) شاذ مخالف للقياس ، إذ القياس يقتضى عند تقدم الاسم على الفعل إلحاق التاء على الفعل ، كقولك « هند قامت » ، و « زينب أقبلت » . وقد جاء من ذلك شاذاً :

فــلا مزنــة ودقت ودقهــا ولا أرضُ أبقــل إبقــالها .

فلم يلحق التاء فى (أبقل) . وقيل إن القطاة طائر ، والطائر اسم جنس ، فلم يلحق التاء حملاً على الجنس . والهمزة مقدّرة فى أول قطاة أى : أقطاة ؟ ودل على صحة هذا التقدير قوله : (أم ريع أجدل ؟) ، والكلام فى (أم) هذه كالكلام فى (أم) المقدمة .

المبرد : (نبأة) صوت . (هومت) يعنى الكلاب ــ أى نامت بعد النياح . و (الأجدل) الصقر ــ وهو مأخوذ من الجدل ، و (أم) بدَل عن الألف ، ويروى : (أو ريع) و (ريع) : أفزع .

العكبرى : (نبأة) صوت . و (هوّمتْ) ــ يعنى الكلاب ــ أى : نامت . و (الأجدل) الصقر . أى : نومى كنوم الصقر .

(فلم يك) الأصل : لم يكن ، إلا أن النون حُذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ، وإثبات النون جائز . قال تعالى :

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾

ولا يجوز مثل ذلك فى (يصون) و (يهون) ونحوهما ، لأن ذلك لا يكثر كثرة (كان) . ولم يسمع حذف النون ألبتة فى غير : (يكن) .

(نبأة) فاعل (يكن) ، وهى تامة بمعنى يوجد . و (إلا) ههنا لا تغير الإيجاب بل تغير المعنى . و (ثم) هنا غير عاطفة لـ (هومت) على (يكن) ، لأنه منفى ، والمعطوف عليه يقتضى أن يكون منفيا مثله ، وليس المبنى عليه ، بل هى عاطفة جملة على جملة ، والضمير فى (هومت) للكلاب .

و (قطاة) مبتدأ . و (ريع) خبره ــ ولم يؤنث لوجهين :

أحدهما : هو على الشذوذ ، والقياس إثبات التاء ، لأن الاسم قد تقدم على الفعل ، فهو نظير قول الآخر :

فــلا مزنــة وَدَقَتْ ودقهــا ولا أرض أبقــل إبقــالها

والثانى : أنه حمل القطاة على جنس الطائر ، كأنه قال : طائر ريع .

والتقدير : (أقطاة) ، فحذف همزة الاستفهام لدلالة الهمزة الأخرى عليه . كقوله تعالى :

﴿ أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ [ص : ٦٣]

ـــ على قراءة من كسر الهمزة .

ابن زاكور : (النبأة) هنا صوت الكلاب ـــ أو صوت منبتر لا مادة له ، وكذلك أصوات الكلاب . و (التهويم) هز الرؤوس من النعاس ، و (ريع) أصابه روع ـــ أى فزع ـــ و (الأجدل) الصقر . قوله (نبأة) يروى بالرفع على أن (يك) تامة ، وبالنصب على أنها ناقصة . والاسم حينئذ ضمير الهرير . والمعنى :

أنهم قالوا فى تمام الحكاية : فلم يك الهرير الذى سمعناه إلا خفيّا ـــ أى لم يقو ، و لم يدُمْ ، ثم نامت الكلاب بعده ، فتغير اعتقادنا أيضا ، وإن لم يكن مطابقاً أيضا : « أقطاة حصل لها روع فطارت أم صقر هو الذى أفزع فطار فهرت الكلاب ، فانقطع ذلك فاتقطع هريرها » إذ لو كان سببه اعتساس الذئب أو الفرعل لدام ، لأن الهرير بحسب موجبه فى القوة والضعف ، وطيران القطاة والأجدل عند الروع أضعف من الذى يترتب على الثانى .

والحاصل أنه يستدل بصفة الهرير على سببه ، ولما تبيّن لهم عدم مطابقة اعتقادهم الثانى أيضاً فى كون الهرير لقطاة أو أجدل ريع ، قالوا : ما حكاه هو عنهم بقوله :

فإن يك من جن لأبرحَ طارقا وإن يك إنساً ما كَها الإنس يفعلُ

عطاء الله : (فلم يك) أى يوجد ، على أنها تامة ، والأصل « يكن » بالنون ، فحذفت تخفيفاً لكثرة استعمال هذه اللفظة ، وإثبات النون جائز ، قال تعالى :

﴿ لم يكن شيئا مذكوراً ﴾

ولا يجوز الحذف فى (يصون) و (يهون) ، لأن ذلك لم يكثر كثرة يكون ، فشرط حذف النون من (يكون) أن يكون الفعل مجزوماً ، وألا يليه ساكن ، فلا حذف فى نحو

﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾

(إلانبأة) أى صوت . و (إلا) ههنا لا تغير الإعراب ، بل المعنى ـــ من النفى

إلى الاثبات ، (ثم هوّمت) الكلابُ ــ أى نامت وسكتت ، فلا تنبح . ورُوِى . (هوّموا) تنزيلاً لهم منزلة العقلاء ، لتمييزهم بين مايضر وينفع (فقلنا) من أجل ذلك (قطاة ريع) أى خيف (أم ريع أجدل) أى صقر . سمّى أجدل لجدالته وقوته . والهمزة قبل قطاة مقدّره دل عليها وجود (أم) قرينتها فى المعادل . و (قطاة) مبتدأ . و (ريع) خبره . ولم يؤنث الفعل ــ إما حملا للقطاة على الجنس ، فكأنه قال : « طائر ريع » وإماحملاً على شذوذ حذف التاء لتقديم الاسم على الفعل ــ لقول الآخر :

فــلا مزنــة ودقت ودقهــا ولا أرض أبقــل أبقــالها

مكان (بقلت) . و (أم) ههنا منقطعة أيضا .

٦٠ ــ فإن يكُ من جِنٍّ لأَبْرَحُ طارقا
وإنْ يَكُ إنساً ، ما كَهَا الإنسُ يَفْعَلُ

الزمخشرى : (البرح) : الشدة ــ قال الشاعر

أجدك هذا عمرك الله كلمــا دعاك الهوى برح لعينيك بارح

(إن) شرطيه ، و (يك) : تقدم الكلام عليها ، واسمهامضمر فيها ، أى : إن يك المروع ، و (من جن) : خبر كان ، أى : إن كان جنيا واللام فى (لأبرح) : جواب قسم محذوف ، أى والله لأبرح وهذا جواب القسم ، أغنى عن جواب الشرط ، كقوله تعالى :

﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾

وكما لو قلت : إن أكرمتنى لأكرمنك ، أى : والله ، و (طارقا) : تمييز ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (لأبرح) وهو (للطارق) ، وإن يك إنسا مثل أول البيت ، والكاف معناها التشبيه ، وهى حرف جر ، وقد تكون اسما ، وهى محتملة للأمرين هنا ، فإذا كانت حرفا ، حكم بأنها فى موضع نصب بـ (تفعل) ، وإن

كانت اسما : كانت مفعولا صريحا ، أى ما تفعل الإنس مثلها ، والضمير فى (ها) عائد إلى الفعلة التى وجدت ، و (الإنس) مبتدأ وتفعل خبره .

المبرد : (لأبرح طارقا) : لأعظم طارقا وأكرم ، ويجوز أن يكون حكى عن القوم ، ويريد أنه كان يأتى بالبرحاء ، وهى : الداهية ، (أبرح) أتى بالبرح ، وهو الشدة ، وقال بعضهم : البرح وهو الأول أكثر ــ قال حرم :

ما كنت أول مشتاق أضرَّ به برح النوى وعذاب فيه تعيير

والكاف فى قوله : (كها) : كاف التشبيه ، والهاء والألف راجعان إلى فعلته ، وهذا كقول العرب :

« من يعق أباه لا يفلح بعدها »

يريدون بعد العقة والفعلة

العكبرى : (أبرح) : أتى بالبرح ، وهو الشدة ، و (إن يك) : قد تقدم الكلام عليه ، والفاعل مضمر ، تقديره : إن يك هذا الطارق ، (ومن الجن) خبر كان ، و (لأبرح) : أى لقد أبرح ، أى جاء بالبرح ، (والفاء) : جواب الشرط ، و (اللام) : جواب القسم ، وفاعل أبرح ضمير الطارق ، و (طارق) : تمييز أو حال ، والعامل : أبرح ، وقوله : (وإن يك إنسا) : مثل أول البيت ، و (الكاف) : كاف تشبيه ، وهى حرف . و (ها) : ضمير الفعلة ، ودخول الكاف على الضمير شاذ فى الاستعمال ، وموضعها نصب بـ (تفعل) (والإنس) : مبتدأ ، و (تفعل) : خبره ، و (ما) : نافية . والتقدير ما تفعل الإنس مثل هذه الفعلة .

ابن زاكور : (أبرح) : فعل ماض ، فاعله ضمير الطارق المدلول عليه بما تقدم ، ومعنى (أبرح) : أتى بالبرح بالسكون أى : الشدة ، (والطارق) : الآتى ليلا ، و (كها) : جار ومجرور ، هو ضمير الفعلة المفهومة من سياق الكلام ، وجر الضمير بالكاف : شاذ ــ منه قول العجاج :

خلَّ الذنابات شما لا كثبا وأم أو عال كها أو أقربا

قوله : (فإن يك) : حرف شرط ، وفعله ، وهو مضارع كان الناقصة ، واسمه ضمير يعود على الطارق ، و (من جن) خبر يك ، و (لأبرح) : جواب الشرط (وطارقا) : حال من فاعل أبرح ، وقوله (ماكها) : جواب قوله : وإن يك إنسا جرده مما يستحقه من الفاء ضرورة ، ونظيره قول حسان رضى الله عنه :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

وحل البيت . فإن يك الطارق من جن ، ومن يحلف به ، لأتى بأمر عظيم ، وداهية دهياء مع قلة زمانه ، وخفاء مكانه ، بحيث ظن ذئبا أو فرعلا اعتس ، ثم ظن قطاة ، أو أجدلا حصل له روع ، وإن يك الطارق إنسا ، فما مثل هذه الفعلة تفعل الإنس ، فقد خرج عن نظائره من الإنس بفعلته المنكرة المقررة ، وهذا يدلك على ما قرره من كون المسئول عنه مبهما ، مطلوب التصور لا معينا مشكوكا فيما نسبه إليه ، ويسمى الأول تصورا ، والثانى تصديقا هذا ، و (الإنس) فاعل فعل مقدر ، دل عليه المؤخر فهو من الاشتغال فى المرفوع نظير قول الله سبحانه :

﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره ﴾

عطاء الله : (فإن تك) أى ذلك الطارق ، (من جن) المريع ، وهى أمة خلقهم الله من عنصر النار قادرون على التشكل بالأشكال الغريبة ، والتصور فى الصور العجيبة . (لأبرح) : اللام للقسم ، وأبرح : أى أتى بالبرحاء وهى الداهية ، وقيل أتى بالبرح بفتح الراء ، وقد تسكن فى ضرورة الشعر ، وهى الشدة ــ قال الخطفى :

ما كنت أول مشتاق أضرَّ به برح النوى وعذاب فيه تقتير

والأول أعرف وأشهر (طارقا) منصوب على التمييز أو على الحال من ضمير برح وهو من يأتى أهله ليلا (وإن تك إنسا) إعرابه كالذى قبله ، والإنس أمة خلقت من عنصرى الماء والطين . (ماكها الإنس) ما : حرف نفى ، والكاف حرف جر

معناه الشبه ، والهاء ضمير يرجع إلى الفعلة المذكورة ، ودخول الكاف على الضمير شاذ ، والجار والمجرور يتعلق بقوله : (تفعل) أى : يقع منهم مثل هذا الفعل ، والبيت بتمامه من جملة مقول قوله فقلنا .

٦١ ــ وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُوابُهُ
أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ

الزمخشرى : (الشعرى) : الكوكب الذى يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه فى شدة الحر ، وذاب الشيء نقيض جمد ، و (لوابه) ولعابه : واحد ، و (لوابه) هنا ما تراه من شدة الحر ، مثل نسج العنكبوت ، و (الأفاعى) : جمع أفعى ، وهى الحية ، و (الرمض) : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء أى أصابها الرمض ، و (التململ) : التحرك على الفراش ، إذا لم نستقر عليه من الوجع ، كأنه على ملة ، و (الملة) : الرماد الحار ، قال :

أباتك الله فى أبيات معتـر عن المكارم لا عف ولا قارى
صلد الندى زاهد فى كل مكرمة كأنما ضيفه فى ملة النار

المعتر : الذى يتنحى ، ينزل ناحية هربا من القرى ، قوله : ولا قارى أى لا يقرى الضيف ، والواو فى (ويوم) : واو رب ، وقد ذكر مثله ، ومن لبيان الجنس ، والتقدير ، ويوم من الأيام ، التى تطلع فيها الشعرى ، ومن الشعرى صفة يوم ، ويذوب نعت (ليوم) أيضا ، أى ذائب لوابه ، (وأفاعيه) : مبتدأ و (تتململ) : خبره ، و (فى رمضائه) متعلق بتتململ .

المبرد : (لوابه) و (لعابه) : واحد ، ولعاب الشمس الذى يرى فى شدة الحر ، وهو كالخيوط يعرض فى العين

العكبرى : و (يوم) : أى ورب يوم . من الشعرى : نعت لـ (يوم) ، والتقدير من أيام طلوع الشعرى ، وذلك فى شدة الحر ، و (يذوب) : نعت لـ (يوم) و (أفاعيه) : مبتدأ ، و (تتململ) : خبره ، (وفى) : تتعلق بـ (تتململ) ،

والجملة نعت لـ (يوم) ، و (لوابه) ، و (لعابه) : واحد ، وهو لعاب الشمس ، والله تعالى أعلم .

ابن زاكور : (الشعرى) : نجم، وهما شعريان العبور ، وهى المرادة هنا ، سميت بذلك ، لأنها عبرت نهر المجرة ، والأخرى الغميصاء ، وكانت الشعرى العبور تطلع فى شدة الحر ، و (لؤاب اليوم) ، و (لعابه) : ما يرى فيه عند الهاجرة متدليا فى الجو كخيوط الحرير ، ونسج العنكبوت ، وقد يضاف ذلك للشمس أيضا فيقال : لعاب الشمس . كما قال أبو الطب :

وأصدى فلا أبدى إلى الماء حاجة وللشمس فوق اليعملات لعاب

وقال الآخر :

..... **وذاب لؤاب الشمس فوق الجماجم**

وواحد الأفاعى : أفعى بالتنوين مصروف ، وقد لا يصرف كنظائره ، وهى أجدل وأخيل ، و (الرمضاء) : الأرض التى ترمض فيها أقدام من مشى عليها ، لاشتداد حرها ، و (التململ) : التقلب ظهراً لبطن من شدة الحر هنا ، أو من شدة الوجع فقوله ، و (يوم) مخفوض برب المقدرة بعد الواو ، وما بعده من الجمل وما فى معناها صفات له ، ومع ذلك فـ (يوم) مرفوع المحل بالابتداء ، خبره فى قوله :

نصبت له وجهى ولاكنَّ دونه ولا ستر إلا الأتحمى المرعبل .

عطاء الله : (ويوم) بالجر برب مضمرة ، وهى متعلقة بنصب فى أول البيت الآتى ، ففى هذا البيت التضمين ، وقدم الكلام عليه ، (من الشعرى) : أى من أيام طلوعها ، و (الشعرى) ، ويقال لها : الشعرى العبور : نجم فى السماء ، يطلع زمن شدة الحر ، (يذوب) أى يذاع ، (لوابه) بضم اللام أى : لعابه ، كما روى كذلك وارد لعاب الشمس الذى يرى فى شدة الحر المسمى بالسراب ، (أفاعيه) جمع أفعى ، وهى : الثعبان . (فى رمضائه) أى فى شدة حر ذلك اليوم ، الشبيه

برمضاء النار ، (تتململ) أى : تنقلب من شدة الحر ، وقوله من الشعرى : نعت لـ (يوم) ، وكذلك جملة يذوب لوابه ، وكذلك جملة أفاعيه فى رمضائه تتململ ، وفى رمضائه يتعلق بـ (تتململ) .

٦٢ ـــ نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِى وَلاَ كِنَّ دُونَهُ
وَلا سِتْرَ إلّا الأتْحِمَىُّ المُرَعْبَلُ

الزمخشرى : (النصب) : الإقامة ، تقول : نصبت وجهى للحر : أقمته ، (والكنّ) : الستر ، والجمع : أكنان ، قال عز من قائل :

﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾

قال الكسائى : كننت الشيء سترته وصنته من الشمس ، والأتحمى ضرب من البرود ـــ قال :

وعليـــــه أتحمـــــــــــى نسجـــه مـــن نســـج هـــورم
عزلتـــه أم خلمـــــــــــى كـــل يـــوم وزن درهـــم

والخِلم بكسر الخاء ، وسكون اللام : الصديق ، و (المرعبل) : الممزق ، يقال ثوب مرعبل أى ممزق ، نصبت هو العامل فى يوم ، الذى هو أول البيت المتقدم ، ويسمى جواب رب ، ويجوز أن يكون نعتا لـ (هذا) أى : ويوم منصوب له وجهى ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن نصبت قد استوفى مفعوله فلا يتعدى غيره ، وكذلك لو قلت : لقيت اليوم زيدا لم يكن اليوم مفعولا لـ (لقيت) ويؤيده عود الهاء فى له إليه ، وهذا شأن الصفة ، فعلى هذا يكون العامل فى رب فعلا تقديره : لا بست يوما شديد الحر ، والهاء فى له لـ (اليوم) ، و (لاكن) : كن مبنية مع لا لتضمنها معنى من المقدرة بعد لا ، ودونه فى موضع رفع أى : لاكنَّ أستقر دونه ، وهو خبر ، لا موضع هذا المجموع ، حال من وجهى ، أى : نصبت له وجهى بارزا أو مكشوفا (ولا ستر) معطوف على (لكن) ، والخبر محذوف دل عليه خبر لا الأول ، و (الأتحمى) مرفوع بدل من موضع لا واسمها ، لأن موضعهما

رفع على أنه مبتدأ وهو مثل قولنا :

« لا إله إلا الله ، كأنه قال الله الإله » .

المبرد : (الأتحمى) : ضرب من البرود ، و (المرعبل) : المقطع الرقيق ، يقال رعبلته ورققته .

العكبرى : (الأتحمى) : ضرب من البرود ، و (المرعبل) : المقطع الرقيق (نصبت) : هو الفعل الذى يتعلق بـ (رُبَّ) ، ويسمى جواب رب ، والهاء فى : له لـ (اليوم) ، وقوله : (ولاكن دونه) : الجملة حال من الوجه ، والعامل فى نصبت ، ويجوز أن يكون : نصبت له وجهى : فى موضع جر ، نعتا لـ (يوم) ويقوى ذلك تعدى ، (نصبت) إلى (وجهى) ، وإذا تعدى الفعل إلى هذا المنصوب لم يتعد إلى غيره ، ألا ترى أنك ، لو قلت : لاقيت اليوم وجهى ، لم يكن مفعولا به لتعديه إلى الوجه ، ويزيده وضوحا عَوْد الهاء فى (له) إلى اليوم وهذا حكم الصفة ، فعند ذلك تتعلق (رب) بمحذوف ، كقولك : رب يوم من صفته كذا وكذا لابست أو لاقيت ، و (دونه) : ظرف موضعه رفع لأنه خبر (لا) فهو كقولك : لارجل خلفك ، والعامل فيه محذوف : أى لاكن مستقر أو كائن (ولا ستر) : أى ولا ستر دونه فحذف لدلالة الأول عليه ، و (الأتحمى) بدل من موضع (لا) واسمها ، لأن موضعهما رفع ، ومثله قولنا :

« لا إله إلا الله »

ابن زاكور : (الكن) بالكسر : الستر ، والغطاء ، و (الأتحمى) : برد منسوب إلى أتحم على ما قيل ، وهى بليدة باليمن ، وليس هذا فى القاموس والذى فيه أنه كالأتحمة ، والمتحمة كمكرمة ، ومعظمه برد معلوم ، وفيه أيضا تحم الثوب وشاه ، والتاحم : الحائك ، و (المرعبل) : المنخرق .

والمعنى : ورب يوم كان من أيام الشعرى ذائب لعابه ، فهو يسيل من شدة حره ،

متقلبة أفاعيه فى أرضه الحامية ، من شدة وهج الشمس ، ومالى ستر كائن دون وجهه لحره ، أى : سرت فيه منكشف الوجه من شعاع الشمس ، ومالى ستر كائن دون وجهى يقيه من وقع الحر عليه ، ولا غطاء إلا البرد المسمى بالأتحمى الذى تخرق ، وصار رعابيل أى قطعا ، ثم عطف على الأتحمى قوله :

وضاف إذا هبت له الرِّيح طيَّرت لبائد عن أعطافه ما ترجـل

عطاء الله : (نصبت) أى : أبرزت ، (له) أى لذلك اليوم (وجهى ولاكن دونه) أى والحال أنه لا مكان قريبا من وجهى يكن فيه ، ويقيه حر ذلك اليوم ، فالجملة حال من وجهى ، والعامل فيه نصبت (ولا ستر) بكسر السين أى : ساتر دونه ، فحذف من الثانى لدلالة الأول ، وأما الستر بالفتح : فمصدر ستره ، وجملة (ولا ستر) معطوفة على جملة لاكن ، (إلا الأتحمى) بفتح الهمزة وإسكان المثناه الفوقية ، وفتح الحاء المهملة ، وكسر الميم فى آخره باء مشددة : ضرب من البرود ، (المرعبل) أى : المقطع ، يقال : رعبلت القميص إذا قطعته ، و (الأتحمى) بالرفع بدل من موضع لا مع اسمها ، لأنهما فى محل رفع بالابتداء عند سيبويه ، كقولنا :

« لا إله إلا الله »

(والمرعبل) : نعت للأتحمى .

٦٣ ــ وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرتْ لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ

الزمخشرى : (الضفو) : السبوغ ، وثوب ضاف ، وشعر ضاف أى سابغ قال الشاعر :

ليـالى لا أطـاوع مـن نهانى ويضفـو تحت كعبـىّ الازار

و (اللبائد) : جمع لبيدة ، وهى الشعر المتراكب بين كتفيه ، و (الأعطاف)

جمع عطف ، وعطفا الرجل جانباه ، من لدن رأسه إلى وركيه ، وعطفا كل شيء جانباه ، (وترجل) : تسرح ، والمعنى : إنى لا يستر وجهى إلا الثوب الممزق ، وشعر رأسى ، لأنه سابغ ، وإذا هبت الريح لا تفرقه ، لأنه ليس بمسرح ، بل قد تلبد واتسخ ، لأنى فى قفر من الأرض ، ولا أعبأ بدهنه ، ولا ترجيله ، و (ضاف) معطوف على (الأتحمى) وهو صفة لمحذوف ، أى وشعر سابغ ، (وإذا) : ظرف لـ (طيرت) ، و (هبت) فى موضع جر بإضافة إذا إليه ، أى تطيره الريح ، وقت هبوبها ، ولبائد لا ينصرف ، وقد تقدم الكلام على نظائره ، وعن أعطافه متعلق بـ (طيرت) ويجوز أن يكون صفة لـ (لبائد) ، وترجل نعت لـ (لبائد) .

المبرد : (الضافى) : السابغ ، وإنما عنى شعره ، يقول : ليس يستره فى هذا الحر إلا البرد والشعر ، و (اللبائد) جمع لبيدة ، وهو ما تلبد من شعره ، لأنه لا يرجله ، ولا يدهنه ، (ويرجل) : يسرح .

العكبرى : (الضَّافى) : السابغ ، يعنى : شعره ، و (اللبائد) : جمع لبيدة ، وهو ما تلبد من شعره ، و (ترجل) : تسرح وتدهن .

و(ضاف) : مرفوعا عطفا على الأتحمى ، لأن المعنى : لا يمنع وجهى من الحر إلا الأتحمى ، وشعر رأسى .

(وإذا) : ظرف لـ (طيرت) ، و (عن) : تتعلق بـ (طيرت) ، (وما ترجل) : نعت لـ (لبائد) . والله أعلم .

ابن زاكور : (الضافى) : الشعر الكثير الطويل ، وهبوب الريح له إصابته إياه عند هبوبها ، أى هيجانها ، وتطيرها ، (لبائد) : جمع لبيدة ، بمعنى ملبودة ، من تلبد من الشعر : رفعها إياها عند الهبوب ، و (الإعطاف) : الجوانب ، واحدها : عِطف بالكسر ، و (ترجيل) الشعر : تسريحة بالمشط بعد الإدهان : والمعنى : ولا ستر دون الوجه إلا الأتحمى المرعبل ، وشعر طويل كثير ، إذا هبت الريح منتهية إليه فى هبوبها ، رفعت ما تلبد منه ، لعدم تسريحه وإدهانه ، وبعد تفقده بذلك ،

وهذا معنى قوله :

بعيدٌ بمسِّ الدُّهن والفلى عَهْدُه له عَبَسٌ عافٍ من الغِسْل مُحولُ

عطاء الله : (وضاف) : مرفوع بالعطف على الأتحمى ، وهو صفة لمحذوف ، تقديره وشعر ضاف ، أى طويل سابغ ، والمعنى لا يمنع عن شدة حر ذلك اليوم إلا الأتحمى ، وشعرى الضافى (إذا هبت له الريح) أى ثار عليه الهواء (طيرت) أى طارت (لبائد) جمع لبد ، واحده لبدة ، يريد ما تلبد من شعر ، والتصق بعضه ببعض (عن أعطافه) أى عن جوانبه التى انعطف إليها ، و (ما) والظرف متعلق بـ (طيرت) ، والضميران فى له ، وأعطافه يرجعان إلى ضاف . (ما ترجل) أى لم تسرح تلك اللبائد ، والجملة صفة لـ (لبائد) .

٦٤ ــ بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والْفَلْيِ عَهْدُهُ
لهُ عَبَسٌ عَافٍ مِنَ الْغِسْلِ مُحْوِلُ

الزمخشرى : (العبس) : ما يتعلق بأدناب الإبل من أبوالها ، وأبعارها فيجف عليها ، وعبس الوسخ فى يد فلان : أى يبس ، والمعنى : أنه لبعد عهده بهذه الأشياء ؛ اجتمع فى رأسه الوسخ حتى صار كأنه مثل العبسى الذى فى أذناب الإبل ، و(عاف) : كثير ، أى : عبسه كثير ، و (الغسل) ما يغسل به الرأس من خطمىّ وغيره ، وأنشد :

فياليل إن الغسل ما دمت أيما علىَّ حرام لا يمسنى الغسل

و (المحول) : الذى أتى عليه حول ، قال الكميت :

أأبكاك بالعُرُف[1] المنزل وما أنت والطلل المحول

---

(١) العُرُف : الرمل المرتفع .

وقال آخر

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا

الأتب : القميص الصغير ، الذى لا يكون ثخينا ، والمعنى : إن شعره منذ حول لم يغسل ، ولم يتعهده بشيء مما ذكره . (بعيد) : صفة (ضاف) وعهده : مرفوع بـ (بعيد) ، لأنه اسم فاعل ، أى : بعد عهده ، ويجوز أن يكون عهده مبتدأ ، وبعيد : خبره ، كما تقول : قائم زيد ، (وبمس الدهن) يتعلق بـ (بعيد) على القولين جميعا ، وعلى القول بأنه مبتدأ ، وخبر يكون نعتا لـ (ضاف) أيضا ، و (عبس) : مبتدأ ، و (عاف) : نعت له و (له) : خبره ، والجملة نعت لـ (ضاف) أى : معبس ، و (محول) كذلك أيضا ، و (من الغسل) : يجوز أن يكون نعتا لـ (محول) قدم فصار حالا ويجوز أن يكون بمعنى بدل ، ويكون التقدير : له عبس كثير ، بدل من الغسل ، فيكون على هذا صفة لـ (عاف) ، ويجوز أن يتعلق بـ (عاف) أى : كثر من عدم الغسل .

المبرد : أصل (العبس) : ما يتعلق بأذناب الشاء وإلياتها من الأرواث ، والأبعار ، و (عاف) كثير ، يقال : عفا شعره إذا كثر و (الغسل) : ما يغسل به الرأس ، و (محول) : أتى عليه الحول ، يقول : له من التراب والأوساخ ما يقوم له مقام الغسل ، أى لم ينق رأسه حين غسله ، ففيه عبس منه .

العكبرى : (العبس) : ما يتعلق بأذناب الشياه من الأوضار ، و (عاف) كثير يعنى شعره ، و الغسل : ما يغسل به الرأس ، (ومحُول) : قد أتى عليه الحول ، و (بعيد) : هو نعت لـ (ضاف) ، (وعهده) : مرفوع بـ (بعيد) و (الهاء) فى (عهده) لـ (ضاف) أيضا ، ويجوز أن يكون (عهده) مبتدأ ، وبعيد : خبره ، والجملة نعت لـ (ضاف) أيضا .

والباء فى بـ (مس) تتعلق بـ (بعيد) ، و (عبس) : مبتدأ ، و (له) : خبره ، والجملة نعت لـ (ضاف) أيضا ، و (عاف) : نعت لـ (عبس) وكذلك

محول .

و (من الغسل) : يجوز أن يكون نعتا لـ (محول) ، قدم فصار حالا ويجوز أن يتعلق بـ (عاف) لأن المعنى : صار العبس للشعر بمنزلة الغسل ، والله أعلم .

ابن زاكور : فهذا[1] تذييل مؤكد لمفهوم ما قلبه ، قوله : بعيد : فعيل بمعنى فاعل ، وهو خبر مقدم ، (وعهده) : مبتدأ مؤخر ، ويصح أن ترفع عهده على أنه فاعل (بعيد) لاعتماده على المبتدأ المحذوف بناء على أن التقدير هو بعيد ، ولا محل للجملة على التقدير لأنها تذييلية ، و (فلى) الرأس استخراج قمله ، وصؤابه ، والصُّؤاب بزنة غراب بيض القمل ، ويجمع على صئبان ، و (العهد) أى : التعهد ، أى : التفقد ، و (العبس) بالعين المهملة والتحريك : ما تعلق بأذناب الإبل من أوضارها ، وما يبس على أفخاذها من ثلطها وأبوالها ، والعافى المتروك على حاله ، حتى عفى أى : كثر وطال من تراكم بعضه على بعض ، وقد شبه بالقرون كما قال أبو النجم :

كـــأن فى أذنـــابهن الشول من عبس الصيف قرون الإيل

و (الغسل) بالكسر : الغاسول الذى يغسل به الرأس ، وهو الطفل ، وقيل آس طيب وماء ، و (المحول) اسم الذى أحال : أى أتى عليه حول من كل شىء ، قوله بـ (مس الدهن) متعلق بـ (عهده) وإن كان فى معنى المصدر ، أى تعهده ، لأن الصحيح جواز تقدم معمول المصدر عليه ، إذا كان ظرفا أو جارا ومجروراً للاتساع فى الظروف ، وقوله (عاف) يصح أن يكون وصفا لـ (عبس) وعليه ما تقدم ، فهو حينئذ بمعنى كثير ، و (من الغسل) يتعلق بـ (محول) لتضمنه معنى مقفر ، ويصح أن يكون من أوصاف (ضاف) و (من الغسل) حينئذ يتعلق بـ (عاف) ، والمعنى : هو ــ أى الشعر الضافى ــ بعيد تعهده أى : تفقده بـ (مس

---

(١) فهذا : يقصد البيت المشروح .

الدهن) ، وباستخراج لقمل وبيضه منه (له) : من أجل ذلك وسخ وودح ، لبد شعره لكثرته ، وتوفره أو هو ــ أى الضافى ــ عاف أى : دارس من الطفل والحظمى أتى عليه عام من عهده بما ذكر من الترجيل والغسل والفلى .

عطاء الله : (بعيد بمس الدهن والفلى) وهو استخراج القمل ، (عهده) فـ (بعيد) : مبتدأ ، خبره : عهده ، والجملة : صفة لـ (ضاف) أو هو صفة لـ (ضاف) ، و (عهده) : مرفوع به لاعتماده على الموصوف ، و (بمس) الدهن يتعلق بـ (بعيد) ، (والباء) : بمعنى (عن) ، و (الفلى) : معطوف على مس : والمعنى أن ذلك الشعر الضافى تقدم عهده عن مس الدهن والفلى . (له) أى : لذلك الشعر الضافى . (عبس) وهو بفتح العين المهملة والباء الموحدة ، وبالسين المهملة : الوسخ ، وأصل العبس : ما تعلق بأذناب الشاء وأمثالها من الأوضار ، وجملة (له عبس) نعت لـ (ضاف) أيضا ، (عاف) أى : كثير وهو نعت لـ (عبس) . (من الغسل) بكسر الغين المعجمة : ما يغسل به ، وهو متعلق بـ (عاف) ، (محول) : أى : أتى عليه حول وهو : نعت لـ (عبس) : والمعنى أن له من التراب ، والأوساخ ما يقوم مقام الغسل .

٦٥ ــ وخرق كظهر الترس قفر قطعته بعاملتين ظهره ليس يعمل

الزمخشرى : (الخرق) : الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح ، وجمعها خروق قال الهذلى :

وإنهما لجوّابا خروق

(وكظهر الترس) : يريد أنها مستوية ، و (قفر) ليس بها أحد ، والعاملتان : رجلاه ، ومظهره : إشارة إلى الخرق ، أى : ليس مما تعمل فيها الركاب ، وروى ظهرها ، وهو إشارة إلى الخرق أيضا ، و (خرق) مجرور (بوب) ، (وكظهر الترس) : صفة لـ (خرق) ، و (قفر) قطعته : صفتان لـ (خرق) أيضا ،

والواو : واو رب ، وتتعلق بـ (محذوف) أى : قصدت خرقا من الأرض ، ويجوز أن يكون قطعته هو العامل فى (رب) فلا يكون صفة . الباء فى بـ (عاملتين) تتعلق بـ (قطعت) و (ظهره) : مبتدأ وليس وما عملت فيه : خبره ، واسم ليس مستتر فيها ، (ويعمل) : خبرها والمبتدأ وخبره صفة لـ (خرق) أى غير معمل فيها الركاب .

المبرد : (الخرق) : البلد الواسع الذى يتوسع فيه ، وتتخرقه الريح (كظهر الترس) من استوائه ، و (عاملتين) يعنى : رجليه ليس يعمل ، أى : غير مسلوك ظهر هذا الخرق .

العكبرى : (الخرق) : الواسع ، و (كظهر الترس) : من استوائه و (عاملتين) يعنى : رجليه .

و (خرق) : أى ورب خرق ، وما بعده : نعت له ، وقفر : نعت له أيضا ، (وقطعته) : هو الفعل الذى يتعلق به (رب) ، ويجوز أن يكون نعتا لـ (خرق) ، وتتعلق (رب) بمحذوف ، كما ذكرنا فى (نصبت) (والباء) تتعلق بـ (قطعت) .

و (ظهره) : مبتدأ ، واسم ليس : مضمر فيها ، (ويعمل) : خبر ليس والجملة : خبره ، (ظهره) ، وظهره وخبره : نعت لـ (خرق) أيضا والله أعلم .

ابن زاكور : (الخرق) بفتح الخاء المعجمة : المكان الذى تخترقه الرياح لإقفاره ، مما يستر الرياح من بناء وشجر ، و (الترس) : المجن الذى يتقى به فى الحروب من الطعن والضرب ، وقطع القفر : الخروج منه ، وتخليفه وراء الظهر بالسير ، و (العاملتان) هنا قيل : الرجلان وكان الشنفرى كخاله تأبط شراً يعدو على رجليه ، وهكذا شأن لصوص العرب و (يعمل) بالبناء للمفعول أى : لا يعمل فيه بالحرث والغرس ، لكونه لا ينبت قوله (وخرق) : مخفوض لفظا (برب) المحذوفة ، مرفوعة محلاً بالابتداء ، و (كظهر الترس وقفر) : من أوصاف الخرق ،

وقوله (قطعته) : خبره وجملة (ظهره ليس يعمل) : من أوصاف الخرق ، تضمنت الاحتراس مما عسى أن يتوهم من كونه يصح إعماله ، ويتأتى ، والأولى أن هذا إيغال لختم البيت به ، مع كونه مفيداً لنكتة يتم أصل المعنى بدونها ، وأصل المعنى هنا قطعه المفازة الخالية ، التى تشبه الترس برجليه ، وهو تام لا يتوقف على ما ختم به البيت الذى أفاد أن المفازة لا يتمكن فيها بالبقاء لكونها غير معمولة ، لعدم صلاحها لذلك ، فليس بها من ساكن لأجل ذلك ، ووجه الشبه بين الخرق والترس : قيل الاستواء ، والأولى إن شاء الله : كثرة مساربه التى يتحير فيها السالك ، وتحمله على الضلال ، ككثرة آثار ظهر الترس بالضرب ، والطعن ، واختلافها وتفاوتها .

عطاء الله : (وخرق) وهو بفتح الخاء المعجمة وإسكان الراء ، وبالقاف : المكان الواسع الذى تنخرق فيه الرياح ، وتكثر وتشتد ، وهو مجرور (برب) مضمرة (كظهر الترس) فى استوائه ، والترس آلة تتخذ للاتقاء من الأسلحة فى الحرب ، والظرف نعت لـ (خرق) ، (قفر) أى لا ماء فيه ولا نبات ، وهو نعت لـ (خرق) أيضا ، (قطعته) أى : أتيت عليه سيراً ، ورب تتعلق به ، (بعاملين) أى : رجلين ، سميت بذلك لأنهما يعملان فى المثنى ، والظرف يتعلق بـ (قطعته) ، (ظهره) أى : ذلك الخرق (ليس يعمل) أى لا يسلك عادة لصعوبته ، وخطر أمره ، والجملة : نعت لـ (خرق) أيضا .

٦٦ ــ وَأَلْحَقْتُ أُولاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِياً
عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثِلُ

الزمخشرى : (ألحقت أولاه بأخراه) : يعنى جمعت بينهما بسيرى فيه ، والضمير فى أولاه وأخراه : عائد إلى (الخرق) ولسرعتى لحق أولها بآخرها و (موفيا) : مشرفا عليها ، أى : كمل سيرها ، و (القنة) بالضم : أعلى الجبل مثل القلة ــ قال الشاعر :

أمـا ودمـاء مائـرات تخالها على قنة العزى ، وبالنسر عندما
وما سبح الرهبان فى كل بيعة أبيل الأبيلين المسيح ابن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع حساما إذا ما هزَّ بالكف صمما

(والإقعاء) عند أهل اللغة : أن يلصق الرجل إليتيه بالأرض ، وينصب ساقيه ، ويتساند إلى ظهره ، و (أمثل) أى : أنتصب قائما ، (الباء) فى (أخراه) متعلقة بـ (ألحقت) ، و (موفيا) : حال من الضمير فى (ألحقت) و (على قنة) يتعلق بـ (أقعى) ، و (أقعى) : حال من الضمير فى (موفيا) أو فى (ألحقت) ، ويكون على هذا : حالا مقدرة ، و (مرارا) يجوز أن ينتصب على المصدر ، أى : أمر مرارا ، ويجوز أن ينتصب على الظرف ، أى : أقعى أحيانا ، و (أمثل) : معطوف على (أقعى) ، ومرارا مقدرة هنا ودل عليها مرارا الأولى .

المبرد : أى قطعته وجزته عدوا ، (موفيا) : مشرفا على قنة جبل و (القنة) و (القلة) : أعلى الجبل ، و (الإقعاء) : القعود على الركبتين وباطن الفخذين كقعدة الكلب والسبع ، و (أمثل) : أنتصب ، وإنما يقعى ويمثل ، لأنه مرتبىء مرتقب ، ليرى من يطلع عليه ، فيغير عليه .

العكبرى : يعنى : جزته عدوا ، (موفيا) : مشرفا ، و (القنة) : أعلى الجبل ، و (الإقعاء) : القعود على الوركين وباطن الفخذين ، مثل الكلب و (أمثل) : أنتصب ، و (الهاء) فى (أولاه ، وأخراه) : تعود على الخرق ، وصلت أولاه بأخراه ، فقطعته بالسير .

و (موفيا) : حال من التاء فى (ألحقت) ، و (على) : تتعلق بـ (أقعى) و (مرارا) : يجوز أن ينتصب على المصدر ، لأن المرة مصدر (مررت) مرة واحدة ، ويجوز أن ينتصب على الظرف ، أى : أقعى أحيانا ، و (أمثل) معطوف على أقعى ، والله أعلم .

ابن زاكور : الضميران للخرق ، وإلحاق الشىء بغيره ، جعله لاحقا به ، وإلحاق

أولى الخرق بأخراه : كناية عن قطعه بالسير ، وجوازه إلى غيره ، و (الموفى) : الذى أوفى أى : أشرف ، و (القنة) رأس الجبل الأعلى ، و (الإقعاء) بالنسبة للإنسان : جلوسه على إليتيه ناصبا فخذيه ، كأنه متساند إلى ما وراءه ، (وإقعاء) الكلب : جلوسه على إليتيه مفترشا رجليه ناصبا يديه و (مثل) يمثل بكسر المضارع انتصب قائما ، وقوله : (فألحقت) ، الفاء : للترتيب الذكرى ، لأن إلحاق أولى الخرق بأخراه يفسر قطعه لا غيره رتبة عليه ، وعطفه عليه لتفصيله إجمال القطع ، لأن فى إلحاق الأولى بالأخرى تنصيصا على أنه استوعبه بالسير ، ولم يترك منه شيئا ، و (القطع له) : محتمل لغير ذلك من الاقتصار على معظمه مثلا ، والله سبحانه أعلم .

والمعنى أنه فعل ما ذكر من إلحاق إحدى الغايتين بالأخرى ، فى حال كونه مسرفا على رأس جبل ربيئة ، وفى حال كونه يجلس على إليتيه مراراً وينتصب مرارا أخرى قائما ، يقعى إذا خاف أن يفطن له ، ويعلم بمكانه ، وينتصب إذا أمن من ذلك ليشرف على من تحته ليرصده للغارة إن أمكنته فرصة انتهزها ، ومن جملة أحواله فى إشرافه على القنة ما قرره بقوله :

ترود الأراوى الصُّحم حولى كأنها عـزارى عـليهن الملاءُ المذيـلُ

عطاء الله : (فألحقت أخراه بأولاه) أى : آخره بأوله ، وأتيت عليه سيراً بتمامه قطعا ، وهذا توكيد لقوله : قطعته ، دافع احتمال المجاز ، وإرادة قطع الأكثر دون الكل ، والضميران يرجعان إلى خرق (موفيا) أى : مشرفاً (على قُنة) وهو بضم القاف ، وفتح النون ، وتشديدها ، ويقال : (قلة) باللام أيضا : أعلى الجبل ، والظرف يتعلق بـ (موفيا) الذى هو حال من الضمير فى (ألحقت) ، (أقعى) مضارع من (الإقعاء) وهو القعود على الركبتين ، وباطن الفخذين ، كقعدة الكلب والسبع ، (مرارا) أى : فى أوقات ، وهو ظرف لـ (أقعى) ، (وأمثل) بضم المثلثة أى : أنتصب مرارا ، فحذف من الثانى لدلالة الأولى ، وإنما يفعل ذلك ، لأنه يرتقب شيئا من الصيد ، فيغير عليه ، ويقتنصه .

٦٧ ــ تَرُودُ الأَرَاوِى الصُّحْمُ حَوْلِى كَأَنَّهَا
عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ

الزمخشرى : (ترود) : تذهب وتجىء ، و (الأراوى) : واحدها أرويَّة ، وهى الأنثى من الوعول ، و (الصحم) جمع : أصحم وصحماء ، وهى الوعول السود التى يضرب لونها إلى صفرة ، و (العذارى) جمع عذراء ، وهى البكر ، و (الملاء) ضرب من الثياب ، و (المذيل) : الطويل الذيل ، والمعنى : أن الأراوى تذهب وتجىء حولى ، كالعذارى أى : قد أنست بى لكثرة مخالطتى لها فما تنفر منى ، كما أن العذارى كذلك ؛ (ترود) : حال من الضمير فى (أقعى) أى : أقعى رائدة لى الأراوى ، و (عذارى) : خبر كأن ، و (الملاء) : مبتدأ ، و (المذيل) : صفة ، و (عليهن) : خبر المبتدأ ، والمبتدأ وخبره صفة عذارى تقديره : لابسات .

المبرد : (ترود) : تذهب وتجىء ، وواحد الأراوى : أروية ، وهى أنثى التيس البرى ، و (الصحم) : الحمر ، و (الصحمة) : التى تضرب إلى السواد ، وليست السحم ، وقال بعض الملاص لنفسه أو رفيقه

إياك والأصحم أن تعتاره يكذبك من أبصر يوما ناره

تعتاره : يريد تعتريه بأخذه ، والنار : السمة ، يقال : ما نار هذا البعير فيقال : ميسم بنى فلان ، يقول : إن أحببت هذا البعير علم أنك غير مالك له لسمته ، و (المذيل الطويل الذيل) .

العكبرى : (ترود) : تذهب وتجىء ، و (الأراوى) : جمع الأروى ، وهى أنثى التيس البرى ، و (الصحم) : الحمْر تضرب إلى السواد ، و (المذيل) : الطويل الذيل ، (ترود) : يجوز أن تكون الجملة حالا من الضمير فى (أقعى) والعائد إليها الياء فى حولى ، و (حولى) : ظرف لـ (ترود) ، وهو فى الأصل مصدر (حال يحول) ثم جعل اسما لما أحاط بالشىء من جوانبه ، و (الصحم) : جمع أصحم ، وصحماء ، (وكأن) وما عملت فيه : حال من الأراوى و (عذارى) :

خبر (كأن) ، و (عليهن الملاء) : الجملة فى موضع نعت لـ (عذارى) .

ابن زاكور : (ترود) أى : تجىء وتذهب ، وتقبل وتدبر فى طلب ما تأكله ، وواحد (الأراوى) : أروية ، وهى الشياه الجبلية ، و (الملاء) : اسم جمع وهى الريطة والملحفة ، (والمذيل) : المطال ، و (الصحم) جمع أصحم ، وصحماء ، وهو ما فى لونه صحمة بضم الصاد ، أى : صفرة تضرب إلى سواد . والمعنى : إن أيفاءه على القنة ، كما كان فى حال إقعائه مرة ومثوله أخرى ؛ كان أيضا فى حال ورود شياه الجبل الصحم حوله ، والمقصود إنه ارتقى إلى موضع من الجبل ليس فيه إلا الأروية ، فهى تجىء وتذهب غير مكترثة به لا منها ، من أن تؤتى هنالك بمكروه أو لأنها ألفته وأنست به ، فهى لذلك لا تنفر منه ، وقد شبهها فى حالة رودها حوله بالأبكار اللائى ، لبسن الملاحف المذيلة ، ويدل لما قلناه آنفا من أن ترددها حوله سببه الإلف ، والأنس قوله :

ويركدن بالآصال حولي كأننى من العصم أدفى ينتحى الكيح أعقل

عطاء الله : (ترود) أى : تجىء وتذهب ومنه :

﴿ وراودته التى هو فى بيتها ﴾

(الأراوى) : جمع أروية وهى : العنز البرية ، أنثى الأروى ، وهو التيس البرى ، (الصحم) جمع لأصحم ، وصحماء مثل : حمر لأحمر وحمراء ، وهو بالصاد والحاء المهملتين من الصحمة ، وهى حمرة تضرب إلى السواد ، وأما السحمة ، بالسين المهملة فاسم السواد الخالص ، وليس بمراد ههنا ، إذ لون الأراوى على الأول دون الثانى (حولى) أى : فى جوانبى (كأنها) أى : الأراوى فى حسنها (عذارى) جمع عذراء ، بالذال المعجمة البكر من النساء ، (عليهن) أى العذارى (الملاء) بضم الميم والمد : اسم جنس ، واحده ملاءة كذلك ، وهى الملاحف (المذيل) أى : ذوات الأذيال الضاربة إلى الأرض ، وأفرد المذيل حملا للملاء على الجنس كما تقدم فى نظيره ، وجملة ترود حال من الضمير فى (أقعى) و (أمثل) والعائد الياء فى (حولى) وهو ظرف لـ (ترود) وهو فى الأصل : مصدر حال يحول ، ثم جعل

اسما لما أحاط بالشيء من جميع الجوانب ، وجملة كأن وما عملت فيه : حال من الأراوى وجملة عليهن الملاء المذيل نعت لـ (عذارى) .

٦٨ ــ وَيَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي
مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الْكِيحَ أَعْقَلُ

الزمخشرى : (يركدن) يثبتن ، وكل ثابت فى مكان فهو راكد ، والآصال جمع أصيل ، وهو الوقت من العصر إلى المغرب ــ قال الشاعر :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعد فى إفيائه بالأصائل

و (العصم) جمع : أعصم ، من الوعول ، وهو الذى فى ذراعيه بياض ، وقيل الذى بإحدى يديه بياض ، و (الأدفى) من الوعول ، الذى طال قرنه جدا ، وذهب قبل أذنيه ، (وينتحى) : يعتمد ويقصد ، (والكيح) : عرض الجبل وسنده ، (والأعقل) : الممتنع فى الجبل العالى ، والمعنى : إن الأراوى لا تنكرنى كأننى واحد منها . (يركدن) : معطوف على (ترود) ، والنون ضمير الأراوى ، (وبالآصال) : ظرف لـ (يركدن) وهو : ظرف زمان ، و (حولى) : ظرف مكان لـ (يركدن) أيضا ، (وكأننى) : حال من الياء فى (حولى) : والحال من المضاف إليه ضعيف من جهة أن العامل فى الحال هو العامل فى صاحب الحال ، ولا يعمل المضاف لكن أمكن هاهنا أن يقال . (حولى) : ظرف ، والحال يعمل فيها روائح الأفعال فبطريق الأولى ، أن يعمل فيها الظرف ، ويمكن أن يقال حولى فى الأصل مصدره ، لأنه من حال يحول حولا ، ثم جعل اسما لكل ما أحاط بالشيء من جوانبه ، فهو بمعنى الإحاطة ، فيكون التقدير : تحيط بى مشبها حالى حال (أدفى) فيكون معنى حولى هو العامل فى الحال ، و (أدفى) خبر كأن ، و (من العصم) يجوز أن يكون حالا ، العامل فيه معنى كأن وصاحب الحال الضمير فى (كأننى) ، وقد جاء مثل هذا ــ قال الشاعر :

كأنه خارجا من جنب صفحته سفّود شرب نسوه عند مفتئد

ويجوز أن يكون صفة لـ (أدفى) قدم فصار حالا ، و (ينتحى) يجوز أن يكون نعتا لـ (أدفى) ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (أدفى) ، والكلام فى (أعقل) كذلك : يجوز أن يكون نعتا لـ (أدفى) وأن يكون حالا من الضمير فى (ينتحى) ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

المبرد : ويروى « من العصم أدفى يلتجى الكيح »

(يركدن) : يثبتن ، من ركد الماء . ، و (ينتحى) : يقصد

العكبرى : (يركدن) يقفن ، (والأصيل) : العشى ، و (العصم) : جمع أعصم وهو الذى فى موضع المعصم منه بياض ، يريد الوعل ، و (الأدفى) : الذى يميل قرناه إلى ناحيتى ظهره ، (وينتحى) : يعتمد ، (والكيح) : ناحية الجبل و (أعقل) : يحل أعاقل الجبال .

(ويركدن) : معطوف على (ترود) ، (وبالآصال) : ظرف زمان ، وهو جمع أصل ، وأصل : جمع أصيل ، و (حولى) : ظرف مكان ، و (كأننى) : الجملة حال من الباء فى (حولى) ، و (أدفى) : خبر كأن ، (من العصم) نعت لـ (أدفى) فصار حالاً ، وينتحى : نعت لـ (أدفى) أيضا ، وكذلك (أعقل) ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ابن زاكور : فإنه صريح فى ذلك ، و (ركود الأروية) : ربوضها أى : بروكها ساكنة ، و (الآصال) : جمع أصيل ، وهو العشى ، و (العصم) جمع أعصم ، وعصماء ، وهو ما فى معاصمه بياض من الوعول والظباء و (الأدفى) الذى طال قرناه ، وانعطفا إلى ظهره ، حتى كادا يمسان عجزه و (الأعقل) : الذى تدانت رجلاه ، (والانتحاء) : القصد ، و (الكيح) : بالكاف المكسورة فالياء فالحاء المهملة : سفح الجبل وسنده ، فقوله : (كأننى من العصم) : فى محل نصب على الحال من الياء فى (حولى) ، ومن العصم حال من (أدفى) وهو فى الأصل نعت له ، فلما قدم عليه انتصب على الحال كغيره من نعوت النكرة المتقدم عليها ، وأعقل

لينتحى الكبيح : نعتان لـ (أدفى) : والمعنى : إن الأروية من فرط أنسهن بى يرقدن فيما قرب منى عند العشى ، حتى أشبهت بمخالطتهن لى ، وعدم استيحاشهن بمكانى ، وعلا طال قرنه زاحفا إلى ناحية إليته فى حال كونه من الأروية التى ابيضت معاصمها ، موصوفا بتدانى الرجلين ، ويقصد سفح الجبل ، جعل الله إليه قصدنا ، وحصر فى قصده مقاصدنا آمين ، والحمد لله أجل مقصود ، وأعظم محمود على تمام ما قصدناه من شرح لامية العرب ، والشكر على ما يسر لنا من ذلك ، وسألناه ، وما كنا لنهتدى لو أن هدانا الله ، وصلى الله على أفصح العرب قاطبة ، محمد الذى فصاحة كل فصيح من فصاحته واهية وعلى آله وأصحابه المقتبسين من فصاحته ، ما امتطوا إليه سنام البيان وغاربه ، ووافق تمام تبييضه عشية الخميس لليال خلت من ربيع النبوى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف ، وكتبه مؤلفه محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور .

عطاء الله : (ويركدن) أى : يثبتن ، والضمير لـ (الأراوى) ، من ركد الماء : سكن جريه ، (بالآصال) أى : العشيات ، جمع أصل : كعنق وأعناق ، و (أصل) جمع : أصيل ، كرغيف ورغف ، (حولى) أى : فى جميع جوانبى ، وإنما يركدن حوله لطول إلفهن به ، حتى كأنه صار واحدة منهن ، كما أشار إلى ذلك بقوله (كأننى من العصم) أى الأوعال ، جمع أعصم ، سميت بذلك ، لأنها لا تقدم البياض فى عاصمها (أذقى) وهو بفتح الهمزة وإسكان الذال[1] وقاف آخره ألف مقصورة مذكر (أذقواء) : الذى يطول قرنه ، ويميل إلى ظهره (ينتحى) أى : يقصد (الكيح) وهو بكسر الكاف ، وإسكان الياء آخره حاء ، ويقال له أيضاً بألف بين الكاف والحاء : ناحية الجبل ، (أعقل) أى : فى لونه بياض فى موضع العقال ، والظرفان يتعلقان بـ (يركدن) وجملة كان وما عملت فيه حال من الياء فى (حولى) ، و (أذقى) : خبر كان ، وجملة (ينتحى) نعت له ، وكذا (أعقل) ، عقلنا الله عن الرذائل ، وحلانا بالفضائل ، بالنبى وآله السادة الكرام ، وأصحابه القادة العظام .

---

(١) المعروف من كتب اللغة ، ومن الذى كتبه غيره من الشراح أنه بالدال المهملة والفاء ، وليس كما ورد عنده .

فهرس الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
المقـــدمة	٩
الشروح التى اعتمدناها للامية	١١
تمهيـــد	١٣
نبذة عن حياة الشاعر	١٦
أهم الدراسات التى تناولت لامية العرب	٢٢
أولاً : دراسات الأقدمين	٢٢
ثانياً : دراسات المحدثين	٢٤
القيم العربيـــة	٢٦
أهم القيم العـــربية	٣٠
خطب المصنفـين	٤٨
فصل فى مسألة حسن الوجه	١٤٠
المســألة الأولى	١٤١
المســألة الثانية والثالثة	١٤٤
المســألة الرابعة من أصل الباب	١٤٦
المســألة الخامسة من أصل الباب	١٤٧
المســألة السادسة من أصل الباب	١٤٧
تنبيـــه	٢١٩